المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جـــــامعة ام القرى
كليـــة الشريعة والـــدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي

دراسة تاريخية حضارية

٩٢هـ - ٤٧٨هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُّلمي

إشراف

الأستاذ الدكتور / سعد بن عبد الله البشري

لعام ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي ، دراسة تاريخية حضارية (٩٢هـ –٤٧٨هـ) .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا وبنينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد :

تناولت هذه الرسالة موضوع تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي من حيث الجانب التاريخي والحضاري وذلك للفترة من عام ٩٢هـ إلى ٤٧٨هـ . وقد تكونت الرسالة من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وملاحق . تناول التمهيد دراسة لموقع المدينة وجغرافيتها . أما الباب الأول : فقد نقاش التاريخ السياسي للمدينة ، وهذا الباب مشتمل على فصلين : الفصل الأول : اشتمل على تاريخ مدينة طليطلة منذ الفتح – ٩٢هـ – إلى نهاية عصر الخلافة الأموية – ٤٢٢هـ . وهذا الفصل مكون من ثلاث مباحث : المبحث الأول : درس مدينة طليطلة في عصر الولاة ، وما كانت عليه من سكون وهدوء . المبحث الثاني : دراسة مدينة طليطلة في عصر الإمارة الأموية ، وكيف كان لمدينة طليطلة من دور كبير في الأحوال السياسية داخل الأندلس وخاصة ضد الدولة الأموية .

المبحث الثالث : وقد كانت دراسته لهذه المدينة في عصر الخلافة ،وكيفية تحول المدينة من حال الثورات والعصيان ضد الحكم المركزي إلى حال الوقوف مع الدولة وحماية ثغورها .

أما الفصل الثاني : فقد اشتمل الفترة من سقوط الخلافة – ٤٢٢هـ – إلى سقوط مدينة طليطلة في يد النصارى –٤٧٨هـ . وهذا الفصل مشتمل لمبحثين : المبحث الأول : ناقش انهيار السلطة الأموية وأثر ذلك على الأحوال في طليطلة ، وبهذا المبحث تعدد لحكم طليطلة في هذه الفترة وبيان لأحوال طليطلة بعد سقوط الخلافة . المبحث الثاني : وقد ناقش موضوع طليطلة تحت حكم بني ذي النون حتى سقوطها في يد الأسبان في عام ٤٧٨هـ . وورد في هذا المبحث تحول مدينة طليطلة إلى مملكة وتغيير أحوالها إلى الأفضل ، بالإضافة إلى سقوط مدينة طليطلة في يد النصارى وكيفية ذلك وأسبابه .

أما عن الباب الثاني : المعنوان بـ" مظاهر الحضارة في طليطلة " فهو مقسم إلى ثلاث فصول . الفصل الأول : ضم الأحوال العمرانية على نمطيها المدني والعسكري . وشمل هذا الفصل جانب الزخرفة والنقش الذي تميز به الطليطليون فكان باهراً بشكل واضح على مختلف منشأتهم العمرانية .

أما الفصل الثاني : فقد ناقش الأحوال الإقتصادية والإجتماعية من خلال مبحثين : المبحث الأول الأحوال الإقتصادية : وتُطرق به لما كان بطليطلة من مقومات إقتصادية متنوعة ، كما برز مدى التنظيم الإقتصادي المتميز بطليطلة . المبحث الثاني الأحوال الاجتماعية : ناقش هذا المبحث جوانب مختلفة للمجتمع الطليطلي من أجناس المجتمع وعادته وطرق الباس وبعض الأطعمة المشهورة .

أما الفصل الثالث : الحياة العلمية في طليطلة فهو مكون من خمس مباحث : المبحث الأول عن العلوم الشرعية ، المبحث الثاني عن علوم اللغة والأدب ، المبحث الثالث عن العلوم الإنسانية ، المبحث الرابع عن العلوم العقلية . وكل هذه المباحث ناقشت – كل على حده – تاريخ العلم بطليطلة وطرق تدريس العلم ورحلات علمائه وإنجازاتهم ، بالإضافة لتعداد أهم علماء العلم بطليطلة .

أما المبحث الخامس : فقد اشتمل العلاقات العلمية بين طليطلة والمدن الأندلسية الأخرى . وما تم تبادله بينهم من خبرات وعلوم وإنجازات .

أما الخاتمة فقد ذكر فيها أهم نتائج الرسالة ومنها :

١- أوضحت الدراسة أنَّ تواجد مدينة طليطلة كان سابقاً للقرن الثاني قبل الميلاد .

٢- كشفت الدراسة أنَّ التنظيمات الداخلية لمدينة طليطلة في عهد المأمون شكلت داعماً كبيراً لحركته التوسعية .

٣- شكلت حركة الهجرة لمدينة طليطلة من القرى التابعة لها أو من المدن المجاورة داعماً لحركة العمران المستمر بطليطلة .

الطالب	المشرف على الرسالة	رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية	عميد كلية الشريعة
هيم بن عطية الله بن هلال السُلمي	أ.د. سعد بن عبد الله البشري	أ.د.عبد الله بن سعيد الغامدي	د. عابد بن محمد السفياني

The message abstract

The title : History of Tolytela city at the Islamic age , Historical and cultural study (92-478)

Thanks for Allah , peace and praise be upon our prophet and Master Mohammed .

This study dealt with the subject of Tolytela city at the Islamic age from Historical and cultural side in the period from 92H. to 478H.

The message consisted to , preface and two parts ended with attaches . The preface contained the city situation and it's Geography .

The first part discussed the political History of the city , this part consists of two chapters , first chapter included the History of Tolytela city since it's opened at (92H). this chapter consists of there themes , the first theme : studied Tolytela city at the age of aids and what were from quietness and stability

The second theme : studied Tolytela city at the age of Umm aiyad and the important role of Tolytela in the political states in side Andalus specially aginst Ummaiyad Nation .

Third theme : studied the city at the age of Ummaiyad and cases of revolutions and resilience a giants governors and how it were turned into supporting Nation and protecting its holes .

The second chapter included the period from failing (422H) till Tolytela were captured by Christians (478H) .

Theme discussed the authority filled in Tolytela and it's effect on matters in Tolytela after aid's failing .

Second theme : discussed the case of Tolytela under the authority of Bani Zannonn , till it was failed id Spanish hand (478H) . This theme also included Transforming of Tolytela in to Kingdom and it's terming for the best in addition to Tolytela failing in Christians hand and what were it's reasons .

The second part : which entitled with (cultural aspects in Tolytela) , it is divided into there chapters.

First chapter : included architecture phases for it's civile and military styles , this chapter included decoration and painting side which distinguished Tolytelians , it was obviously seen in their architecture establishments .

Second chapter : discussed the political cases and social one through two themes :

First theme : economical cases it offered what was in Tolytela from different economical supporting and focused the prominent economical organization .

Second theme : Social cases , it , discussed different sides of Toytelion society , from its races and tradition from wearing methods and some famous kinds of food.

Third chapter : Scientific life in Tolytela it is consisted of Five themes .

First theme : legal sciences .

Second them : language and literature science .

Third theme : human Scince .

Fourth theme : Mental science all these themes discussed every science alone , History of science in Tolytela and methods of teaching science , scientists journeys and counting the most important scientists in Tolytela .

Fifth themes : included scientific relationships between Tolytela and other cities in Andalus , and what were between them from experience and sciences exchange .

The conclusion : involved the message results .

1. Tolytela city was found before the second century before Christ birth .
2. Internal organization in Tolytela at the region of Almamoun role worked as a great support of his enlarging movement.
3. Emigration movement to Tolytela from it's neigh bour ciyies worded as a great support of continuous architecture movement in Tolytela .

شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله البشري لما قدمه لي من مد يد العون والتوجيه والإرشاد في هذه الرسالة وفي مسيرتي التعليمية .

والشكر موصول لرئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ولكل من ساعدني لإخراج هذه الرسالة .

إهــــــــــداء

أهـــدى هـــذه الرسالة لوالدي العزيزين أطال الله – سبحانه وتعالى – في عمرهما على طاعته ، لكل اهتمام وتوجيه منهما لإكمال مسيرتي التعليمية ، ولكل عون وتحفيز وتشجيع ودعاء منهم لي ، لكي أكون ناجحاً في مسيرتي العلمية .

وادعـــوا الله أن يجزيهما خير الجزاء ويكتب هذه الرسالة بإسمهما في ميزان العلم النافع في الدنيا والآخرة .

كمـــا أهديهـــا لشـــريكة العمر لكل عون منها لي ، راجياً من الله القبول والتوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على خير الخلق والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

قامت على الأرض آلاف المدن لكن الكثير منها ليس له على صفحة التاريخ سوى تحديد موقعها على الخارطة. وبعضها نقشت اسمها على تلك الصفحات من خلال تواجدها السياسي وإنتاجها الحضاري .

ومدينة طليطلة من أقدم مدن شبه جزيرة إيبيريا وقاعدتها في عصر الرومان، والتي تحولت إلى حاضرة من أكبر حواضر العالم الإسلامي رغم قصر فترة تواجدها ضمن العالم الإسلامي (٩٢هـ-٤٧٨هـ/٧١١م -١٠٨٥م) .

ولمدينة طليطلة دور كبير في الأحداث السياسية بالأندلس فقد كانت عنصراً مشاركاً في أغلب الأحداث والوقائع.

كما أن لها انتاج حضاري كبير في مجالات الحضارة كافة العمراني والاقتصادي والاجتماعي والعلمي.

ولدراسة المدن أهمية خاصة في إبراز إنتاج المدينة وأحوالها من كافة الجوانب.

ولذلك اهتم عدد من الباحثين بدراسة تاريخ المدن ومن هذه الدراسات: كتاب قرطبة في العصر الإسلامي لأحمد فكري، وقرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس للسيد عبد العزيز سالم، وأشبيلية في القرن الخامس لصلاح خلص، وشاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس لسحر السيد عبد العزيز، ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر لمريم قاسم طويل، ومدريد العربية لمحمود علي مكي، وعلاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية لعبده بن محمد عواجي، ومظاهر الحضارة في بطليوس الإسلامية لسحر السيد عبد العزيز، وغير ذلك من الدراسات.

أما موضوع البحث مدينة طليطلة فقد كان لها نصيب من الدراسات. لكن هذه الدراسات كانت مقتصرة على دراسة جانب معين في طليطلة كالجانب السياسي والعمراني وبين

دراسات مقتضبة ومقالات. من هذه الدراسات: العمارة الإسلامية في طليطلة في العصر الإسلامي لكمال عناني إسماعيل العاني– رسالة ماجستير– ومملكة بني ذي النون ليوسف بـــن عـــلي العريني – رسالة ماجستير– والتاريخ السياسي لمدينة طليطلة في ظل الحكم الإســـلامي لهشـــام عبد الرؤوف أبو ملوح – رسالة ماجستير– وكتاب أضواء جديدة حـــول ثـــورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية لحمدي عبد المنعم محمد حسين. وعن المقالات فهي: مسجد المسلمين بطليطلة ،ومقال طليطلة وقصر الناعورة بطليطلة، ومقال مـــا لا يعرفه المسلمون عن حواضر الأندلس "طليطلة" وكل هذه المقالات عائدة للسيد عبد العزيز سالم يرحمه الله.

أما كتاب الإسلام في طليطلة لعبد المجيد نعنعي فقد اشتمل تاريخ طليطلة الإسلامي ولكن الكتاب كان موجهاً لتاريخ مملكة بني ذي النون ثم أضيف إليه التاريخ الإسلامي السابق – كمـــا صرح بذلك المؤلف– مما أدى لإضعاف دراسة التاريخ السابق لمملكة بني ذي النون، بالإضافة لأنَّ مصادر البحث ومراجعه قليلة جداً بالنسبة للموضوع.

ولمـــا لدى الباحث من رغبة في التخصص لتاريخ الأندلس، فقد تم اختيار مدينة طليطلة محوراً لهذا البحث لعدة عوامل:

أولاً: ما بهذه المدينة من تاريخ إسلامي عظيم يجب الكشف عنه.

ثانياً: تفرق المعلومات في بطون المصادر وندرتها.

ثالثاً: الكشف عن الدور السياسي والحضاري الكبير لهذه المدينة والذي كان له أثره في تاريخ بلاد الأندلس وحضارتها.

رابعـــاً: أهمية دراسة تاريخ المدن دراسة متخصصة شاملة. ولهذا وبالتشاور مع الأستاذ الدكـــتور ســـعد بن عبد الله البشري المشرف على الرسالة – حفظه الله– وقع الاختيار على موضوع الرسالة *"تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية حضارية (٩٢هـــ – ٤٧٨هـــ)"*. وللكتابة عن مدينة طليطلة بعض الصعوبات حيث أنَّ التاريخ

السياسي لها لا يرد عنه سوى ما كانت تقوم به هذه المدينة من ثورات وإعلان للعصيان بصـــورة مستمرة ضد الحكم المركزي بالأندلس. كما أنَّ هناك بعض الفترات السياسية يشوبها شيء من الإبهام والغموض.

وفي الحقـــل الحضاري هنالك صعوبة تفرق المعلومات بين كتب التراجم وكتب الـــتاريخ، كمـــا أنَّ هذا الحقل دفع الباحث في عدة جوانب من البحث إلى الاستنباط والاســـتنتاج والقياس للوصول إلى معلومات في هذا الحقل بما ألهمه الله عز وجل ويسره له.

وخطـــة البحث التي اتبعناها تقوم على خطوات تبدأ بتمهيد تطرق فيه الباحث لدراسة موقع المدينة وجغرافيتها.

وهـــذا التمهـــيد يوضـــح فيه موقع مدينة طليطلة لما لهذا الموقع من تأثير على الأحوال السياسية والحضارية حيث أنَّ المدينة تقع في وسط الأندلس.

كمـــا أنَّ معـــرفة جغرافية المدينة من تكوينها وتضاريسها يدعم فهم ما وقع بطليطلة من أحـــداث ووقـــائع، كما يدعم وضوح الرؤيا في الجانب الحضاري سواء الاقتصادي أو الاجتماعي منه وحتى العلمي.

والبحث حسب الخطة قُسم بعد التمهيد إلى بابين هما:

الباب الأول: التاريخ السياسي.

الباب الثاني: مظاهر الحضارة في طليطلة.

والباب الأول قُسم إلى فصلين هما:

الفصل الأول: تاريخ مدينة طليطلة منذ الفتح حتى نهاية عصر الخلافة الأموية(٩٢هـ-٤٢٢هـ).

الفصل الثاني: طليطلة في عصر ملوك الطوائف (٤٢٢هـ - ٤٧٨هـ).

والفصل الأول من التاريخ السياسي تكون من ثلاثة عصور، ابتداءً بعصر الولاة، ومروراً بعصر الإمارة، وانتهاءً بعصر الخلافة.

في عصر الولاة يتضح كيفية فتح مدينة طليطلة وبقاءها ضمن الحكم المركزي رغم نقل العاصمة منها ورغم تتابع الولاة على حكم الدولة.

وفي عصر الإمارة سيتضح تحول حال طليطلة إلى النقيض لما كانت عليه في عصر الولاة حيث كثر الثائرون بها وكثر خروجها على الحكم المركزي، وبهذا العصر سيتضح أهمية دراسة تاريخ طليطلة السياسي لتأثيره على الأحداث السياسية العامة بالأندلس واشغالها لحكام الإمارة الأموية لفترات طويلة عن بقية أمور الدولة.

أما عصر الخلافة فيبرز فيه تحول آخر لحال طليطلة ولكن هذه المرة إلى الأفضل حيث أنه بعد أن أقر أمرها الخليفة عبد الرحمن الناصر تحولت طليطلة وأهلها إلى مركز لخروج جيوش الإسلام للجهاد وجنود لخدمة الدولة وحماية حدودها.

وعن الفصل الثاني من التاريخ السياسي فهو على قسمين: الأول عن *انهيار السلطة الأموية وأثر ذلك على الأحوال في طليطلة*. وبه ذكر لحكام طليطلة في هذه الفترة، وبيان لأحوالها إثر سقوط الخلافة.

والثاني بعنوان *طليطلة تحت حكم بني ذي النون حتى سقوطها في أيدي الأسبان في عام ٤٧٨هـ*.

تحول مدينة طليطلة إلى مملكة من أكبر ممالك الطوائف، وأعمال حكامها وخاصة أبرزهم المأمون بني ذي النون، وكيفية سقوط مدينة طليطلة في يد النصارى كل هذا وغيره سيرد في هذا الفصل بمشيئة الله وذلك ختام للباب الأول "التاريخ السياسي".

أما الباب الثاني مظاهر الحضارة في طليطلة فقد قسم إلى ثلاث فصول:

الفصل الأول: *الأحوال العمرانية*: وبه بيان للأحوال العمرانية بطليطلة وما وصلت إليه من فخامة عمرانية وإتقان كقنطرتها وأسوارها ومساجدها وقصورها.

ويتخلل هذا الفصل فن الزخرفة الذي اهتم به الطليطليون وارتقوا به لمستويات عليا.

الفصل الثاني: *الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية*: يتطرق هذا الفصل لجزئين مكملين لبعضهما ألا وهما الجانب الإقتصادي والإجتماعي.

وبهذا الفصل يتضح النمو الاقتصادي بطليطلة، والاهتمام بإقامة تنظيم دقيق للجانب الاقتصادي بكافة جوانبه. كما يُبرز فيه جوانب مختلفة للمجتمع الطليطلي من أجناس المجتمع وعاداته وطرق اللباس وبعض الأطعمة المتعارفة والمشهورة بها وغير ذلك مما هو متعلق بالمجتمع الطليطلي.

الفصل الثالث: *الحياة العلمية في طليطلة*: وينقسم هذا الفصل إلى خمسة أقسام، الأربعة الأولى منها عن العلوم الشرعية وعلوم اللغة والأدب والعلوم الإنسانية والعلوم العقلية.

والقسم الخامس عن العلاقات العلمية بين طليطلة والمدن الأندلسية الأخرى.

سيشمل هذا الفصل عدداً وافراً من العلماء وهم الأبرز بطليطلة ممن كان لهم باع طويل في الإنتاج العلمي من دراسات ومصنفات واكتشافات، كما كان لهم اهتمام بتعليم ما وصلوا إليه من علوم في جامع طليطلة وفي أماكن التعليم وفي دورهم أيضاً.

وبعـــد توضيح اهتمام أهل طليطلة بالعلم والتعليم ولما وصلوا إليه في مدينتهم من مكانة علمـــية مرموقة بين المدن نأتي إلى القسم الأخير من هذا الفصل وهو العلاقات العلمية بين طليطلة وعدد من المدن الأندلسية وعلاقاتها بالمدن والأقطار الأخرى .

أما خاتمة البحث فستتضمن أهم نتائج البحث وما تم التوصل إليه.

وأخـــيراً فإنني أتقدم بوافر الشكر والعرفان لأستاذي الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله البشـــري لكـــل ما قدمه لي من نصح وتوجيه وإعانة في هذا البحث، كما أتقدم بخالص الشـــكر والعـــرفان لجامعة أم القرى التي أتاحت لي فرصة الدراسة والالتحاق ببرنامج الماجســـتير في الـــتاريخ الإســـلامي والشكر موصول لأساتذتي بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ولكل من مد لي يد العون في سبيل إنجاز هذه الرسالة .

وأدعـــو الله أن يكـــون هـــذا البحث من العلم النافع في الدنيا والآخرة، ومن البحوث المساعدة لإظهار صورة الإسلام المشرقة. وبالله التوفيق.

إبراهيم بن عطية الله السلمي

عرض لأهم المصادر والمراجع

اعتمد البحث على عدد من مصادر ومراجع التاريخ الأندلسي خاصة والتاريخ الإسلامي عامة.

وقد تم الإطلاع على معظم المصادر والمراجع الأندلسية، والأخذ منها مما يثري ويفيد البحث ومن أهم مصادر البحث المطبوعة:

١-"تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي: الكتاب تركز على علماء العلوم الشرعية وشمل علماء الأدب والشعر.

ورغم أنَّ ابن الفرضي تركز حديثه في مصنفه هذا عن علماء الشريعة وشمل عدداً من علماء الأدب والشعر إلاَّ أنَّ المصنف أفاد في الحياة العلمية بصفة عامة، كما أفاد في تعريف بعض الشخصيات.

٢-"طبقات الأمم" لصاعد الطليطلي: رغم صغر حجم هذا الكتاب إلا أنه أفاد البحث بشكل كبير، خاصةً وأن صاعد هو من أهل طليطلة.

وقد كانت الإفادة في إيراده معلومات عن مدينة طليطلة نفسها، وعن بني ذي النون وعن العلوم التطبيقية بشكل خاص لمشاركته بها واعتباره ركيزة من ركائزها.

٣-"المقتبس" لابن حيان: اعتمد الباحث على ما عثر عليه من هذا المصدر، وكانت الاستفادة في الجزء الذي حققه عبد الرحمن الحجي في عهد بني ذي النون. أما الجزء الخامس الذي حققه شالميتا فقد أفاد في عصري الإمارة والخلافة.

٤-"جـــذوة المقتبس" للحميدي: اهتم المصدر بالمحدثين كما اهتم بالنصوص الشعرية فلا تخلو صفحة إلا وبها نص شعري. ورغم اهتمام المصدر بذلك إلا أنّ معلوماته لم تقتصر على هذين الفرعين من فروع العلم، حيث شمل عدد من علماء الفروع العلمية الأخرى.

وتظهـــر أهمـــية هذا المصنف من تواجد مُصنفه ضمن فترة تواجد طليطلة تحت الحكم الإسلامي.

٥- "الذخيرة"لابن بسام: رغم أن كتاب الذخيرة ذو طابع أدبي بصورة عامة إلا أنّ ثمرةُ متنوع بين جميع فروع التاريخ السياسية والحضارية.

وقـــد أفاد البحث عند الكتابة عن حكم بني ذي النون، وفي الباب الحضاري في فصل الأحوال العمرانية – بشكل كبير عن قصور ومباني بني ذي النون– وفصل الحياة العلمية في طليطلة.

٦-"ترتيـــب المدارك" للقاضي عياض: وكتاب المدارك لا يعتبر معجماً لأتباع مالك فقط، بل كتاب من أهم كتب تاريخ الحضارة الإسلامية.

وكما قال مؤلف الكتاب فهو من أهم كتب التاريخ والحضارة الإسلامية حيث تم الاستفادة منه في قسم انهيار السلطة الأموية وأثر ذلك على الأحوال في طليطلة، وفي فصل الحياة العلمية في طليطلة.

٧-"كـــتاب الصلة" لابن بشكوال: هو إكمال لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي. وقد أفاد هذا الكتاب في الفصل المعماري، كما ساهم بشكل كبير في إبراز بعض الجوانب الاجتماعية.

وبما أن الكتاب من كتب التراجم الأندلسية المهمة فقد أثرى الفصل العلمي.

٨-"بغية الملتمس" للضبي: الكتاب من جزء واحد عن رجال أهل الأندلس وهو إكمال لما كتبه الحميدي.

ولهذا الكتاب أهمية كبيرة في توضيح الشخصيات الأندلسية وخاصة العلمية منها.

وكانت الإفادة جليلة منه وتحديداً في الفصل العلمي من البحث.

٩-"معجم البلدان" لياقوت الحموي: الكتاب من خمسة أجزاء، وهو قاموس للمدن بصفة عامة.

وقد تشكل لمعجم البلدان دور كبير في إيضاح معظم المدن والمناطق المتعلقة بمدينة طليطلة أو المرتبطة بها بشكل دقيق وواضح مما أعان في توضيح الرؤيا بالنسبة لمحور البحث مدينة طليطلة.

١٠-"الحلة السيراء" لابن الآبار: يتكون هذا المصدر من جزئين وهو من كتب التراجم.

وأفاد هذا المصدر بشكل كبير في إيضاح سير عدد من الشخصيات.

١١-"المغرب في حلي المغرب" لابن سعيد: اعتمد البحث على هذا المصدر بشكل كبير، حيث استفيد منه في كل فصول البحث.

١٢-"البيان المغرب" لابن عذارى: المصدر متكون من أربعة أجزاء واستفيد منه في الجزئين الثاني والثالث.

ولهـــذا المصــــدر دور في إبراز وإيضاح الأحداث وخاصة في نهاية عصر الخلافة وانهيار السلطة ومملكة بني ذي النون.

١٣-"نهاية الأرب" للنويري: هو كتاب متعدد الأجزاء ومتنوع التناولات بين جانب السياسة وجانب الحضارة.

وكانت الاستفادة منه في عصر الإمارة الأموية.

١٤-"صـــفة جزيـــرة الأندلس" للحميري: الكتاب من جزء واحد أراد منه المؤلف ذكر المواضع المشهورة أو التي لها ذكر أو خبر أو لذكرها فائدة لقارئ الكتاب.

ومـــا تمنى مؤلف الكتاب فقد كان للبحث فائدة كبيرة منه في التراجم الجغرافية للمدن والمواضع وللجوانب الجغرافية بصفة عامة، كما حصلت الفائدة في القسم الاقتصادي.

١٥-"أخـــبار مجموعـــة" لمجهـــول: عبارة عن أخبار مجموعة في جزء واحد من فتح الأندلس إلى انتهاء أخبار الأمير عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٥٠هـــ.

وقد اقتصرت الإفادة من هذا المصدر في حقبتي الولاة والإمارة.

١٦-"تـــاريخ افتـــتاح الأندلـــس" لابن القوطية: يعد هذا المصدر من أهم المصادر الأندلسية والذي يجبر الباحثين على الاستفادة منه، وقد أفاد في فترة حكم الولاة بالأندلس.

١٧-"نفـــح الطيب" للمقري: الكتاب يشمل جميع المعلومات والآراء، ويؤكد على معلومـــات المؤرخـــين الســـابقين بإيرادها لديه. وكانت الاستفادة منه في عصر الإمارة الأموية.

١٨-"صـورة الأرض" لابـن حوقـل: مؤلف هذا الكتاب من أهل القرن الرابع الهجري.

وقد أفاد هذا الكتاب عند الحديث عن جغرافية طليطلة وفي الأحوال العمرانية.

أما المراجع التي اعتمد عليها البحث فأهمها:

الحلـل السندسـية لشكيب أرسلان، ودولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان، وكـتاب في تاريخ وحضارة الإسلام للسيد عبد العزيز سالم، وقد تميزت كتابات السيد عـبد العزيـز بالتميز ، وقد تم الاعتماد على أكثرها حيث أخذ واستفيد منها كمفاتيح لبعض الموضوعات.

وبالإضـافة لهذه الكتب هنالك كتاب فجر الأندلس لحسين مؤنس، والإسلام في طليطلة لعبد المجيد نعنعي، وتاريخ الأندلس لكمال السيد أبو مصطفى.

وفي الـباب الحضـاري برز كتاب الفن الإسلامي لمانويل، وفنون الإسلام لزكي محمد حسن.

وفي المجـال الحضاري برز كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز، ومدرسة التفسير في الأندلس لمصطفى المشني.

وبجـوار هـذه الكتـب هنالك ندوة الدرس والتاريخ والتي تواجد بها العديد من الدراسـات السياسـية والحضـارية المفيدة. وبالإضافة لهذه المراجع هنالك العديد من المقالات المنشورة والتي أفادت البحث ومنها:

- السـيد عـبد العزيز سالم: طليطلة، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب ٦١، مج ٢، مطابع الشعب، ١٩٥٩م.

- سعد عبد الله البشري: ترجمة الكتب العربية، مجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى، العدد الثاني، ١٤٠٩هـ.
- التهامي الراجي الهاشمي: الأبواب في الأندلس، مجلة المناهل، العدد الثالث عشر، السنة الخامسة، محرم ١٣٩٩هـ - دجنبر ١٩٧٨م، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب.

وكل هذه المصادر والمراجع والمقالات وغيرها مجموعة ومحصورة في قائمة المصادر والمراجع مما رجع إليه في هذا البحث واعتمد عليه.

التمهيد

تعـد مديـنة طليطلة من أعظم مدن الأندلس سواءً من ناحية الموقعِ أو الناحية السياسية أو الحضارية.

وللفظ طليطلة في النطق ثلاث صيغ هي:

أولاً: ضم الطائين وفتح اللامين وسكون الياء[1] [طُـلَـيْـطُـلَـةَ].

ثانـياً: ضم الطاء الأولى وفتح الطاء الثانية [طُـليطَـلة]، وهذا النطق مما سُمِعَ من أهل المغرب[2].

ثالثاً: ضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون المثناة من تحت وكسر الطاء الثانية ثم لام وهاء[3] [طُـلَـيْـطِـلـة].

ومـن خلال هذه الصيغ الثلاث يُلاحَظ أن الصيغة الأعم والأكثر استخداماً هي الصيغة الأولى، وذلك من خلال توارد ذكرها في المصادر .

وقد ذكر البكري أنها كانت تسمى في اللاتينية تولاطو[4] وهو قريب مما ذكره المؤرخ

---

(1) محمـد بـن علي بن الشباط المصري التوزري: *قطعة من وصف الأندلس وصقلية* من كتاب صلة السمط وسمة المـرط، تحقـيق أحمد العبادي: وصف الأندلس لابن الشباط، صحيفة الدراسات الإسلامية، مج١٤، ١٩٦٧م-١٩٦٨م، مدريـد، أسبانيا، ص٣٩. الشيخ الإمام شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي الـبغدادي: معجـم البلدان، ج٤، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٤٥.

(2) صـفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، دار إحياء الكتب العربية، ص٨٩٢.

(3) السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل المعروف بأبي الفداء: كتاب تقويم البلدان، صححه رينود مدرس العربية والبارون ماك كوكين ديسلان، ١٨٤٠م، دار الطباعة السلطانية، باريس، ص١٧٦.

(4) ابـو عبـيد البكري : جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، ط ١، ١٣٨٧هـ -١٩٦٨م ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص ٨٦ .أبي عبد الله محمد بن عـبد الله الحمـيري : صـفة جزيـرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص١٣٣ .

الـــروماني تيتليف، حيث ذكر أنها [طـــُلـــيـــطُـــم] Toleteum[1]. ومعنى طليطلة متفق عليه وهو أنت فارح أو فرح ساكنها وذلك لحصانتها ومنعتها[٢]

وتقع طليطلة في الإقليم الخامس من الأقاليم التي تشكل ربع معمور الأرض[٣].

كمـــا أنها تقع بالنسبة للأندلس في وسطها تقريباً (انظر الخريطة ١)، وأفضل ما قيل في توســـط طلـــيطلة "*هـــي من الجزيرة كنقطة الدائرة، وواسطة القلادة، تدركها من جميع نواحيها، ويستوي في الأضرار بها قاصيها ودانيها*"[٤].

ويظهـــر توسط طليطلة لبلاد الأندلس، أن السفر منها إلى عدة مدن بالأندلس يستغرق تسع مراحل –٤٥٠كلم– إلى هذه المدن.

وهـــذه الـــمدن المتساوية في الزمـــن هي قرطبـــة ، وبلنسيـــة[٥] ، والمريـــة[٦]

(١) الأمير شكيب أرسلان: الـــحلل السندسية في الأخبار والآثـــار الأندلسية، ج١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص٣٦٣.

(٢) البكري: جغرافية الأندلس، ص٨٦. ابن غالب: فرحة الأنفس، لطفي عبد البديع: نص أندلسي جديد – قطعة من كـــتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢، ربـــيع الأول ١٣٧٥هـــ – نوفمبر ١٩٥٥م، جامعة الدول العربية، ص٣٠٧. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣. المقـــري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص١٥٢.

(٣) البكري: جغرافية الأندلس، ص٨٧. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

(٤) عـــلي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١-٢ ، تحقيق إحسان عباس، ١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ص٢٤٩.

(٥) بلنســـية: مدينة في شرق الأندلس، تبعد عن قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ . وهي شرق طليطلة .

(٦) المرية: مدينة محدثة، أمر بناءها أمير المؤمنين الناصر لدين الله سنة ٣٤٤هـــ. انظر الحميري: المصدر السابق، ص١٨٣. وهي جنوب شرق طليطلة.

ولشبونة[1]، وشنت ياقوب[2]، وجاقا[3].[4] ومع أن هذه المدن تقع في أطراف الأندلس إلا أنَّ الحكـــم بدقة مسافة هذه المراحل غير أكيد، وذلك يرجع إلى اختلاف الطرق إلى كـــل مدينة وعدم استقامتها. ويؤيد هذا أن المسافة من طليطلة إلى البحر الجنوبي الذي تطل عليه مدينة المرية عشرة مراحل –٥٠٠كلم، وبينها وبين البحر المسمى أقيانس[5] الذي تطل عليه مدينتي أشبونة وشنترة[6] ثلاث عشرة مرحلة –٦٥٠كلم . كما أنَّ بين طليطلة والبحر الشرقي الشامي الذي تطل عليه مدينة طرطوشة[7] ثلاث عشر مرحلة[8] –٦٥٠كلم.

---

(١) لشـــبونة: أو أشبونة: مدينة غرب باجة، تطل على بحر الظلمات. انظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٦. وهي شرق طليطلة.

(٢) شـــنت يـــاقوب: كنيسة عظيمة في ثغور ماردة، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري. انظر الحميري: المصدر السابق، ص١١٥. وهي شمال غرب طليطلة.

(٣) جاقـــا: وتُذْكَـــر جاقـــة وهـــي تقع إلى الشمال الشرقي من جزيرة الأندلس، ولها ممر يخترق جبال البرتات. انظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي، ص٣٣.

(٤) أبي عـــبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالإدريسي: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، ط١، ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م، عالم الكتب، بيروت، ص٥٣٦.

(٥) أقـــيانس: اســـم لبحر الظلمات، ويقال له البحر الأخضر، وهو المحيط الأطلسي كما يسمى اليوم. انظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٢٨.

(٦) شنترة: من مدائن الأشبونة بالأندلس على مقربة من البحر. انظر الحميري: المصدر السابق، ص١١٢.

(٧) طرطوشـــة: مـــن بلنســـية إلى طرطوشة مائة وعشرين ميلاً، مسيرة أربعة أيام، وهي في سفح جبل. انظر الحميري: المصدر السابق، ص١٢٤. وهي شرق طليطلة.

(٨) ابـــن حـــيان القرطبي: المقتبس، ج٥، اعتنى بنشره ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورينطي وم. صبح وغيرهما، ١٩٧٩م، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ص٢٧٨.

ويلاحظ أنّ طليطلة تميل إلى جنوب الأندلس عن الشمال[1]. ولا أدل على هذا أن وسط الأندلـــس هـــو جبل الشارات وطليطلة تقع جنوبه[2]. ولأهمية موقع طليطلة فقد قُرن بمواقع مدن الأندلس، وكانت هناك إشارات كثيرة مقترنة بطليطلة، كان لقرطبة العاصمة الإسلامية نصيب الأسد.

فطليطلة تقع شمال شرق قرطبة حاضرة الدولة الأموية وأشهر مدن الأندلس.

ولم تقتصـــر المقارنـــة بين طليطلة ومدن الأندلس فقط، بل خرجت هذه المقارنة إلى مدن خـــارج الأندلس. فقرن بين طليطلة –وسط الأندلس– ومدينة رومية[3] – قاعدة دولة الروم [4]– ولا أدل على هذا إلا لما كان لطليطلة من مكانة كبيرة بين المدن.

وتقع طليطلة جنوب غرب العاصمة الأسبانية مدريد حالياً.

ومـــن خـــلال هذا يتضح أنّ طليطلة متوسطة لجزيرة الأندلس، وهذا مما أكسبها سهولة الاتصال بالمدن الأندلسية الأخرى.

كما شكل هذا التوسط عاملاً رئيسياً للتأثيرات السياسية والحضارية، مما أفاد طليطلة في تبادل المنافع وانتعاش اقتصادها.

---

(1) شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج١، ص٣٦٣.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣٦.

(3) رومية: هي إحدى عواصم الروم. انظر البكري: جغرافية الأندلس، ص١٩٢.

(4) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، ط١، شباط ١٩٨٥م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص١٥٨. عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ص١٢ – ١٣.

ومن ناحية جغرافية طليطلة، فهي تقع على مرتفع[1] عبارة عن هضبة صخرية ترتفع عن سطح البحر بأكثر من ٥٠٠م (انظر صورة١). ويحيط بطليطلة نهر تاجة من ثلاث جهات عدا جهة واحدة هي الجهة الشمالية على شكل يقرب من ثلثي الدائرة[2] (انظر صورة٢).

وينبع نهر تاجة من سلسلة جبال الشارات[3]ويستمر بجريانه إلى أن يصب في المحيط الأطلسي عند مدينة لشبونة[4]. وبالإضافة إلى إحاطة نهر تاجة فإن طليطلة محاطة بالجبال، ويذكر أنَّ عددها سبعة جبال[5].

وأهم الجبال المحيطة بطليطلة سلسلة جبال الشارات في شمالها وسلسلة جبال أوريتانا – Cordiller Oretana– في الجنوب. وأهم أجزائها جبال طليطلة[6].

أما سطح طليطلة الداخلي فيقل فيه استواء الأرض[7]، بالإضافة إلى أن بطليطلة جبل عرف بجبل عمروس[8].

---

(١) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٧٧.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ١٩٩٨م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص٦.

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص٢٧٩. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٣.

(٥) أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي: كتاب مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، ١٩٢٧م، مطبعة بريل، ليدن، ص٤٢.

(٦) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ج١، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٣٣.

(٧) شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج١، ص٤٢٤.

(٨) ابن القوطية القرطبي: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع، راجعه ووضع فهارسه عمر فاروق الطباع، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص٩٩.

ومن خلال ما سبق يظهر أن طليطلة تتميز بموقع استراتيجي وجغرافي هام، حيث أنها تتمتع بحصانة طبيعية كبيرة يندر أن توجد في مدينة أخرى. فهي محاطة بنهر تاجة الكبير بالإضافة إلى سلاسل جبلية كبيرة. وبهذا فإنه يصعب على الجيوش البرية التي تقل بها وسائل الملاحة أن تعبر نهر تاجة كما يصعب عليها عبور السلاسل الجبلية حيث إنها ستحتاج إلى زمن طويل بالإضافة إلى إنهاك الجيش حال وصوله.

أما من ناحية مستوى ارتفاع طليطلة عن البحر، فإن هذا يساعدها على الإشراف على المناطق المجاورة لها، كما أنه يعتبر من أدوات صعوبة الوصول لطليطلة.

وهذه الأحوال الجغرافية هي من العوامل التي شكلت أهمية وعظم طليطلة على مر التاريخ. فهي من أشهر المدن والثغور، وأَجَلّ المدن قدراً وأشدها حصانة[١].

ولا أدل على ذلك إلا سؤال امبراطور القسطنطينية لأحد رسل بني أمية عن طليطلة والمدوّر سؤالاً لم يسأل عن شيء آخر مثله[٢].

ومن منطلق أهمية طليطلة فقد أُتخذت قاعدة لإقليمها تتبعها العديد من المدن والقلاع. ولم يكن هذا في العصر الإسلامي فحسب، بل من قبل دخول الإسلام للأندلس. فقد جعلها قسطنطين قاعدةً للجزء الرابع من أقسام الأندلس. وتتبعها تسع عشرة مدينة منها مدينة أوريط[٣] ومدينة شغوبية[٤] ومدينة وادي الحجارة[٥] وغيرها من المدن[٦].

---

(١) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٨. الأصطخري: مسالك الممالك، ص٤١.

(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج١، تحقيق شوقي ضيف، طبعة ثانية منقحة، دار المعارف، مصر، ذخائر العرب١٠، ص٢٢٧.

(٣) أوريط: مدينة قديمة بالأندلس، كانت عظيمة مذكورة مع طليطلة، وهي معها في حد واحد من قسمة قسطنطين، وإنما عمرت قلعة رباح وكركي بخراب أوريط . انظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٣٣.

(٤) شغوبية: ليست مدينة، إنما هي قرى كثيرة متجاورة متقاربة متلاصقة، ومنها إلى طليطلة مائة ميل. انظر الحميري: المصدر السابق، ص ١٠٤. وهي شمال طليطلة.

(٥) وادي الحجارة: وهي مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً. انظر الحميري: المصدر السابق، ص١٩٣. وهي شمال شرق طليطلة.

(٦) البكري: جغرافية الأندلس، ص٥٩-٦٢-٦٣.

واستمرت طليطلة على ذلك في العصر الإسلامي، فكانت أحد كور الأندلس وولاياتها.

وكـــان يوســـف الفهري في تقسيمه الإداري للأندلس قد جعل طليطلة أحد الولايات الخمـــس. وكانـــت ولاية طليطلة تمتد من جبال قرطبة حتى نهر دويرة (الدورو) وجبال الحجـــارة شمـــالاً[1]. وقـــد تبع طليطلة العديد من الأقاليم والمدن. فمن الأقاليم أقليم شنشلة[2]، وإقليم الأشبورة [3]، وإقليم القاسم[4] وغيرها[5].

ومـــن المـــدن: وادي الحجـــارة، وقلعـــة ربـــاح[6]، وطلمنكة ، ومجريط[7]، وطلبيرة[8] ، وأقليش[9]وغيرها[10].

---

(1) محمـــد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ط٣، ١٤٠٨هـــ — ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١٣٢.

(2) إقلـــيم شنشلة: ناحية من أعمال طليطلة من جهة القبلة وهي كبيرة بها حصون ومدن وقلاع. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص١٨.

(3) إقلـــيم الأشـــبورة: ناحية بالأندلس من أعمال طليطلة، ويقولون أشبورة من أعمال استجة. انظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج١، ص٢٣١.

(4) إقلـــيم القاســـم: مـــن أعمـــال طلـــيطلة ونواحي عدة، ويذكر بأنه حصن. انظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج٤، ص٣٣٥.

(5) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٨—٢٨٩.

(6) قلعـــة رباح: هي بين قرطبة طليطلة، وهي محدثة في أيام بني أمية. انظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٣. وهي جنوب طليطلة.

(7) طلمـــنكة: مديـــنة بـــثغر الأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً. انظر الحميري: المصدر السابق، ص١٢٨. وهي شمال شرق طليطلة.

(8) مجـــريط: مديـــنة بالأندلس شريفة، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، انظر الحميري: المصدر السابق، ص١٧٩. وهي شمال طليطلة.

(9) أقليش: مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتبرية، وهي محدثة، بناها الفتح بن موسى بن ذي النون. انظر الحميري: المصدر السابق، ص٢٨. وهي شرق طليطلة.

(10) المقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ . أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الاندلس ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، منشأة المعارف الاسكندرية، ص ١٥ .

وإكمـــالاً لجغرافية طليطلة فمناخها يتصف بالحرارة في فصل الصيف، والاعتدال المائل للدفء في فصل الشتاء.

أما الأمطار فهي هطل في فصل الشتاء، كما أنَّ الصقيع يتكون على قمم الجبال[1].

ومما سبق يظهر جلياً أهمية مدينة طليطلة وموقعها الجغرافي.

وعـــن نشـــأة هذه المدينة، فمما أُطْلِقَ على طليطلة مدينة الملوك[2] وذلك لكثرة الملوك الذيـــن حكموا بها حيث كانت عاصمة لملكهم، ويقال بأن عدد هؤلاء الملوك بلغ اثنين وسبعين ملكاً[3].

وابـــتداءً فتأسيس طليطلة ونشأها غير معلوم بشكل دقيق، فرواية تشير إلى وجودها في عهـــد الفينيقـــيين مـــن غـــير تحديـــد فترة محددة، ورواية تشير إلى أنَّ الذي بناها هو ديوسقيوس[4].

وروايـــة أخرى تشير لبنائها من قبل اليهود في القرن السادس قبل الميلاد حيث أقاموها مســـتودعاً لمعـــدن الذهـــب في أســـبانيا[5].ويشير ابن عذاري إلى أن أكتبيان قيصر[6]

---

(١) حسن عبد العزيز أحمد: جغرافية أوروبا، ١٤٠٢هـــ — ١٩٨٢م، دار المريخ للنشر، الرياض، ص٥٥ — ٥٦.

(٢) زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ١٤٠٠هـــ — ١٩٨٠م، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص٥٤٥.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٥٢.

(٤) ابـــن حـــيان : المقتبس ، ج٥ ، ص ٢٧٢ . ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : تاريخ بن خلدون المسمى بكتاب العـــبر وديـــوان المبـــتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج ٤ ، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، لبنان ، ص ١٤٠ .

(٥) بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف، مج١١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٣٣٥ — ٣٣٦.

(٦) تولي حكم الإمبراطورية الرومانية بعد مقتل قيصر سنة ٤٤ق.م. وتأكدت زعامة اكتافيوس (اكتبيان) بعد القضاء على خصمه انطونيوس في موقعة اكتيوم ٣١ق.م. انظر سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ط٨، ١٩٨١م، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص٢٤.

هــو الذي بنى طليطلة[1]. ولا يوجد ما يؤيد أحد الروايات المذكورة، ولكن المؤكد هو وجودها قبل القرن الثاني قبل الميلاد، وذلك لوجود إشارة بأن الرومان دخلوا طليطلة في عـــام ١٩٢ق.م. كمـــا أن الـــبكري يقـــول : " ومدينة طليطلة ... الفتها القياصرة مبنـــية" [2]وقد استمر حكمهم لطليطلة أكثر من ستة قرون حيث سقط على يد القوط بدخولهم طليطلة في عام ٤٦٧م[3].

ومـــنها اســـتطاع القـــوط بسط يدهم على كامل أسبانيا. وقد جعل القوط من طليطلة عاصمة لهم وحكم منها ستة عشر ملكاً. آخرهم لذريق[4]الذي هزمه المسلمون ودخلوا عاصمته في عام ٩٢هـــ - ٧١١م.

وممـــا سبق يظهر جلياً ما لطليطلة من عظم جغرافي سواء في الموقع أو التكوين عن المدن الأخرى.

---

(١) ابـــن عـــذارى المراكشـــي: كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق ليفي بروفنسال وج. س. كولان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص١٤.

(٢) البكري : جغرافية الأندلس ، ص ٨٧.

(٣) الســـيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٥١. بطرس البستاني: دائرة المعارف، مج١١، ص٣٣٥ - ٣٣٦.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢.

الباب الأول

التاريخ السياسي

الفصل الأول : تاريخ مدينة طليطلة منذ الفتح حتى نهاية عصر الخلافة الأموية (٩٢هـ -٤٢٢هـ) .

المبحث الأول : طليطلة في عهد الولاة (٩٢هـ -١٣٨هـ) .

المبحث الثاني : طليطلة في عصر الإمارة الأموية (١٣٨هـ - ٣١٦هـ) .

المبحث الثالث : طليطلة في عصر الخلافة الأموية (٣١٦هـ -٤٢٢هـ) .

الفصل الثاني : طليطلة في عصر ملوك الطوائف (٤٢٢هـ - ٤٧٨هـ) .

المبحث الأول : انهيار السلطة الأموية وأثر ذلك على الأحوال في طليطلة .

المبحث الثاني : طليطلة تحت حكم بني ذي النون حتى سقوطها في أيدي الأسبان ٤٧٨هـ .

المبحث الأول :
طليطلة في عهد الولاة

مدينة طليطلة مدينة قديمة تعود إلى ما قبل الرومان . وقد استطاع القائد الروماني مـــاركوس فولفبوس نوبليور – **Marcus Fulvius Nobilior** – من الاستيلاء علـــيها قرابة عام ١٩٠ق.م . ولكن بسبب جفاوة الرومان تعرض حكمهم للثورة من أهل البلاد في حكم كايوس كالبورنيوس بيزون – **Caius Calpurnius Pison** – غير أنهم تمكنوا من استعادة المدينة[١].

وقـــد كانـــت طليطلة دار الملك ومقاماً للولاة في حكم الرومان[٢] بعد أن نقلوا العاصـــمة إليها من مدينة طالقة[٣] . كما أنها كانت مثار تنافس وتنازع بين قواد الروم عـــلى حكمهـــا ، حتى أدى ذلك إلى خروج أهلها عن الحكم الروماني ، وذلك على يد القـــائد بـــرباط الـــذي تمكن من أن يتحصن في طليطلة لمدة سبعة أعوام زاد خلالها من حصـــانة طليطلة[٤]. ولكنه قتل غدراً من أحد أصحابه[٥]، الذي حصل على وعود من الرومان على الأرجح. غير أن رجلاً من أهل برباط يدعى أنيش تمكن من إكمال سياسة برباط بطليطلة.

ومـــع هذا القائد استخدم الرومان أسلوب تأليب أهل طليطلة على حاكمهم . وأدت هـــذه السياســـة إلى قيام بعض أهل طليطلة بالثورة ، وقتل انيش وإرسال رأسه

---

(١) السيد عبد العزيز سالم :طليطلة ، كتاب الشعب ٦١ ، مج٢ ، ١٩٥٩م ، مطابع الشعب ، ص٢٩–٣٠.

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٥٣٦ .

(٣) طالقـــة : مديـــنة بالأندلس ، بقرب اشبيلية ، وهي من المدن القديمة . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٢٢ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٢ – ٢٧٣.

(٥) ابن حيان : المصدر السابق ، ص٢٧٢–٢٧٣. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج٤ ، ص١٤٠ .

للقائد المحاصر، ثم مكنوا المحاصرين من المدينة ليلاً[1]. ورغم عودة طليطلة للحكم الروماني إلا أن هنالك إشارة إلى تطور حال طليطلة من مدينة تابعة لرومه إلى قاعدة ترسل منها الجيوش لمهاجمة المدن المجاورة ومنها مدينة رومه ذاتها. وهذا ما حدث في عهد القائد شنتيلة عندما خرج عن أمر ملوك رومه . وهاجم الكثير من البلاد ، بل حاصر رومه نفسها[2].

وهذه الأعمال الخارجة ضد الحكم الروماني دفعت ملك رومه الأكبر يوليوش للخروج بجيش إلى طليطلة ، والتي كان يحكمها رجل يدعى أنتنش . ولكن رغم هذا لم تتغير حصانة طليطلة ، فعاد الملك خائباً[3]. ومن هذه الفترة تنقلت الأندلس – ومنها طليطلة – بين حكم البشكنس والشوانيين والشبونقات[4].

ولكن للأسف ليس هنالك وصف دقيق أو تفصيلي لهذه الفترة . ولم يهتم المؤرخون المسلمون بها أيضاً.

ويظهر أن هذه الأجناس كانت تحكم ايبيريا في فترة مقاربة لمبعث المسيح عليه السلام[5] تحت غطاء أسمى لحاكم رومه على أقل تقدير.

ودام حكم هؤلاء فترة من الزمن الى أن اجتاح القوط البلاد، وأنهوا الحكم الروماني وذلك في القرن الخامس الميلادي. غير أن مدينة طليطلة قد استعصت على

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٢ – ٢٧٣ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٤٠ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٤٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٣ – ٢٧٤ .

(٤) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص٦ . القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥ ، ص٢٣٨ . المقرى : نفح الطيب، ج١ ، ص١٣٥ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٢٣٨ .

القــوط فــترة من الزمن . مما دفع القوط للاستقرار في طركونة[1]، إلى أن تمكن قائدهم أيوريكو – **Earico** من ضمها[2].

وبضــم طلــيطلة أصــبحت هي العاصمة للحكم القوطي والقاعدة العسكرية لتمركز جيوشهم وانطلاقها لوجهاتها[3].

وعــن ملــوك القــوط وأسمائهم وترتيبهم هنالك اختلاف كبير في هذا. ولكن الأرجح في أسمائهم وترتيبهم الآتي :

أولهــم شــنتليه الــذي تولى في السنة الأولى قبل الهجرة النبوية ، وتوفي في سنة ٦هـــ-٦٢٧م. ثم تبعه سشنادس الذي دام حكمه إلى سنة ١٢هـــ – ٦٣٣م . ثم تتابع بعده كل من حندس ثم وامبا ثم أرْوِي . وكان الأخير قد تمكن من جعل الحكم لابنه من بعــده . لكــن هــذا الأبن رغم حكمه لمدة ستة عشر سنة إلا أن رعيته كرهوه لسوئه وقســوته[4]. أمــا غيطشة بن ونقة فقد تولى سنة ٧٧هـــ- ٦٩٦م لمدة ١٢ سنة توفى بعدها عن أبناء ثلاثة صغار[5]. وأمام حالة الضعف هذه خرج أحد قواد الملك المتوفى عن الحكم وطمع به ، وهذا القائد هو لذريق. وقد كان له ما أراد بدخوله طليطلة ومقامه بها

---

(١) طــركونة : بيــنها وبين لاردة خمسون ميلاً . وطركونة مدينة أزلية، قاعدة من قواعد العمالقة. تقع للشرق من طليطلة على ساحل البحر المتوسط. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : طليطلة ، دائرة معارف الشعب ، مج٢ ، ص٣٠.

(٣) ابــن القوطــية : تــاريخ افتتاح الأندلس ، ص٢٨. البكري : جغرافية الأندلس، ص٨٧. أبو محمد الرشاطي وابــن الخــراط الأشبيلي : الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق : إيميليو مولينا و فاثينتوبوســك بــيلا، ١٩٩٠م ، المجلــس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ص١٥١. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٣-١٧٦ .

(٤) ابــن حــيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٤ – ٢٧٥. حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ط١ ، ١٩٥٩م، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر ، ص١٢.

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٥ . ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٧٣ .

مقام الملوك[1]. وبقيام لذريق على الحكم أخذ يثبت أمر دولته داخلياً وخارجياً. واستمر في الحكم إلى أن هزمه طارق بن زياد في عام ٩٢هـ - ٧١١م.

وإلى هـذا التاريخ أكمل القوط في حكم جزيرة إيبيريا قرابة عدة قرون ملكوا خلالها الأندلس أفخم ملك[2].

أمـا بالنسبة للفتح الإسلامي ، ففي الفترة التي كان فيها خروج لذريق على الحاكم القوطي، كان القائد موسى بن نصير والي أفريقية قد أكمل فتح بلاد المغرب الأقصى حتى وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي ولم يستعص عليه سوى مدينة سبتة[3]، وذلك لحصانتها وتبعيتها للحكم القوطي. وأمام ذلك أقام موسى مولاه طارق بن زياد على مدينة طنجة[4] المجاورة لها لتضييق الخناق عليها واستغلال الفرصة لفتحها.

وعن حاكم سبتة فهو يليان أحد خواص الملك لذريق . وكان يليان يرسل ابنته إلى بلاط الحكم كما هو عادتهم في تلك العهود. وكان يتردد هو على البلاط كل عام مرة في شهر أغشت[5] .

ويذكر أن يليان هذا قام بعرض دخول الأندلس على موسى بن نصير، وذلك لحقده على لذريق الذي اغتصب ابنته. ولا يعتقد أن هذا الأمر كافياً ومقنعاً بأنه السبب الوحيد لفعلة يليان هذه. بل من المرجح الأكيد أن تكون هنالك خلافات أخرى سابقة

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٣. أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٥ ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، عالم الكتب، القاهرة ، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص١٥٦ .

(٣) سبتة : بلد مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج ٣ ، ص٢٠٦.

(٤) طنجة : بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٩ .

(٥) ابن الكردبوس : قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، أحمد مختار العبادي : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مج١٣ ، ١٩٦٥-١٩٦٦م ، مدريد ، أسبانيا ، ص٣٧ .

أو أن يليان من الرافضين لطريقة لذريق في تولي الحكم حيث أن طريقته تعد اغتصاباً من الأسرة الحاكمة . وكان أمر ابنة يليان من الأمور المحركة.

وعــلى كلٍ فإن يليان لم يقدم هذا العرض والمساعدة إلا بعد أن وثق أمره لدى موسى بن نصير. وتم هذا الأمر في عقب سنة تسعين هجري[1].

وهنا يلاحظ أن القائد موسى بن نصير لم يتحرك بسرعة وراء كلام يليان – رغم أن هدفــه هو نشر الإسلام في أكبر بقعة في الأرض – بل بقي فترة من الزمن يتوثق من الأمر ويرسل إرساليات للتحقق مما وصفه له يليان.

وبعــد ما توثق موسى بن نصير من الأمر بإرسال السرايا الاستطلاعية . وموافقة الخليفة على الفتح، بعث مولاه طارق بن زياد لفتح الأندلس . وكان دخول طارق لبلاد الأندلس بعد سنة من ولاية لذريق[2].

وعندما علم القوط بنزول الجيش الإسلامي أرسلوا جنوداً من قرطبة اجترؤا على المسلمين . ولكن النصر كان للمسلمين وقتل عدد كبير من القوط[3].

ومــا أن عــلم لذريق بذلك ، من خلال ما وصل إليه من أهل قرطبة والمناطق المجــاورة لها[4]، فإنه أحس بفداحة الأمر. فترك ما كان منشغلاً به من ملاحقة للمتمردين والثائرين في بنبلونة[5] وتوجه إلى عاصمة طليطلة.

---

(١) مجهــول : أخــبار مجموعــة في فتح الأندلس وذكر أمرائها – رحمهم الله – والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، ط١ ، ١٤٠١هــ – ١٩٨١م ، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني ببيروت، ص١٦ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٣–٥ .

(٣) ابــن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله : فتوح مصر وأخبارها، ١٩٣٠م ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص٢٠٦–٢٠٧.

(٤) محمد عبد الله عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ط٢ ، ١٣٩٠هــ–١٩٧٠م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ص١٣١ .

(٥) بنبلونة : مدينة بالأندلس ، بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً، بها كانت دار مملكة غرسية بن شانجة سنة ٣٣٠. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص٥٥ . وهي شمال طليطلة.

حيـــث جهز جيشاً تعداده زهاء أربعين ألف مقاتل . وكان اللقاء بين طارق بن زياد ولذريق على وادي لكة[1] من كورة شذونة[2] ، في يوم الأحد الثامن والعشرين من شـــهر رمضـــان سنة اثنين وتسعين للهجرة - ٧١١م . واستمر القتال بين الطرفين لمدة ثمانية أيام ، كانت الغلبة والنصر بها للمسلمين في يوم الأحد الخامس من شهر شوال[3] . أما القوط فقتل منهم خلق كثير، واختلف في مصير ملكهم[4].

وأضـــحت الأندلس بعد موقعة شذونة ميسورة المنال أمام زحف المسلمين الظافر نحو مدنها المختلفة.

وعرض يليان على طارق مساعدته بالادلاء كما عرض عليه أن يتوجه مباشرة إلى طلـــيطلة ويفرق جنوده على المدن الأخرى. وهذا ما يؤيد حقد يليان على حكم لذريق ولـــيس لمجـــرد اعتدائه على ابنته بطليطلة . وأمام هذا الأمر قام طارق بن زياد بتوزيع جيوشه من استجة[5] إلى المدن الأخرى. فأرسل مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة ومعه سبعمائة فارس[6]. كما أرسل جيشاً إلى مدن أُخرى. وسار طارق بمعظم الجيش المكون من عرب وبربر وموالى وغيرهم[7] إلى طليطلة. ووافق مسيره مسير مغيث الرومي لقرطبة[8].

---

(١) وادي لكة : موضع من أرض الجزيرة الخضراء. انظر الحميري: المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٢) شذونة : كورة مجندة متصلة بكورة موررور . انظر الحميري : المصدر السابق ، ص١٠٠، وهي جنوب طليطلة.

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، تحقيق حسين مؤنس ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، دار المعارف ، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٤) ابن الآبار : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٣٣ - ٣٣٤. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص٨.

(٥) اســـتجة : بين القبلة والغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٤. وهي جنوب طليطلة.

(٦) مجهـــول : أخـــبار مجموعة ، ص١٩-٢٠. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٩. لسان الدين بن الخطيب: الـــلمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، ١٣٤٧هـــ، المطبعة السلفية، القاهرة ، ص١٦. المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص٢٤٤.

(٧) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٧٨.

(٨) محمـــد بن الوليد الطرطوشي: سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياتي، ط١، آب/ أغسطس ١٩٩٠م، رياض الريس للكتب والنشر، ص٥٠٧.

وعـــن طـــريق طارق بن زياد إلى طليطلة ، فقد عبر الوادي الكبير عند منجبار ســالكاً طريق هنيبعل[1] الذي يمر بجيان[2] وهو طريق معمور[3]. ويتضح من الطريق أنه ميســر ومختصـــر شـــيئاً ما لتوفير الوقت. وفي هذه الأثناء يظهر أن كبار القوط كانوا يــتجهون إلى طليطلة فراراً من الجيوش الإسلامية. ولم يستثنى من ذلك أحد حتى سكان مديـــنة قرطبة ، فعند وصول مغيث الرومي إلى مشارفها سأل أحد الرعاة – الذي قبض علـــيه – عن قرطبة فأخبره برحيل عظمائها إلى طليطلة وأنه لم يبق بها سوى أربعمائة من حماتها مع ضعفائها وملكهم[4]. وأمام هذا فإن طارق بن زياد كان على أهب الاستعداد لفـــتح طلـــيطلة . ولكن حال وصول طارق لطليطلة وجدها شبه خالية ليس بها سوى اليهود وبعض النصارى[5] الذين يرجح أنهم من ضعفاء المدينة. وربما فر أهلها من الحرب والطعن ، حاملين معهم ثرواتهم وأموالهم.

وبهـــذا دخلـــت مديـــنة طليطلة أقوى معقل قوطي[6] في دائرة المدن الإسلامية المفـــتوحة. ولم يوجـــد بمناسبة فتح طليطلة سوى إشارة منفردة لأمر موسى لطارق بفتح هـــذه المديـــنة المهمه[7]. وحول عدم أمر موسى بن نصير لطارق بالتوجه لطليطلة ، فإن طـــارق كـــان أمام عدة احتمالات : إما أن يعود للمغرب ويضيع ما كسبه من انتصاره عـــلى لذريق – إن كان إرساله لغرض معين – أو أن يتوجه إلى قرطبة التي لم يبق بها كما ذكرنا سوى أربعمائة رجل من حماتها، وقد يؤدي هذا لطول حصارها مما سيجعل القوط

---

(١) هينـــبعل : هـــو ابـــن هميلقار قائد قرطاجي فينيقي الأصل من أعظم رجال الحرب (٢٤٧–١٨٣ ق.م) . انظر ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢١.

(٢) جـــيان : مدينة بالأندلس ، بينها وبين بيّاسة ستون ميلاً. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص٧٠. وهي تقع جنوب طليطلة.

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٢١–٢٢.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٠.

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٢٢.

(٦) المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٤٨.

(٧) أبي القاسم بن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٢٠٨.

يتكتلون في طليطلة ويتحصنون بها أو يخرجوا منها مهاجمين للجيش الإسلامي، والاحتمال الأخير – وهو ما حدث – أن يتوجه طارق إلى طليطلة ويقطع على القوط أمر توحدهم[١] بعد إشغال قرطبة بجيش يحاصرها، ولأن بسقوط طليطلة تصبح المناطق الجنوبية للأندلس محصورة بين المسلمين في مدينة طليطلة شمالاً والمسلمين في الساحل المغربي والساحل الأندلسي الجنوبي.

وبهذا فإن طليطلة هي الاتجاه السليم والهدف الصائب لطارق بن زياد. كما أن الأوامر لا تتطلب حرفية التطبيق في الأمور العسكرية وخاصة في تلك الفترة ، لما للقائد الميداني من معرفة دقيقة بالأحوال المحيطة وتتطورها قد يجهلها القائد الأكبر . ومن طليطلة أتت المرحلة الثانية حيث كانت طليطلة مكاناً لإراحة الجيش وإعادة تنظيمه . فبعد أن نظم طارق أمور المدينة أبقى بها حامية بالإضافة إلى اليهود الذين بها.

ثم توجه منها لملاحقة القوط الفارين. فتوجه إلى وادي الحجارة ثم إلى مدينة المائدة[٢] التي تقع خلف جبل عبره طارق من فج سمي باسمه فيما بعد[٣].

ثم انتقل طارق بن زياد إلى مدينة أمايا[٤] – وتذكر ماية – وتحصل بها على العديد من الغنائم والأموال[٥].

ومن مدينة أمايا توجه طارق للشمال الأندلسي وأخذ يتجول بأرض جليقية[٦] لإبراز القوة وإخافة أهلها خاصةً أنه لم يخض معارك هنالك[٧] . وفي هذه الفترة حل شهر

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١٩-٢٠.

(٢) مدينة المائدة : في أحواز طليطلة ، سميت بذلك لوجود المائدة المنسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام بها. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٩.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٢ . المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص٢٤٨.

(٤) أمايا : مدينة بالأندلس ، حددها قسطنطين في الجزء الثالث. انظر البكري : جغرافية الأندلس، ص٦٢.

(٥) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٣-٢٤. عبد الواحد ذنون طه : دراسات في التاريخ الأندلسي- نص أندلسي من تاريخ ابن أبي القياض ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص١٢٧.

(٦) جليقية : هي التي تلي المغرب ، وتنحرف إلى الجوف.انظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٦٦. وهي شمال غرب طليطلة .

(٧) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٤ . المقرى :نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٤٨.

أكتوبر وحل معه برد الخريف[١] ففضل طارق العودة بجيشه قبل حلول الشتاء إلى طليطلة خاصة بعد تعب الجيش وثقله مما غنم من الغنائم .

وعن الغنائم فقد أهتم المؤرخون بما حصل عليه طارق منها، وبالأخص تلك المائدة التي أسهب المؤرخون في وصفها. وأغلب الوصف على أنها خليط من الذهب والفضة عليها ثلاث أطواق : طوق لؤلؤ، وطوق ياقوت ، وطوق زمرد[٢]، ويذكر بأنها من زمرد أخضر خالص. وقدرت لدى الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار[٣].

وفي أصل المائدة مقولتين :

الأولى : إنها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام[٤].

الثانية : أنها مذبح الكنيسة بطليطلة[٥].

وفي المقولة الأولى عدة تساؤلات : لماذا لم ترسل المائدة إلى الكنيسة العظمى في روما مباشرة عند نقلها رغم أنها تستخدم في الأمور الدينية ؟ وأين رجال الدين بكنيسة روما وعلى رأسهم البابا حين تركت المائدة في الإسكندرية[٦] ؟ والسؤال الأخير لما لم تنقل المائدة إلى روما أو إحدى المدن المسيحية الكبرى وأخذها في التنقل بين مدن شمال أفريقيا خاصة بعد الفتح الإسلامي لمصر حيث أنه يسهل نقلها عن طريق السفن من الإسكندرية ؟

أما المقولة الثانية : فمن المعلوم أن رجال الدين كانوا يهتمون بأمور الكنيسة، وكانت هنالك أعطيات من الملوك والأمراء وغيرهم ينظم منها احتياجات الكنيسة وقد

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٧٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص١٧. المقرى : نفخ الطيب ، ج١ ، ص٢٥٥.

(٣) المقرى : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٥٢.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص١٧-١٨.

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٧٨.

(٦) الإسكندرية : مدينة بمصر بناها الإسكندر الأكبر. انظر سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى، ج١،ص١٤.

تفـيض الأمور إلى تزيين هذه الكنائس ، وفي هذا المجال المذابح والموائد التي سيقوم كل معطى بتقديم أفضل ممن سبقه وقد وصل الأمر إلى خروج هذه المائدة العظيمة[1]. ولعظم هذه المائدة سماها المسلمون بمائدة سليمان بن داود عليهما السلام لعظم مائدته وعلمهم بها من خلال سير الأنبياء عليهم السلام.

ومما غنم المسلمون غير المائدة أكثر من عشرين تاجاً لملوك القوط[2] المقيمين بالعاصمة طليطلة وهذا من غير الأموال والمعادن الثمينة.

وعن بقاء طارق بن زياد بطليطلة لا يرد عن هذا الأمر شيئاً في المصادر، ولا يعتقد بأنه بقى مكتوف اليدين إلى قدوم موسى بن نصير. فهناك العديد من الأمور التي تحتم عملها، من تنظيم لمدينة طليطلة المقيم بها، وحفظ الغنائم، وبناء مسجد للمسلمين وهو أمر يعد من أوائل ما يقوم به المسلمون حين فتح المدن.

وهنا ربما بنى طارق مسجداً أو حوَّل إحدى الكنائس لمسجد. كما سيقوم بإحكام يده على المناطق والمدن المفتوحة وربما عين حاكماً على كل منها.

وفي رمضان سنة ٩٣هـ - ٧١٢م عبر موسى بن نصير إلى الأندلس، لطلب طارق المساعدة أو لعلمه بحال المسلمين . ويدل على هذا إرسال موسى بن نصير ابنه مروان لطارق قبل جوازه المضيق[3].

وكان خط سير موسى يمر على المدن التي لم يمر عليها طارق بن زياد. ففتح موسى في طريقه اشبيلية وماردة وغيرهما. وبانتهاء موسى من أمر ماردة توجه إلى طليطلة . ويظهر أن عدم توجه طارق لقائده موسى رغم قربه منه كان بأمر منه لأهمية طليطلة ، وللخوف

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٧. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ص٢٦٦.

(٣) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم : الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، ج٢ ، تحقيق طه محمد الزيني، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص٦١ .

بـــأن يقوم القوط على حكمها بعد خروج طارق – حيث يوجد عدد منهم بها – وكان خروج طارق لطليرة لتأمين الطريق لموسى بن نصير واستقبالاً له[1].

وكان توجه موسى لطليطلة في نهاية سنة ٩٤هـــ-٧١٣م[2] بعد أن افتتح العديد مـــن المدن[3]. وقد استقبله طارق كما أشرنا في طلبيرة بموضع يسمى بابد[4]، ويرى بأن اللقـــاء كان على طليطلة . ويظهر أن الاستقبال من طارق كان عظيماً، حيث جلب معه وجوه الناس[5].

وفي لقـــاء طـــارق بموسى أمور يفضل أن لا يمر البحث عليها مرور الكرام. ففي المصـــادر يشار إلى قيام موسى بتوبيخ طارق بن زياد وضربه بالسوط بالإضافة إلى حلق رأسه وتعذيبه أشد العذاب. ثم عفوه عنه بكل بساطة وإرساله لفتح الثغور[6].

وأمام هذا الرأي يرى الباحث أن موسى بن نصير التابعي الجليل لا يقدم أغراضه الشخصية من طمع في أن يكون الفتح باسمه – وهو باسمه لأن طارق مولى له وقائد تابع له أيضاً – أو في الحصول على المائدة كاملة.

كما أن إكمال طارق للفتح بعد مقدم موسى خاصة وأن لموسى العديد من القواد الأفـــذاذ دليل بأن الاختلاف وإن وجد بسيط، وإلا لعزل طارق وولى غيره، خاصة عند علمنا بأن القواد المسلمين يعنيهم الجنود أكثر من البلاد المفتوحة.

وهذا لا يعني عدم وجود غضب من موسى وخلاف مع قائده، ولكنه كان بسيطاً لـــيس بالشـــكل المعظم في المصادر. وإن كان غضب موسى شديداً فإن ذلك كان قبل

---

(١) ابن القوطية القرطبي : أخبار الفتح من الرسالة الشريفية ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، ط١ ، ١٤١٥هـــ – ١٩٩٤م، مؤسســة المعـــارف للطـــباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص١٨٦. حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٩٧.

(٢) مجهول : اخبار مجموعة ، ص٢٦-٢٧ . المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٥٣.

(٣) الدنيوري : الإمامة والسياسة ، ج٢، ص٦١-٦٢.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٦-٢٧. ابن أبي الفياض : كتاب العبر، ص١٣٣.

(٥) المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٥٣.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص١٦. ابن أبي الفياض : كتاب العبر، ص١٣٣.

مقابلـــة طـــارق، حيث أن خبر هذا الغضب قد وصل إلى طارق. فاستطاع بحكمته من تخفـــيفه إلى درجـــة كبيرة ، حيث انه استقبل سيده بشكل جليل مع أعيان الناس ،كما استطاع من إقناعه في أثناء مساءلته[1].

وبعـــد اللقـــاء توجـــه موسى وطارق إلى طليطلة . وبدخولهما أصبحت طليطلة القاعدة الإسلامية الأولى بالأندلس واتخذها موسى مركزاً لحكم الأندلس . فمنها أرسلت بعثة إلى العاصمة الأموية تنقل رسالة بفتح طليطلة[2].

وبقـــى موســـى بـــن نصير في طليطلة مقيماً إلى يوم العاشر من ذي الحجة سنة ٩٤هـــ- ٧١٣م[3].

وفي هـــذه الفترة التي بقى بها موسى بطليطلة أخذ ينظم الأمور في قاعدة حكمه طليطلة وفي خارجها.

ففي طليطلة ضرب موسى أول عملة إسلامية في الأندلس ،وانطلقت منها الدعوة الى الإسلام بين القوط وأهل الأندلس [4]. ولم يكتف موسى بتنظيم أمور المسلمين ونشر الإســـلام في طليطلة وخارجها، بل إنه اهتم بالمسيحيين في طليطلة فأقام أبة أخا غيطشه اسقفاً لطليطلة. ونتيجة لتلك الأمور الحسنة بطليطلة خاصة أقام بها كبار القوط كأخيلا – ابن الملك غيطشة – الذي استقر هو أعقابه من بعده بها[5].

ولم يقتصـــر دور طلـــيطلة على اتخاذها مركزاً إدارياً للأندلس ، وإشرافها على التنظيم الإداري والمالي للولاية ، بل اتخذت قاعدة عسكرية .

فـــبها كانت استراحة الجيوش وتنظيمها والتخطيط للفتوحات القادمة خاصة أنها كانت مركزاً سابقاً لفتوحات طارق .

---

(١) ابن الشباط : صلة السمط ، ص٢٣-٢٤.

(٢) الدينوري : الأمامة والسياسة ، ج٢ ، ص٦٢.

(٣) ابن القوطية : من الرسالة الشريفية ، ص١٨٧.

(٤) عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي ، ط٥ ، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م ، دار القلم ، دمشق ، ص٨٥.

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص١٠٠.

ويظهر ذلك من أن موسى أمر طارق بالخروج أمامه تمهيداً للفتح، وسلك موسى الطريق الذي دخل منه طارق إلى جليقية[1] . وبخروج موسى من طليطلة فإنه توجه إلى أرض جليقية ، فدان له أهلها وطلبوا الصلح، ثم فتح بلاد البشكنس وبلاد الإفرنج، ثم توجه شرقاً إلى سرقسطة[2] ففتحها[3] .

ودلالة على كثرة المدن المفتوحة ذكر أن الأندلس دانت لموسى[4] . كما يذكر بأنه فتح ثمان عشرة مدينة[5].

وبعد هذا الفتح عاد موسى بجيوشه إلى منطلق الحملات طليطلة، وبديهياً فإنه عاد بالغنائم والسبي إليها مما أثراها وأنعش اقتصادها .

ويدل عظم هذه الفتوحات على عظم المركز أو القاعدة التي خرجت منها الجيوش من ناحية الموقع والإمدادات. ولم يطل موسى البقاء في طليطلة حيث أتاه طلب الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بالعودة ، فلبى النداء واستخلف على طليطلة والأندلس ابنه عبد العزيز[6].

وقد قام موسى بنقل العاصمة قبيل عودته لبعد موقعها عن عاصمة الدولة الإسلامية. وذلك لأنه نظر إلى موقعها بالنسبة للبلاد الإسلامية، ولم ينظر لموقعها بالنسبة لبلاد الأندلس[7]. وهذا مما صعب فيما بعد الإشراف على أطراف الأندلس لعدم توسط العاصمة. وإن كان نقل العاصمة في تلك الفترة سليماً للحاجة للقرب من المغرب

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٧٧.

(٢) سرقسطة : في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء، وقاعدة من قواعد الأندلس. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص٩٦. وهي شمال شرق طليطلة .

(٣) الدينوري : الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص٦٤-٦٥. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٦-١٧.

(٤) ابن الشباط : صلة السمط ، ص٣١.

(٥) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص٤٤.

(٦) القلقشندي : مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ١٩٨٠م ، عالم الكتب ، بيروت، ص١٣٨.

(٧) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج١ ، ص٣٦٣ - ٣٦٤.

الإســـلامي ، إلا أنه كان من الأفضل إعادة العاصمة لطليطلة بعد ثبات أقدام المسلمين فيها ،وخاصة بعد استقلال الأندلس ابتداءً من قيام الإمارة الأموية ، ولكن هذا لم يحدث مما افقد طليطلة دورها القيادي لمدن الأندلس والذي دام فترة طويلة.

ولا يكاد نجد ذكر لطليطلة في المصادر التاريخية بعد فتحها ونقل العاصمة منها الى إشـــبيلية وقرطبة ، ولعل ذلك راجع لاستقرار الوضع فيها أو عدم حدوث أمر لافت أو لانشغال المؤرخين برصد ما يدور في العواصم التي حلت مكانها .

ورغـــم صعوبة أمر نقل العاصمة على أهل طليطلة إلا أنهم قد خضعوا لهذا الأمر في تلـــك الفترة ويرجع ذلك لانشغالهم بأمور أهم كنشر الدين الإسلامي وتعلمه ورغبة المســـلمين في تثبيت أقدامهم . وقد يرجع إلى ظنهم بأن أمر العاصمة سيعود إليها خاصة أنه لم يثبت بإشبيلية.

ومـــن هـــذا يظهر أن الأمور بطليطلة كانت مستقرة. وابتعاد المؤرخين عن ذكر طليطلة في هذه الفترة عائد إلى عدم قيام أمر لافت إليها.

وبـــدء ظهـــور طليطلة في الأمور السياسية مع قيام النزاعات العرقية بين العرب والـــبربر، وخاصـــةً في فـــترة ولايـــة عبد الملك بن قطن الفهرى الثانية (١٢٣هـــ - ١٢٤هـــ) - (٧٤٠-٧٤١م) .

حيـــث أن الـــبربر عـــندما ثاروا أقاموا لهم ثلاثة أهداف هي : طليطلة وقرطبة والجزيرة الخضراء[١] . وكانت أعداد البربر كبيرة حيث اجتمعوا من جليقية وأسترقة[٢] ومارده وقورية[٣] وطلبيرة[٤].

---

(١) الجزيـــرة الخضـــراء : يقال لها جزيرة أم حكيم ، والجزيرة في شرقي شذونة وقبلى قرطبة وجنوب طليطلة، ولها أقاليم عدة. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣-٧٥.

(٢) أســـترقة : مدينة شمال الأندلس، وتقع غرب مدينة ليون. انظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي، ص٣٣. وهي شمال طليطلة.

(٣) قوريـــة : بـــالأندلس ، قريـــبة مـــن ماردة، وبينها وبين قنطرة السيف مرحلتان . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٤ . وهي غرب طليطلة.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٤٣-٤٤.

وتوجه قسم كبير من البربر إلى طليطلة وأقاموا عليها حصاراً دام عدة أشهر[(1)].

وهذه الثورة بالإضافة إلى حصار طليطلة، جعلت عبد الملك بن قطن يشعر بفداحة الأمر فطلـــب مـــن بلج بن بشر بن عياض القشيري بأن يقدم من سبتة لمساعدته. وهنا تكون اتحـــاد بين عبد الملك وبلج توجها به إلى البربر المحاصرين لطليطلة ، وعندما علم البربر بذلـــك عبروا نهر تاجه وحلقوا رؤوسهم لكي يفرقوا بينهم وبين العرب ، وذلك إقتداءً بقائدهم[(2)].

وتم اللقـــاء في وادي ســـليط من حوز طليطلة ، وبه عرفت المعركة التي انتهت بانتصـــار عبد الملك ومؤيديه وهزيمة البربر ومقتل عدد كبير منهم. واستمرار العرب في إكمال إخضاع البربر في باقي مدن الأندلس[(3)].

وهـــذه المعـــركة توضـــح أهمية طليطلة حيث استهدفها البربر، وَجَدَّ لها الوالي عبد الملك بن قطن الفهري.

وفي النزاعات العصبية بين اليمنية والقيسية لم تكن طليطلة طرفاً مباشراً فيها، ولم تكن كقرطبة وسرقسطة في مشاركتهما في الصراع. ويظهر ذلك من خلال سرد روايات هـــذه النزاعات ،ولكن هذا لا يعني عدم وجود دور لطليطلة في هذه النزاعات، خاصة وأن ذكـــرها يعود في حصار الحباب بن رواحة للصميل بن حاتم في سرقسطة. حيث أن القيســـية أرســـلت حـــين وصـــولها لطليطلة فارساً للصميل يخبره بالنجدة ويطلب منه الصـــبر[(4)]، ويـــبدو أن مرور القيسية بطليطلة كان للتزود والاعداد الأخير لقوتهم، ولا يستبعد هنا أن من أهل طليطلة من توجه مع هذه القوة.

---

(1) حســـين مؤنـــس : ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي ١٠٢هـ-١٣٦هـ (٧٢١م-٧٥٣م) ، مجلة كلـــية الآداب ، جامعـــة فؤاد الأول ، مج ١٠ ، ج١ ، مايو ١٩٨٤م، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ص٢٠٠.
حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٠٣ .

(2) حسين مؤنس : ثورات البربر ٢٠٠ . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٠٣.

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٣١.

(4) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٠. حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٣٨ .

وقد انتهى هذا النزاع بأن أصبحت سرقسطة بيد الحباب، وخروج الصميل منها.

وعاد الصميل إلى طليطلة وأقام بها. وإقامة الصميل بطليطلة في بادئ الأمر كانت إقامة مقيم ، ولكنها تحولت إلى إقامة والٍ عليها، حيث أن يوسف الفهري أقامه عليها[1] وإلى طليطلة توجه يوسف الفهري قاصداً أن يوجه منها عدة حملات عسكرية.

فأرسل حملتين إلى جليقية والبشكنس ولكنها هزمت[2]. وقبل هاتين الحملتين طلب الصميل من يوسف أن يتوجه إلى سرقسطة لإعادتها والقبض على الحباب ، وقد تم له ذلك[3].

وما أن انتهى يوسف من هذه الأمور حتى أتاه النذير من ابنه في قرطبة بقدوم فتى من قريش من ولد هشام بن عبد الملك وهو عبد الرحمن بن معاوية، وقد عبر إلى الأندلس[4].

ومما سبق يظهر أن طليطلة كان لها دور بارز في النواحي العسكرية وخاصة في أوائل الفتح. فطليطلة تعد القاعدة العسكرية الأولى في توجيه الجيوش والانطلاق منها.

كما أن طليطلة تحولت من مدينة في أواسط الأراضي الإسلامية إلى ثغر ذي أهمية كبيرة، بسبب ما ضاع من الأراضي المفتوحة في شمال الأندلس.

وملخص القول أن طليطلة كانت خلال حكم ولاة الأندلس (٩٢هـ – ١٣٨هـ) (٧١١م – ٧٥٥م) العاصمة الأولى في هذه الفترة والقاعدة المستديمة كما أنها كانت موالية لهؤلاء الولاة وتابعة لهم .

(١) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٠ . المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤٤.

(٣) أحمد إبراهيم الشعراوي : الأمويون أمراء الأندلس الأول، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية ، مصر، ص٥٧-٥٨.

(٤) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٣٤٥ – ٣٤٦. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤٤.

المبحث الثاني :
طليطلة في عصر الإمارة الأموية

بدأ عصر الإمارة الأموية في عام ١٣٨هـ- ٧٥٥م وذلك عندما حكم الأندلس الأمير عبد الرحمن الداخل.

فأثناء دخول عبد الرحمن الداخل للأندلس، كان حاكم الأندلس يوسف الفهري قد عاد إلى طليطلة قادماً من سرقسطة، وذلك لكي يرى مع الصميل بن حاتم أمر هذا الفتى خاصة مع انتشار دعوته بجنوب الأندلس ووقوع الخلل بجيش يوسف الفهري(١).

ومن طليطلة بدأ يوسف في مواجهة عبد الرحمن الداخل . فاستعد منها وتوجه إلى عبد الرحمن الداخل وتقابل معه في معركة المصارة التي انتهت بهزيمة يوسف والصميل وعودتهما إلى طليطلة (٢).

ولم تكن هزيمة يوسف والصميل هذه بنهاية المطاف لهما. فقد قام يوسف بجمع الجيوش من أهل طليطلة ومن أنصاره من المضرية ، بالإضافة إلى قوة من الجند وصلت إليه من ابنه عبد الرحمن. وقد ساعده في ذلك أيضاً هشام بن عروة الفهري عامله على طليطلة الذي تولى أمر طليطلة بعد خروج الصميل لمساعدة يوسف الفهري(٣).

وتقابل الطرفان ولكن الأمر انتهى بإقامة الصلح بين عبد الرحمن ويوسف على أن يقيم يوسف في قرطبة(٤). ولم يدم بقاء يوسف الفهري في قرطبة كثيراً – خاصة بعد محاولة ابنه لدخول القصر بقرطبة ومن ثم فراره لطليطلة (٥)- حيث أنه بعد رفض

---

(١) محمد عنان : تراجم إسلامية ، ص١٤١.

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٨٤. أحمد الشعراوي : الأمويون أمراء ، ص٩١-٩٢.

(٣) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٨٤. أحمد الشعراوي : الأمويون أمراء ، ص٩١-٩٢.

(٤) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ١٢١.

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩٠ .

الصـــميل والقيسية مساعدته للخروج على عبد الرحمن الداخل مرة أخرى، وجد التأييد من البلديين في مارده وطليطلة ولقنت[١] بعد أن راسلهم بذلك[٢].

وكان خروج يوسف الفهري من قرطبة في عام ١٤١هـــ - ٧٥٨م متوجهاً إلى مـــارده. وخـــص يوســـف مـــارده لما بها من موالين له. ويشار إلى أن يوسف توجه إلى طليطلة[٣]، وقد يكون هذا الجمع من الموالين له، كما لمساعدة هشام بن عروة له. وعلى أي حال فقد اجتمع ليوسف عشرون ألفاً من البربر[٤]. وقد يكون الفضل لهشام في جمع هـــذا العدد وإبقائه في طليطلة . وأمام هذا قام عبد الرحمن الداخل بعد سجن الصميل وابن يوسف بإرسال جيش بقيادة عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب أشبيلية لمواجهة يوســـف الفهري. وتم ذلك ودارة الدائرة على يوسف الفهري وقتل عدد من مواليه[٥]. ففر ناحية طليطلة . ويذكر بأنه مر على بعض المدن ومنها توجه إلى طليطلة[٦]، ولم يتوجه يوسف مباشرة لطليطلة لخوفه أن يُسبق إليها ومن ثم يقبض عليه لأنها هدفه في توجهه .

وفي إحـــدى القرى التابعة لطليطلة حين كان يوسف متوجهاً لطليطلة ليحتمي بها لدى عاملها هشام بن عروة، رآه عبد الله بن عمرو الأنصاري فقام بقتله لإراحته وإراحة الناس منه ، ثم أرســـل رأسه إلى قرطبـــة[٧]. وتم ذلك في شهر رجب سنة ١٤٢هـــ-

---

(١) لقنت : من بلاد الأندلس ، وبينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلاً. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٠ .وهي جنوب شرق طليطلة.

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٨٨.

(٣) مجهـــول : المصـــدر الســـابق ، ص٨٨ . ابـــن عـــذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤٩.ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج٤، ص١٢١. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص٣٠٨.

(٤) مجهـــول : أخـــبار مجموعـــة ، ص٨٨. ابـــن عـــذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤٩ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج٤ ، ص١٢١. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص٣٠٨.

(٥) مجهـــول : أخبار مجموعة ، ص٨٨-٨٩-٩٠ . ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٤٩.ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢١. المقرى: نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٠٨ .

(٦) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٩١.

(٧) مجهـــول : المصـــدر السابق ، ص٩١. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٥٠. المقرى : نفح الطيب : ج٤، ص٣٤ .

٧٥٩م[١]. وحـــال وصـــول رأس يوسف الفهري أمر عبد الرحمن الداخل بقتل عـــبد الـــرحمن ابـــن يوسف ونصب رأسه مع رأس أبيه على جسر قرطبة والإبقاء على أبي الأســـود ابن يوسف الفهري[٢] . وفي مقتل يوسف الفهري يذكر بأن الذي قتله هو ميمون بن سعد مولى الوليد بن عبد الملك – وهو من البربر [٣] .

وبمقـــتل يوســـف الفهـــري أستتب الأمر لعبد الرحمن الداخل وأصبح هو أمير الأندلـــس. ولكن سرعان ما عادت طليطلة لاستقبال الخارجين على الحاكم. ففي هذه المرة فر أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري من سجنه وتوجه إلى طليطلة[٤]. ليتحصن بها ويبدأ مرحلة الصراع مع الحكومة المركزية. ولكن عبد الرحمن الداخل لم يدع له الأمر ، فعالجه بإرسال جيش بقيادة تمام بن علقمة – من كبار قواد الأمير وكان له دور كبير في إخماد ثوار طليطلة.

وقـــد قـــام تمـــام بمحاصـــرة طليطلة إلى أن استسلمت في شهر ذي الحجة سنة ١٤٢هـــ (مـــارس – أبـــريل سنة ٧٦٠م) . وبذلك استولى تمام عليها وقبض على أبي الأســـود[٥] وأودع السجن كما سيظهر لاحقاً. وبهذا عادت طليطلة إلى عبد الرحمن الداخل ،ولكن ما لبث بأن عاودت طليطلة الخروج عن حكم الأمير عبد الرحمن برئاسة هشام بن عروة الفهري وتم ذلك في عام ١٤٤هـــ-٧٦١م[٦].

---

(١) شـــهاب الديـــن أحمد بن عبد الرحمن النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٣، تحقيق أحمد كمال زكي ، مراجعة محمد مصطفى زيادة، ١٩٨٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٣٣٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٤٩. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٣٩.

(٣) أبي عـــبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، نشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، ١٣٧٥هـــ-١٩٥٥م ، مطبعة السعادة، مصر، ص٣١٥.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ص٥٠ .

(٥) حمـــدي عـــبد المنعم محمد حسين : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الأمارة الأموية، ١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص٢٤-٢٥.

(٦) النويري : نهاية الأرب : ج٢٣، ص٣٤٠.

وكان هشام الفهري من بني عم يوسف بن عبد الرحمن الفهري[1]. وقد اكتسب هشام من خلال ثورة يوسف وابنه أبي الأسود كل جوانب الثورة. كما علم نواحي القوة والضعف لدى عبد الرحمن الداخل، ومن ذلك أن لا يواجهه في معركة لكي لا يخسر. ولهذا دامت ثورته فترة من الزمن بسبب حصانة طليطلة ومعاونة أهلها له، وتواجد عدد من مناصري الفهريين[2].

وكانت ثورة هشام من الأمور التي جعلت عبد الرحمن الداخل يعاجل بنفسه إلى حصار طليطلة. ولكن هذا الحصار لم تكن نتائجه كنتائج حصار أبي الأسود محمد الفهري. فقد انتهى بصلح على تسليم هشام لابنه "أفلح" للأمير الأموي[3]، ومن المرجح أن يكون طلب الأمير الأموي لرهن ابن هشام بعد أن وافق على إبقاء هشام على طليطلة موالياً له. ولم يدم هذا الصلح طويلاً ولم تكن طاعة هشام لعبد الرحمن الداخل طاعة مخلص. فقد نكث الصلح في العام التالي ١٤٥هـ-٧٦٢م. مما أغضب الأمير عبد الرحمن واضطره لأن يسير بجيش لحصار طليطلة والقضاء على ثورة هشام بن عروة، وكان الأمير الأموي يصطحب معه أفلح ابن هشام الرهينة.

ولشدة غضب الأمير الأموي من طليطلة وإيوائها للخارجين عليه فإنه نصب المجانيق عليها[4].

ولكن هذه الأداة الجديدة الاستخدام ضد الثائرين لم تفد لحصانة طليطلة ومناعتها، مما دفع عبد الرحمن الداخل بعد طول حصار لقذف رأس أفلح بعد فصله عن جسده إلى داخل طليطلة – يتحفظ أمام هذا الفعل لأنه ليس هناك هدف مؤثر بعد قتل أفلح في إرسال رأسه إلى طليطلة أو إبقائه – والانسحاب عنها. خاصة بعد خروج العلاء

---

(١) النويري : المصدر السابق ، ج٢٣، ص٣٤٠.

(٢) إبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانية ، ط٣، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، دار النهضة العربية ، بيروت، ص١٨٤. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص٢٦ .

(٣) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٩٢-٩٣. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٤٠.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٩٢-٩٣ . النويري : نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص٣٤٠

بن مغيث اليحصبي بباجة ودعوته للدولة العباسية بالأندلس[1]. ولكن الأمير عبد الرحمن الداخـــل لم ينســـى طلـــيطلة . فـــبعد انتهائه من ثورة العلاء اليحصبي ، أرسل في عام ١٤٧هـــ - ٧٦٤م جيشاً كثيفاً[2] بقيادة مولاه بدر وتمام بن علقمة[3] ، وكان الإصرار عـــلى إســـقاط هـــذا الثائر وإعادة طليطلة لتبعية الإمارة الأموية، فجعلت الإمدادات والمساعدات تتابع كل ستة أشهر. وهذا يدل على طول فترة الحصار الذي قد يزيد عن ســـنة. والحصار يعني قطع دخول الأقوات والمؤن إلى داخل المدينة. وهذا أدى إلى سوء الأحوال بداخل طليطلة ، مما دفع أهل طليطلة إلى إقامة اتفاق مع تمام وبدر على تسليم رؤوس الثورة مقابل إزالة الحصار عنهم.

وتم الاتفـــاق وسلم هشام بن عروة الفهري ومساعديه حيوة بن الوليد اليحصبي وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[4]. ولولا تخلي أهل طليطلة عن هشام لدامت ثورته- بمشيئة الله.

وقـــد توجه تمام برؤوس الثورة إلى قرطبة ، بعد أن أبقى بدر على طليطلة إلى أن يصـــل أمر الأمير عبد الرحمن . وعند وصول تمام إلى أوريط تقابل مع عاصم بن مسلم الـــثقفي رسول الأمير، الذي أخبره بأن الأمير عبد الرحمن الداخل يأمره بالعودة لطليطلة والياً عليها وإرسال بدر إليه، وتسليم رؤوس الثورة له لكي يوصلهم إلى قرطبة[5].

وقـــد عـــاد تمام بن علقمة إلى طليطلة والياً عليها[6]. وكان اختيار عبد الرحمن الداخل لتمام كي يقوم بأمر المدينة وإقامتها على طاعة الإمارة الأموية. أما هشام ورفاقه

---

(١) الســـيد عـــبد العزيـــز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ١٩٦٢م ، دار المعارف، لبنان ، ص١٩٧. إبراهيم بيضون : الدولة العربية ، ص١٨٥. أحمد الشعراوي : الأمويون امراء ، ص٩٦-٩٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٥٣.

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج١ ، ص١٤٣.

(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٩٥-٩٦. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣ ، ص٣٤٠.

(٥) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٩٥-٩٦.

(٦) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٩٥-٩٦ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٣ .

فقــد وصــلوا إلى قرطبة وهم حليقي الرؤوس واللحى ، لآبسي الجُبب الصوفية، داخل سلال وضعت على الحمير. وكان مصيرهم بعد هذا الوضع القتل والصلب[١].

وبهـذا انتهـت ثورة هشام بن عروة الفهري في عام ١٤٧هـ-٧٦٤م[٢] على أغلب المصادر. لكن يذكر بأن إرسال بدر وتمام كان في عام ١٤٩هـ-٧٦٦م[٣]. وقد يكـون قصد من هذا التاريخ نهاية الحصار لطليطلة. خاصة وأن الإمدادات كانت ترسل كل ستة أشهر. ولا يوجد ذكر لتاريخ ثورة السُّلمي التي تمت فيما بعد .

ومـن هـذا فقـد يكون بداية حصار طليطلة في نهاية عام ١٤٧هـ-٧٦٥م. وسـقوط طليطلة والثائرين المتواجدين بها في أوائل عام ١٤٩هـ-٧٦٦م ولعظم ضم طلـيطلة وإخماد ثورتها، وما يعينه ذلك من قوة للجيش الأموي وقدراته، فقد أرسل إلى البلدان كتب بفتح طليطلة[٤]. وبقي تمام بن علقمة يدير أمر طليطلة فترة من الزمن إلى أن استدعاه الأمير عبد الرحمن الداخل وعينه على الحجابة لديه[٥].

وهـنا لم يترك الأمير الأموي طليطلة دون والٍ خوفاً عليها ومنها. فأقام رجلاً من الأسـرة الأموية له مكانة لديه وذا صفات قيادية[٦] هو حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان في عام ١٥١هـ-٧٦٨م[٧].

وفي هذه الفترة كانت ثورة شقنا بن عبد الواحد البربري بشرق الأندلس ، وقد

---

(١) مجهـول : اخبار مجموعة ، ص٩٥-٩٦. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٥٣ . النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٤٠.

(٢) النويري : المصدر السابق ، ج٢٣ ، ص٣٤٠. خالد الصوفي : تاريخ العرب في الأندلس، ج٢، ط٢، ١٩٨٠م، منشورات جامعة قاريونس، كلية الآداب ، ص٧٧.

(٣) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٢.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٣.

(٥) حمدي عبد المنعم : أضواء جديدة ، ص٣٠.

(٦) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ج٢ ، ص٩-١٠.

(٧) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٤٣ - ٣٤٤ .

سكن فيما بعد بشنتبرية[1]. ومن خلال هذه الثورة يظهر مدى ما يتمتع به حاكم طليطلة من سلطات. فتم تكليف حبيب بن عبد الملك من قبل الأمير عبد الرحمن الداخل بالقضاء على ثورة شقنا. وبهذا التكليف أقام حبيب على شنتبرية سليمان بن عثمان بن مروان من سلالة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن كلفه بالقضاء على ثورة شقنا البربري[2].

ومن خلال هذا فقد كان حاكم طليطلة حبيب بن عبد الملك[3] ذا قدرات عالية، والدليل على هذا صده للثائر الجديد بطليطلة وهو القائد المعروف بالسُّلمي.

ففي عام ١٦٢هـ-٧٧٨م-٧٧٩م خرج قائد عرف بلقبه وهو السُّلمي من قرطبة إلى طليطلة وثار بها[4].

وهذا القائد لا يوجد عنه في المصادر التاريخية أمر يذكر[5]، سوى أن مصدران يشيران لليلة خروج القائد وثورته.

كان هذا القائد السُّلمي أحد خواص الأمير عبد الرحمن والمقربين إليه . وتبدأ قصة السُّلمي عندما شرب في إحدى الليالي خارج قرطبة، وفي أثناء عودته لداخل قرطبة، حدث اشتباك بينه وبين حراس باب القنطرة، حيث أراد أن يفتح الباب وهو في حالة سكر. ولم يهدئه سوى صاحب الشرطة العبدي لعلمه بسكره[6].

وعندما أفاق السَّلمي وعلم بما حدث ، خاف من عقاب الأمير عبد الرحمن ففر إلى طليطلة ليبتعد عن الأمير عبد الرحمن. ولكن السُّلمي تحول من هارب إلى قائد ثورة.

---

(١) شنتبرية : مدينة متصلة بحوز سالم بالأندلس، وهي مدينة كبيرة. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج٣، ص٤١٦. وهي شمال شرق طليطلة.

(٢) النويري : المصدر السابق، ج٢٣ ، ص٣٤٣-٣٤٤ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج٤، ص١٢٣.

(٣) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص٥٩. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٦٢، ج٢، ص٩-١٠.

(٤) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٤٧-٣٤٨.

(٥) خالد الصوفي : تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٧٩.

(٦) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٠١-١٠٢.

ويـــرجع ذلك لما وجده بداخل طليطلة من تشجيع لقيادة الثورة، وتأييد ودعم لمن يقوم بالثورة ضد الحكومة المركزية.

ومـــن هـــنا بدأت هذه الثورة التي اقترنت بالقائد السُّلمي . وأمام هذه الثورة لم يتوان الأمير عبد الرحمن بإرسال جيش على عجل للقضاء على هذا الثائر وثورته قبل أن يـــتمكن الـــثائر من المدينة ويمكن ثورته. وهذه هي الطريقة التي استخدمت ونجحت مع ثورة أبي الأسود الأولى.

وكلف بقيادة الجيش حبيب بن عبد الملك حاكم طليطلة ، الذي يبدو أنه لم يكن بهـــا خـــلال قـــدوم السُّلمى إليها. وقد قدم حبيب بني عبد الملك بالجيش إلى السُّلمي المتحصن في مكان ما – ويشار بأن فراره كان إلى الشرق – وبدأ في حصاره[1].

وأثناء الحصار طلب السُّلمي المبارزة ، فبرز إليه عبد أسود. وأثناء المبارزة ضرب كل واحد منهما الآخر ضربة في آن واحد أدت لسقوطهما صريعين معاً[2].

وبمقـــتل القائد السُّلمي انتهت ثورته والتي لم تدم طويلاً، وكان الفضل في قيامها يعود لعوامل الثورة المتواجدة في طليطلة.

وبمقتل السُّلمي سكنت طليطلة لعدة سنوات فقط. حيث عادت وحضنت الثائر السابق أبا الأسود محمد الفهري.

فقـــد اشـــتاق أبو الأسود إلى إعادة أيام الفهريين اشتياقاً كبيراً ويظهر ذلك من خلال خطته طويلة المدى، والتي أقامها في سجنه بقرطبة.

ففـــي الســـجن أدعـــى أبو الأسود العمى وأتقن ذلك إلى أن فشى أمره. وكان السجناء يُخرجون من السجن إلى النهر لقضاء حوائجهم مع حراس السجن. ولعمى أبو الأسود المختلق خفت أعين الحراس عليه، وهذا ما كان يبحث عنه أبو الأسود.

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٠٢ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٣.

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٠٢ . النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٤٧-٣٤٨.

فقام أبو الأسود بتكليف مولى له يدعى مفرج[1] -كان يقضي حوائجه- بأن يعد له فرساً ليهرب بها. ولم يصارح أبو الأسود مولاه إلا بعد أن وثق به.

وحين كانت ساعة الفرار قام أبو الأسود بعبور النهر سباحة على غفلة من الحراس إلى الشاطئ الثاني. وفي الطرف الثاني كان أعوان أبو الأسود في انتظاره[2]. وبهذا ركب أبو الأسود فرسه وفر إلى طليطلة أواخر عام ١٦٨هـ-٧٨٥م[3]. ولم يكن أبو الأسود بالثائر المستهان به. فقد قام باستمالة الناس إليه، وجمع الحشود. ولم ينتظر الأمير عبد الرحمن إلى أن يصل إليه، بل توجه لملاقاته. وفي أمر اللقاء يذكر بأنه بأحواز جيان[4]، وفي قول آخر في شرق طليطلة بمكان يدعى مخاضة الفتح[5]. ويعود هذا إلى كثرة المعارك التي وقعت بين الطرفين[6].

ولكن المؤكد أن معركة كبيرة حدثت بين عبد الرحمن وأبي الأسود . انتهت بهزيمة أبي الأسود ومقتل عدد كبير من أتباعه بلغ عددهم أربعة الآف رجل في المعركة من غير من هلك بعد المعركة[7] . وكانت هذه المعركة في يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول من عام ١٦٩هـ-٧٨٥م.

وأمام هذه الهزائم فر أبو الأسود محمد الفهري إلى مدينة قورية[8]. ولم تكن هذه الهزائم تكفي للقضاء على ثورة أبي الأسود وهذا ما علمه عبد الرحمن الداخل. فتوجه في

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٥٠.

(٢) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٣٥١. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٥٠.

(٣) تقي الدين المقريزي : كتاب المقفى الكبير، ج٤ ، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، ص١٠٨.

(٤) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢ ، ص٣٥١.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٧.

(٦) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٣٥١. المقريزي : كتاب المقفى ، ج٤، ص١٠٨ .

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٥٧. المقريزي : كتاب المقفى ، ج٤ ، ص١٠٨.

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٥٧.

عام ١٧٠هـ–٧٨٦م بجيش إلى قورية للقبض على أبي الأسود. وعند علم أبو الأسود بهذا نجا بنفسه وقبض على عياله وأصحابه. وكانت وجهة أبي الأسود إلى غياض أشبه ، ثم توجه منها إلى ركانة وهي من أعمال طليطلة. فكانت وفاته بها[١]. ومن خلال هذا الطريق يظهر أنه كان متوجهاً إلى طليطلة لتحصن بها مرة أخرى.

ويبدو أن الثورة أصبحت لدى الفهريين بطليطلة وراثية. فقد خلف أبا الأسود أخوه القاسم بن يوسف، في جميع أموره. فتزوج من أرملة أخيه وتولى ما كان يتولاه[٢].

وأمام الثورة الوراثية الجديدة ، لم ير عبد الرحمن الداخل بداً من أن يسير إليها بنفسه. ولم يكن القاسم ذا نفس طويل كسابقيه. فما أن اقترب عبد الرحمن الداخل من طليطلة حتى خرج القاسم مسلماً نفسه بعد أن أخذ المواثيق من الأمير عبد الرحمن الذي اصطحبه معه إلى قرطبة التي توفى بها[٣]. ويبدو أنه علم أن مصيره لن يكون أفضل ممن سبقه إن طال الزمن أو قصر. وينفرد أحد المصادر بأن القاسم قاتل عبد الرحمن فقتله عندما ظفر به[٤].

وثورة القاسم تعد آخر الثورات في طليطلة على الأمير عبد الرحمن الداخل. إلا أن أحد المؤرخين يذكر منفرداً بأن هنالك ثورة بطليطلة تعد نهايتها بداية فترة صفاء لحكم عبد الرحمن الداخل. وهذه الثورة هي ثورة عثمان بن حمزة من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويشير بأنها استمرت سبعة أعوام[٥].

---

(١) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢ ، ص٣٥٣. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٦٦-٦٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٥٥.

(٣) أحمد بن عمر العذري (ابن الدلائي) : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهواني، ١٩٦٥م، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ، ص١١.

(٤) المقريزي : كتاب المقفى ، ج٤ ، ص١٠٨.

(٥) الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط ونزير حمدان ومحمد نعيم العرقسوسي، ١٤١٣هـ – ١٤١٤هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص٢٥٢-٢٥٣.

ويظهـــر أن هـــذه الـــرواية مجانـــبة للصحة وذلك لأن عثمان بن حمزة هو أحد مســـاعدي هشـــام بـــن عروة الفهري في ثورته. وقد قتل معه وصلب في قرطبة في عام ١٤٧هـــ-٧٦٤م.

ورغم نهاية ثورة القاسم الفهري إلا أن عبد الرحمن الداخل لم يهنأ بجهوده الكبيرة في تثبيت دعائم الإمارة الأموية بالأندلس، حيث كانت وفاته في عام ١٧٢هـــ-٧٨٨م.

وبهـــذا فقد اتسمت طليطلة في عهد عبد الرحمن الداخل بالتمرد والتمرس على القيام بثورات متوالية . ففي هذه الفترة ثار خمسة رجال، قام أحدهم بثورتين منفصلتين. واســـتمرت فترة ثورة هؤلاء الثوار أكثر من سبع سنوات[١]. كانت بداية أولاها ببداية دخوله الأندلس ، ونهاية آخرها قبل وفاته بسنة.

وقـــبل وفاة عبد الرحمن جعل خلافته لابنه هشام والي ماردة. وقد أوكل إلى ابنه عـــبد الله بـــأن يســـلم أخاه هشام الحكم حين قدومه[٢]. ولم يكن هشام الابن الأكبر لعـــبد الرحمن، حيث أن أخيه سليمان والي طليطلة هو الأكبر[٣]. وبهذا فقد أُغفل الابن الأكبر، حيث لم يكن هنالك نظام خاص لولاية العهد[٤].

وكـــان قدوم هشام لقرطبة بعد ستة أيام من وصول الخبر إليه. وتمت مبايعته من الخاصة والعامة في يوم الأحد مستهل جمادى الأولى سنة ١٧٢هـــ-٧٨٨م[٥].

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص ٢٧٦ .

(٢) لســـان الدين بن الخطيب : أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢ ، ١٩٥٦م، دار المكشوف، بيروت، ص ١١. ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، ج٤ ، ص١٢٤.

(٣) لســـان الدين : أعمال الإعلام، ص١١. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٤. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦١.

(٤) أحمد الشعراوي : الأمويون أمراء، ص١٤١.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦١. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١١.

وأمـــام هذه الولاية للعهد لم يرضى سليمان بها، ورأى أنه أحق من أخيه هشام. فجهـــز جيشـــاً خرج به من طليطلة لملاقاة أخيه هشام . وتم اللقاء بنواحي جيان بمكان يسمى بلج.

وكانـــت الدائـــرة على سليمان وجنده ففر إلى طليطلة ، وعاد أخوه هشام إلى قرطـــبة[1]. وبعـــودة سليمان إلى طليطلة أعلن الثورة ضد أخيه، فاستقبلته طليطلة ثائراً جديداً يختلف عمن سبقه بأنه من الأسرة الحاكمة، وبايعه أهلها على حكمها بالإضافة إلى المناطق المجاورة لها[2].

وانضـــم لهذه الثورة عبد الله بن عبد الرحمن أخو سليمان وهشام. حيث اصبح يطمع في الولاية رغم ما كان ينعم به عند هشام بالإضافة إلى تقديره عن غيره من الأسرة الحاكمة.

كمـــا أنّ هشـــام عندما علم بخروج عبد الله إلى طليطلة ، أرسل خلفه من يعيده ويترضاه. ولكنه لم يتمكن من اللحاق به. وكان خروج عبد الله بعد سبعة أشهر من وفاة أبيه عبد الرحمن أي في أوائل عام ١٧٣هـــ-٧٨٩م[3]. وأمام هذا التحالف لم ير هشام بـــداً من التوجه لمحاربتهما في معقلهما طليطلة . وأمام هذا وضع سليمان خطته على أن يـــتوجه إلى قرطـــبة خفية أثناء مسير هشام إلى طليطلة. وفعلاً ما أن علم سليمان بمقدم هشـــام حتى جمع الجنود من طليطلة وما جاورها. ويذكر بأنه خرج في خمسة عشر ألف رجـــل مـــتوجهاً إلى قرطـــبة[4]. ولم يترك طليطلة تدافع عن نفسها بل أقام عليها أخوه عبد الله وابنه – ابن سليمان – لأن هدفه هو إسقاط قرطبة عاصمة أخيه هشام والإبقاء على طليطلة.

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦١. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١١.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦٢.

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٣. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦٢. النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٣. لسان الدين : أعمال الأعلام ، ص١١. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٤.

(٤) النويري : نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص٣٥٣ . أحمد الشعراوي : الأمويون أمراء، ص١٥١.

وعــــند وصول هشام لطليطلة أقام عليها الحصار ولم يعلم بعد بأن أخاه سليمان توجــه لقرطـــبة. وكان علمه بهذا عندما احتل شقندة[1]، وتقابل مع أهل قرطبة. وبعلم هشام بمكان أخيه سليمان وأعماله، لم يدع طليطلة وحصارها لعلمه بأنها مرتكز الثورة. فأرســـل أبنه عبد الملك لمواجهة عمه. وما أن علم سليمان بمقدم ابن أخيه حتى انسحب مـــنهزماً إلى ناحية ماردة، وعندها هزمه عاملها حدير المعروف بالمذبوح . فأخذ سليمان يتنقل في أنحاء الأندلس فاراً . أما طليطلة مرتكز الثورة فقد دام حصار هشام لها شهرين وبضعة أيام ثم تركها عائداً لقرطبة[2].

ومن خلال هذه الأحداث أصبح هشام هو المنتصر ولم يبق أمامه إلا القبض على أخويه وضم طليطلة.

ولأجــل هـــذا رأى عبد الله بن عبد الرحمن الداخل أن لا جدوى من المواجهة. فتوجه إلى قرطبة مسلماً نفسه بلا أمان ولا عهد وذلك في عام ١٧٤هـــ- ٧٩٠م. فما كان من أخيه هشام إلا أن أسكنه عند ابنه الحكم[3]، ثم بعد ذلك بفترة طلب عبد الله أن يتوجه إلى المغرب فساعده هشام على ذلك[4].

وأمام هذا العمل الحسن والودي من هشام بدأت المراسلات بين سليمان وهشام لإنهـــاء هذه الثورة والإقرار بحكم هشام. فكانت النتيجة أن اتفق الطرفان على خروج سليمان بأهله وعياله وأمواله إلى المغرب، وأن يعطي هشام لسليمان ستين ألف دينار حقه في ورث أبيه[5].

---

(١) شـــقندة : قرية بعدوة نهر قرطبة، قبالة قصرها. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٤. وتقع جنوب طليطلة.

(٢) ابـــن عـــذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦٢. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٥٣. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٤.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦٣.

(٤) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢ ، ص٣٦٣.

(٥) الـــنويري : نهايـــة الأرب، ج٢٣ ، ص٣٥٤. لســـان الديـــن : أعمال الإعلام ، ص١١. ابن خلدون: تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٤.

وبهذا تخلص هشام من أخويه الثائرين عليه ولم يبق أمامه سوى بؤرة الثورة مدينة طليطلة. وهنا يبدو أن تجربة طليطلة الجديدة في اختيار ثائر من الأسرة الحاكمة فشلت أيضاً.

فعلم أهلها أن الدور عليهم للقضاء على شوكتهم. فدخلوا في طاعة الأمير هشام في سنة ١٧٥هـ - ٧٩١م. وكان رد هشام عليهم بالقبول والأمان ولعلمه بأهمية طليطلة وخوفاً من أن تحتضن ثورة أخرى، أرسل إليها ابنه الحكم والياً عليها[1].

وخلال ولاية الحكم لطليطلة واستقراره بها قام بضبطها. وبما أنه ابن أمير الأندلس فلابد أنه اهتم بها من كافة النواحي السياسية والحضارية . خاصة أنه بقي بها فترة زمنية ربما امتدت إلى توليه الحكم، وكانت ولادة ابنه البكر أبو المطّرف عبد الرحمن بها في عام ١٧٦هـ-٧٩٢م[2]. وبهذا نعمت طليطلة في السنوات الباقية من حكم الأمير هشام باستقرار الحال، والبقاء على الطاعة[3]حيث لم يذكر خلال حكمه من بعد خروج أخويه أنه قامت بها ثورة أو حركات تمرد. ويعود ذلك - بعد مشيئة الله - إلى إقراره لحكمه وإخراج أخويه وإقامة ابنه الحكم والياً عليها ، بالإضافة للثمار التي جناها من سياسة أبيه عبد الرحمن الداخل. ويظهر أن طليطلة في الفترة المتبقية من حكم هشام الأول تركزت الأعمال بها على الجوانب الحضارية للمدينة، وقد انشغل أهل طليطلة بهذه الأعمال، بعد أنْ يئسوا من الثورة.

---

(١) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٥. حمدي عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص٤٣ .

(٢) ابن حيان القرطبي : المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي ، ١٣٩٠هـ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ص١٥٨ . ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج١ ، ص٤٥. الذهبي : سير إعلام النبلاء، ج٨ ، ص٢٦١ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، شالميتا، ج٥، ص٢٧٦.

لكن هذا الحال لم يدم في عهد ابنه الحكم، حيث تكالبت عليه الثورات أوائل حكمه في سرقسطة ووشقة[1] ومنطقة أرغونة[2] ومدينة طليطلة[3] . وعن مدينة طليطلة فقد كانت ثورتها بعد عام واحد من تولي حكم الإمارة أي في عام ١٨١هـ - ٧٩٧م[4].

وقد تكون ثورتها لانشغال الحكم بوضعه الجديد كأمير للأندلس ومراسم هذه الإمارة .مما دفع مدن الأندلس إلى الثورة ومنها طليطلة، كما أن صغر سنه أطمعهم في ذلك . وقاد ثورة طليطلة رجل يدعى عبيد بن حمير[5] بمعاونة من الشاعر غربيب[6]. وهنا كانت ردة فعل الأمير الحكم سريعة. فلم ينتظر إلى أن تعد الجيوش ثم يتحرك من قرطبة إلى طليطلة، بل وكّل قائده عمروس بن يوسف المتواجد بمدينة طلبيرة بالقضاء على هذه الثورة.

فما كان من عمروس في بادئ الأمر إلا أن جهز جيشاً وبدأ بمهاجمة طليطلة وحصارها. ولكن أمام حصانة طليطلة الطبيعية والمادية وجد عمروس أنه غير قادر على دخول طليطلة والقضاء على ثورة عبيد بخطة عسكرية. فبدأ بأسلوب الحيلة ، حيث تقرب إلى قوم من أهل طليطلة يدعون ببني مخشي. وأخذ يطمعهم في النعم والخيرات التي سيحصلون عليها من الأمير الحكم نفسه ، إذا هم قاموا بقتل عبيد بن حمير. ولأجل هذه المغريات قام بني مخشي بقتل عبيد وحمل رأسه إلى عمروس بن يوسف في طلبيرة.

---

(١) وشقة : مدينة بالأندلس، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً. انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٤. وهي شمال شرق طليطلة .

(٢) أرغونة : من أقاليم مملكة ارغونة، وهي شمال شرق طليطلة. انظر سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى، ط٨، ص٥٤٣.

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٦-٢٧٧. أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي، ١٩٨٣م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ص٤٠.

(٤) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٤٠. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٦٩. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٦.

(٥) اختلف في اسمه على النحو التالي : عبيدة بن عمير – عبيدة بن حميد – عبيد بن حمير – عبيدة بن حمير.

(٦) أحمد فكري : قرطبة في ، ص٤٠.

ومقابل هذا العمل الجليل والخدمة الكبيرة، قام عمروس بإنزال بني مخشي لديه في طلبيرة. لعلمه بالثأر المطلوب منهم لبربر من أهل طلبيرة. فبعد نزول بني مخشي بطلبيرة قام بعض بربر طلبيرة بالدخول على بني مخشي في دارهم وقتلهم. ويذكر بأن عمروس أجهز على من بقي من بني مخشي[1]، خوفاً بأن يطلبوا بحق خاص داخل طليطلة.

وبقضاء عمروس على ثورة عبيد بن حمير، قام بإرسال رأسه ورؤوس بني مخشي إلى الأمير الحكم بقرطبة مع كتاب يوضح به أمر الثورة وأمر رؤوس بني مخشي[2].

وتظهر هذه الثورة بشكل واضح ما لأهل طليطلة من قدرة على إحياء الثورات وإخمادها. ولبراعة عمروس وحيله في القضاء على ثورة طليطلة أعجب به الحكم وأقامه على طليطلة[3] واعتمد عليه في عدد من المعارك.

فمن طليطلة خرج عمروس للقضاء على ثورة بهلول بن مرزوق بسرقسطة في عام ١٨٦هـ-٨٠٢م. وتمكن بعد معركة عنيفة من هزيمة بهلول وإخماد ثورته. وكان بهلول يشكل خطراً على طليطلة حتى أنه يذكر بأن ملكه وصل لطليطلة أو مشارفها[4].

ورغم دور طليطلة في هذا العمل وغيره إلا أنها كانت على استعداد لتقبل أي ثورة. فينفرد أحد المصادر بأن أهل الحرابة بطليطلة توجهوا في عام ١٨٩هـ-٨٠٥م إلى بلاد الإفرنج وأخذوا يطمعوهم بملك طليطلة. فما كان من الإفرنج إلا أن توجهوا لطليطلة وأسروا أميرها يوسف بن عمروس - وقد أقامه أبوه عليها- وحبسوه بصخرة قيسر. وأمام هذا قام عمروس بحماية سرقسطة وإرسال ابن عمه لمحاربة الإفرنج. فما كان من ابن عمه إلا أن هزمهم وفك أسر يوسف[5].

---

(١) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٦.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٦٩. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٦١. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٦.

(٣) ابن الدلائي : ترصيع الأخبار، ص٢٧ .

(٤) ابن الدلائي : المصدر السابق ، ص٦٠ . خالد الصوفي : تاريخ العرب ، ج٢ ، ص١٥٢.

(٥) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٦.

ورغم عدم وجود ما يؤيد هذا المصدر خاصة أن الاستيلاء على طليطلة في تلك الفترة من الأمور الكبيرة المثيرة لاهتمام الساسة والمؤرخين إلا أنها تدل على بقاء رؤوس الثورة وطالبي الخروج عن الحكم الأموي أو حتى الإسلامي .

وعـــودة إلى عمروس وآلي طليطلة فإن الأمير الحكم لم يقمه على طليطلة إلا بعد قناعـــته بقدراته السياسية في التعامل مع أهلها وما يتميز به من براعة وحيلة كما ذكرنا سابقاً.

وفي اجتماع للحكم بعمروس أخذ يفصح له بما عليه أهل طليطلة من خروج على الطاعـــة، وأنه يرى فيه الأجدر في القضاء على شأفتهم[1] . وبهذا الاجتماع كان الحكم يحمـــس عمروس ويطمعه بما سيصبح عليه حاله إن استطاع أن يحكم أمره على طليطلة لصالح الأمير الحكم.

ومن هنا بدأ عمروس إعداد العدة. فبدأ أول أمره في التقرب إلى أهل طليطلة[2]. فأخذ يخبرهم بأنه يميل إليهم أكثر من الأمويين بالإضافة إلى أنه يعد العدة للثورة ولكن في الوقـــت المناسب. وقد ساعده على هذا رسالة الحكم إلى أهل طليطلة والتي يقول فيها : "إني اخترت لكم رجلاً من أهلكم وأعقابكم من موالينا ومن يتصرف في عمالتنا"[3].

وبعـــد أن اطمأن أهل طليطلة إلى عمروس ، بدأ في أخبارهم بأن سبب الشر هو مخالطـــة أهـــل طليطلة لعمال السلطان ، وأنه يرى الحل في هذا أن يبني قصراً في طرف المدينة لكي يفصل بينهم وبين عمال وحشم السلطان. لكن أهل طليطلة على الرغم من الموافقـــة على الفكرة إلا أنهم رأوا أن يقام القصر في وسط طليطلة على جبل عرف بجبل عمروس[4]. وهذا ما أراده الحكم وعمروس.

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٩٨-٩٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٦٩.

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس، ص٩٨-٩٩.

(٤) ابن القوطية : المصدر السابق، ص٩٩ - ١٠٠.

وبُدأ في بناء القصر. وكانت جدرانه تبني من تراب الصحن[1]. ويُرى بأنه تم أخذ التراب من الصحن للإسراع في الإنجاز. فيكون وقت حفر الحفرة المطلوبة وجمع تراب البناء واحد، ولعدم إيجاد شبهة في حفر الحفرة داخل القصر بعد البناء. ودقة الحيلة هذه دليل على مدى ما يتمتع به أهل طليطلة من حدة ذكاء. وبعد إتمام بناء القصر انتقل إليه عمروس وحاشيته، وقد أرسل خفية للحكم أمر إنهاء القصر[2].

وحال علم الحكم بالانتهاء من القصر أرسل إلى ولاته في الثغر الأعلى بأن يطلبوا الإغاثة والاستنفار لمهاجمة الكفار للبلاد الإسلامية.

وعندما قاموا بذلك أرسل الحكم جيشاً بقيادة ابنه عبد الرحمن وعدد من الوزراء. وسار هذا الجيش إلى ناحية الثغر ولم يتعرض لطليطلة سواء بالمرور عليها أو غير ذلك. وعند موازاة طليطلة في موضع يعرف بالجيارين[3] أتى رسول من والي الثغر الأعلى بأن العدو عاد لبلاده.

وهنا أظهر عبد الرحمن العودة لقرطبة. وفي هذه اللحظة أشار عمروس على أهل طليطلة أنه لا ينبغي أن يعود ابن الأمير الحكم دون الخروج إليه، وأن يقوم أهل طليطلة بدعوته لدخول مدينتهم وإضافته بها. وقد تم هذا الأمر من قبل أهل طليطلة ، ولكن لم يجبهم عبد الرحمن على الدعوة من أول مرة.

وعند دخول عبد الرحمن لطليطلة أعلن عمروس الإعداد لحفلة بالغد استقبالاً لعبد الرحمن بن الحكم[4].

وفي الغد بدأ أهل طليطلة حاضرة وبادية بالتوجه للقصر للترحيب بعبد الرحمن والمشاركة في الحفل . وقد أظهر عمروس بأن الدخول من باب والخروج من باب

---

(١) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص٩٩-١٠٠. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١٤-١٥.

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٩-١٠٠.

(٣) ابن القوطية : المصدر السابق، ص١٠٠.

(٤) ابن القوطية : المصدر السابق، ص٩٩-١٠٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج٤ ، ص١٢٦-١٢٧.

آخـــر[1] يقابله في الناحية الأخرى. وكان الخدم يأخذون دواب الضيوف للباب الآخر حـــال وصـــولهم لتأكيد هذا الأمر. وحقيقة الأمر أن من يدخل يجد بدلاً من المستقبلين رجـــالاً يقومـــون بضـــرب رأسه وإلقائه في الحفرة التي أعدت من قبل ، واستمر الحال كذلـــك إلى أن تعـــالى النهار عندما قدم رجل من حكمائهم،وسأل الموجودين أمام باب الاســـتقبال، أيـــن أصحابكم الذين دخلوا ؟ فقيل له : بأنهم يخرجون من الباب الآخر. فكان رده : بأنه لم يرى أحداً عنده. ثم نظر إلى البخار المتصاعد وصاح بأنه بخار القتلى لا بخار الأطعمة[2].

وهذا الأمر أنجى من بقى ولم يدخل القصر حيث فروا جميعاً. وفي عدد القتلى فقد اخـــتلف فـــيه . فيذكر أنهم خمسة آلاف وثلاثمائة ونيف[3] ، ويذكر بأنهم خمسة آلاف وثلاثمائـــة فقـــط[4]، وآخـــر يذكر بأنهم أكثر من خمسة آلاف[5]، كما يذكر آخر بأنهم سبعمائة من أشراف طليطلة[6]. وهنا يتضح أن الأعداد كبيرة جداً وقد تعود لهول عدد القتـــلى. وآخر رواية بأنهم سبعمائة رجل هو ما يمال إليه كعدد صحيح. وكان حدوث وقعـــة الحفرة هذه في عام ١٩١هـــ-٨٠٦م-٨٠٧م[7].وبهذا عاد الحكم إلى أسلوبه السائد في قمع الثورات من أسلوب الحيلة والقسوة في العقاب. وقدم على هذا الأمر لما كـــثر خروج أهل طليطلة على حكام بني أمية ومخالفتهم لهم. وقوة نفوسهم لما تتمتع به مدينتهم من حصانة وكثرة أموال[8].

---

(١) ابـــن القوطـــية : تـــاريخ افتـــتاح الأندلـــس ، ص٩٩-١٠٠ . ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٦٩. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١٤-١٥ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١٠٠-١٠١. لسان الدين : أعمال الأعلام، ص١٤-١٥.

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٠.

(٤) لسان الدين : أعمال الأعلام ، ص١٥.

(٥) النويري : نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص٣٦٥.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٦٩.

(٧) النويري : نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص٣٦٥.

(٨) النويري : المصدر السابق ، ج٢٣ ، ص٣٦٥.

ولقـد كان لهذه المذبحة فضل في إخماد شعلة الثورة في طليطلة خاصة وأن أغلب كبارهم وأشرافهم قتلوا بها – على أن كبار القوم مقدمون دائماً في الولائم والمناسبات.

ولكـن حال الاستقرار بطليطلة في تلك الفترة من المحال. فبعد ثماني سنوات من وقعـة الحفـرة عادت طليطلة وأهلها إلى شق عصا الطاعة ، وإعلان الثورة على الأمير الحكم وذلك في عام ١٩٩هـ-٨١٤م[١]. وهنا لم يكن أمام الأمير الحكم بن هشام إلا أن يتوجه إلى طليطلة بنفسه لإخضاعها. لكنه يعلم بأنه لو توجه لها مباشرة لعلم أهلها به وتحصـنوا داخلها مما سيطيل الأمر. فبدرت إليه حيلة من حيلة المذكورة عنه، وذلك بان يظهر الخروج إلى غيرها. وحين تكون الفرصة يدخلها دون أدنى خسائر ومجهود.

فـتوجه إلى تدمير[٢]، وأخذ يحارب بعض الحصون المخالفة له. ثم أرسل كتبه إلى عمـال الثغر بنزوله عليها وحربه لأهلها. وفي هذا الوقت أمن أهل طليطلة، فخرجوا إلى مصـالحهم وعـادوا لحـياقم الطبيعية. وهذه الأمور لا تخفى عن الحكم حيث قد أقام بطليطلة من يأتيه بأخبارها. وبعلم الحكم بحال أهل طليطلة هذا ، بدأ في التوجه غرباً نحو طلـيطلة. وعندما حانت الفرصة له توجه إليها مسرعاً ودخلها ليلاً في غفلة من أهلها. وبهذا تمكن الحكم من طليطلة ، فقطع الصلة بينها وبين من كان خارجها.

وبنجاح الحيلة بدأ في العقاب . فأنزل أهلها من الجبال إلى السهل، وقام بإحراق ديارهم، وأسكن أهل طليطلة لفترة في الصحراء ثم أعادهم إلى طليطلة[٣].

وعـند خروج الحكم لقرطبة أصطحب معه عدداً من أعيان طليطلة ووجهاءها ، مما أذلهم بعدها[٤].

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٤١.

(٢) تدمير: من كور الأندلس ، سميت على اسم أحد ملوكها . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص٦٢. وهي جنوب شرق طليطلة.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٧٤.

(٤) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٤١.

وبهذيـــن الحدثـــين أقرت طليطلة بحكم الأمير الحكم واستقرت على طاعته ، ولم تخـــالف عليه إلى نهاية حكمه. ولكن هذا لا يعني أنها زالت عنها صفة حماية الخارجين عن الحكـــم المركزي واحتضانهم. فها هي تكون إحدى ملاذ أهل ثورة الربض الذين ثاروا على الحكم[1] في عام ٢٠٢هـــ-٨١٧م بقرطبة. وهي الملاذ الوحيد بالأندلس وكان من ضمن أهل الربض فقهاء كالفقيه يحيى بن يحيى[2][3] وشيوخ وعلماء[4].

ومن خلال ما سبق يتضح أن طليطلة لم تستقم لحكم الحكم بن هشام إلا بعد عام ١٩٩هـــــ-٨١٤م، أما فيما سبقه فقد قامت طليطلة بثورتين : الأولى بقيادة: عبيد بن حميد. والثانية: قادها أهل طليطلة أنفسهم بلا قائد محدد.

وعـــن حكام طليطلة في عهد الحكم فلم يشتهر منهم سوى عمروس بن يوسف. ولكـــن يشار إلى أن إبراهيم بن مزين الأوردي[5] الكاتب وحفيده إبراهيم بن محمد بن إبراهيم قد توليا إمارة طليطلة[6] ، وكان نصيب الحفيد من السنين أكثر من الجد . وعن فـــترة إمارتهما لا يحدد تاريخ لذلك. وإن ثبت هذا فيرى أنهما تبعا عمروس في الولاية. وبأســـلوب العـــنف والقســـوة والحيلة تمكن الحكم من القضاء على ثورات طليطلة[7] وإخمادهـــا فيما بقى من حكمه. ومن ثم في أوائل حكم ابنه عبد الرحمن . كما أن مقتل

---

(١) ابـــن الآبار : الحلة السيراء، ج١ ، ص٤٥. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٢. ابي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقى الغرناطي : الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تقديم وتحقيق : محمود على مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مج٢١، ١٩٨١-١٩٨٢م، مدريد، ص٤٣.

(٢) يحـــى بن يحيى بن كثير بن وسلاس ، أصله من البربر. كان من كبار علماء الفقه بالأندلس، توفى سنة ٢٣٤هـــ. انظر الضبي: بغية الملتمس ، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج١ ، ص٤٣.

(٤) انظر الباب الثاني ، الفصل الخامس – قسم العلاقات.

(٥) إبراهيم الاودي : فقيه أندلسي، تفقه بالأصاغر. انظر الضبي : بغية الملتمس ، ص١٩١ .

(٦) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج١ ، ص٨٨.

(٧) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٦-٢٧٧.

عدد كبير من علّية أهل طليطلة في وقعة الحفرة واصطحاب الحكم لعدد منهم إلى قرطبة دور كبير في عدم قيام أي ثورة.

وكمـــا ذكـــرنا فإن طليطلة أمهلت الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعد قيامه على الحكم أربع سنوات عادت بعدها لثورتها في عام ٢١٠هـــ-٨٢٥م[١]. بعد أن وجدت طـــابع لين الجانب من قبل الأمير عبد الرحمن[٢]. ولكن ثورتها هذه لم تكن بتلك القوة. وقد توجه إليها الأمير عبد الرحمن بنفسه وحاصر طليطلة. وتعد هذه الثورة تمهيداً للثورة التي تبعتها والتي كلفت الدولة مجهوداً ووقتاً ألا وهي ثورة هاشم الضراب.

ذلـــك الـــرجل الذي كان أحد وجهاء طليطلة ممن أخذهم الأمير الحكم معه إلى قرطـــبة في عام ١٩٩هـــ-٨١٤م. وبقرطبة اكتسب هاشم لقبه "الضراب" حيث كان يعمل لدى الحدادين أجيراً يضرب بالمعمول على الحديد[٣]. ولم يدم هاشم بقرطبة حيث عـــاد إلى طليطلة. واجتمع حوله أهل الشر والفساد، ولا يرى بأن هذه الصفات تنطبق حـــول أهل الثورة. وإن كانوا كذلك فهل هم أكثرية قادرة على تزعم ثورة والإمساك بـــأمور مدينة كطليطلة، إنما الأسلم أنَّ هذه الصفة انعكاس لرأي السلطة[٤]. وعلى كلٍ فقد استطاع هاشم أن يجمع حوله عدداً من الثائرين. وبهذا الجمع بدأ هاشم بمهاجمة بعض المـــناطق المجـــاورة. فـــتوجه إلى وادي جونية وهاجم البربر . ثم استطاع أنْ يهزم أهل شنت برية.

وقـــد كان بينه وبين البربر حروب كثيرة، كما أنه لم يقتصر على البربر بل هاجم العرب أيضاً[٥].

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج١ ، ص٤٨.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٧٧.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٨٣.

(٤) إبراهيم بيضون : الدولة العربية، ص٢٣٥.

(٥) ابـــن عـــذارى : البـــيان المغرب، ج٢، ص٨٣. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٩.ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص ١٢٨ .

وبهذا ذاع صيته وكثر أتباعه ، وأصبح يشكل خطراً كبيراً على الإمارة الأموية.

وأمام هذا الخطر قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بإرسال جيش في عام ٢١٤هـ-٨٢٩م بقيادة القائد محمد بن رستم[١]. ولكن رغم وقوع معركة بين محمد وهاشم إلا أنها لم ينتج عنها منتصر وخاسر.

ونتيجة لهذه المعركة زاد هاشم الضراب طغياناً فتغلب على عدد من المواضع. وبهذا وسع مساحة ثورته حتى جاوز بركة العجوز[٢]. فكان رد عبد الرحمن على هذا التوسع جيشاً جديداً في عام ٢١٦هـ-٨٣١م. وبالقرب من حصن سمسطا المجاور لدورقة حدثت معركة بين جيش الأمير عبد الرحمن وهاشم الضراب بأنصاره. وقد استمرت المعركة عدة أيام أسفرت عن هزيمة هاشم ومقتله بالإضافة لمقتل عدد كبير من أنصاره[٣].

ورغم هزيمة الضراب ومقتله إلا أن طليطلة بقيت على حالها. فأرسل إليها عبد الرحمن الأوسط جيشاً بقيادة ابنه أمية وذلك في عام ٢١٩هـ-٨٣٤م. وحين وصل أمية بجيشه إلى طليطلة أقام عليها الحصار. لكن لم يكن هذا الحصار ذا جدوى خصوصاً وأن مدته قصيرة بالنسبة لحصار مدينة كطليطلة. وقام أمية بقطع الأشجار وإهلاك المزارع التي بخارج طليطلة. ثم أقام ميسرة الفتى – المعروف بفتى أبي أيوب – على قلعة رباح وترك تحت يده جيشاً ، ومن ثم عاد لقرطبة[٤].

وبعودة أمية لقرطبة، وعلم أهل طليطلة بذلك شعروا بنشوة النصر مما دفعهم إلى استضعاف ميسرة ومن معه بقلعة رباح.

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٨٣.

(٢) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣ ، ص٣٧٩.

(٣) النويري : المصدر السابق ، ج٢٣، ص٣٧٩. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٨.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٨٤. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٩-٣٨٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٢٨.

فقاموا بإعداد جيش والخروج إليه لنيل شيء مما في أنفسهم. وما أن علم ميسرة بهـذا الخـروج حتى جمع الجنود وأقام الكمائن على أن تخرج من جانبي الطريق[1] الذي سيســلكه أهــل طليطلة حين اقترابهم من قلعة رباح. وفعلاً هذا ما حدث ، وقد أعمل جـنود ميسرة سيوفهم على رقاب أهل طليطلة. ففر عدد من أهل طليطلة إليها. ثم أخذ جـنود ميســرة في جمع رؤوس أهل طليطلة وحملها لميسرة. فما أن رآها حتى أصابه غم شديد مات بعده بعدة أيام[2].

وقد تكون هذه المذبحة هي ما عرفت بملحمة العراس التي وقعت بأهل طليطلة في عام ٢١٩هـ-٨٣٤م[3] حيث لم تذكر مذبحة بأهل طليطلة في نفس العام غيرها.

وبمـوت ميسرة الفتى، لم ينس الأمير عبد الرحمن الأوسط أمر طليطلة حيث أنها شـغله الشــاغل. ففي خروجه للغزو بكور الغرب ، أخذ معه القائد أبا الشماخ اليماني وولاه قلعة رباح، وزوده بالخيل والرجال وذلك كله للتضييق على طليطلة ومهاجمتها من فترة لأخرى[4]. حيث أن الأمير عبد الرحمن كان يستخدم أسلوب إستتراف قوة طليطلة عن طريق حصار طويل المدى. ورغم هجمات أبا الشماخ على طليطلة من حين لآخر إلا أنها لم تؤثر بها. ولكن مع طول الحصار مَّل مجموعة من أهل طليطلة من هذا الحال، وكان على رأسهم رجل يدعى ابن مُهاجر[5].

وقد قام ابن مُهاجر بالتوجه مع مجموعة من أهل طليطلة إلى قلعة رباح، وبها طلب مـن قادة الحصن والجيش الأموي أن يتوجهوا معه لاقتحام طليطلة. وبدأ حصار أبواب

---

(١) النويري : نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص٣٧٩-٣٨٠.

(٢) ابـن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٨٤. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٧٩-٣٨٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٨.

(٣) عـز الديـن أبي الحسـن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٦، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ص٤٤٥.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص٨٤.

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٢، ص٨٤.

طلـــيطلة، ومـــنع وصـــول المـــيرة إليها. ومع هذا التغير في مواجهة طليطلة قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بإرسال قائده عبد الواحد الإسكندري[1] بجيش لمعاونة المُحَاصِرين . وفي عـــام ٢٢٢هـــــ-٨٣٧م أرسل الأمير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم. فعندما وصـــل الولـــيد وجد أنَّ أهل طليطلة قد أعياهم الحصار كما أن قوة دفاعهم أصبحت ضـــعيفة. فقـــام باقـــتحام المدينة عنوة في يوم السبت لليوم الثامن من شهر رجب لعام ٢٢٢هـــــ-٨٣٧[2]. وفور دخول الوليد لطليطلة أمر بإعادة ترميم قصر عمروس. ثم ســـكن بها إلى آخر شعبان سنة ٢٢٣هـــ-٨٣٨م. حيث أخذ ينظم أمور المدينة ويقوم على إقرار أهل طليطلة على الطاعة[3].

ويذكـــر بأنَّ الذي اقتحم طليطلة هو الأمير عبد الرحمن الأوسط نفسه[4]. وبعد هـــذه الثورة بدأ اهتمام الأمير عبد الرحمن في تولية ولاة طليطلة وعزلهم. ففي شوال من عام ٢٣٢هـــ-٨٤٧م عزل عنها حارث بن بزيع وولى بدلاً عنه محمد بن السَّلِيم الذي استمرت ولايته إلى العام التالي في شهر شعبان ثم أتى بعده أيوب بن السَّليم[5]. ولم يكن حال أيوب أفضل من سابقيه فقد عزله الأمير في شهر رمضان من عام ٢٣٤هـــ-٨٤٩م وأقام خلفاً له يوسف بن بسيل[6]. ويظهر أن ولاة طليطلة هؤلاء لم يدم حكمهم أكثر من ســـنة. وقـــد يعود هذا إلى احتمالين : إما أنهم من أهل طليطلة ، ولكي لا يتمكنوا من الاعـــداد لثورة ضد الحكم الأموي، أو أنهم ضاقوا من مؤامرات أهل طليطلة وتدابيرهم فكانوا يستعفون من ولايتها – لا يوجد ذكر لمواطنهم في المصادر. وعن ولاة طليطلة بعد خروج الوليد بن الحكم منها إلى ولاية حارث بن بزيع، ومن بعد ولاية يوسف بن بسيل

---

(١) ابن عذارى : المصدر ا لسابق، ج٢، ص٨٤-٨٥.

(٢) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٨٠.

(٣) النويري : المصدر السابق ، ج٢٣ ، ص٣٨٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٨.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٨٤-٨٥.

(٥) ابن حيان : المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ص١٤٣-١٤٤.

(٦) ابن حيان : المصدر السابق ، ص١٤٥.

إلى نهاية حكم الأمير عبد الرحمن لا تمدنا المصادر بمعلومات وافية عن ولاتها وكل ما هنالك أشارات محدودة عن بعض الولاة مجردة من تواريخ ولايتهم وهم عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي، وأخوه عبد الله بن كليب، وعبد الرؤوف بن عبد السلام بن إبراهيم. فعن عامر بن كليب يشار بأنه تولى ولاية طليطلة ثم عزل عنها وولى أخوه عبد الله[1]. والأرجح في ولايتهما أنها بعد انتهاء ثورة أهل طليطلة في عام ٢٢٢هـ-٨٣٧م. أما عبد الرؤوف بن عبد السلام فيشار أنه وليّ على طليطلة لمدة سبعة أعوام، كما تصرف في كثير من الكور، وجعله الأمير عبد الرحمن وزيراً له ومن ثم لابنه الأمير محمد[2].

وبناءً على طول ولاية عبد الرؤوف وكونه وزيراً لعبد الرحمن في آواخر أيامه، فربما كانت ولايته بين خروج الوليد بن الحكم من طليطلة في عام ٢٢٣هـ-٨٣٨م. وولاية حارث بن بزيع.

وبعد هذه الثورات المتواصلة توفى الأمير عبد الرحمن الأوسط في عام ٢٣٨هـ-٨٥٢م. فكانت طليطلة في فترة حكمه في قمة عنفوانها. ويعود ذلك إلى عدة أمور هي :

١- عدم إقامة حاكم من الأسرة الحاكمة يهتم بأمور طليطلة بشكل خاص.

٢- أسلوب الأمير عبد الرحمن في التعامل مع ثورات طليطلة بطريقة قد تسمى بالحصار طويل المدى.

٣- وجود دعم من الفرنج والجلالقة من خارج طليطلة ، يصل عن طريق النصارى الذين بداخلها[3]. وستظهر دلالة هذا في عهد ابنه محمد.

وبهذه السياسة التي قام بها الأمير عبد الرحمن الأوسط تجاه أهل طليطلة، كان لها أسوأ الأثر في فترة حكم ابنه محمد.

---

(١) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج١ ، ص١٦١.

(٢) ابن الآبار : المصدر السابق ، ج١، ص٢٤١.

(٣) أحمد الشعراوي : الأمويون أمراء ، ص٣٠٨.

فما أن اعتلى الأمير محمد بن عبد الرحمن كرسي الإمارة سنة ٢٣٨هـ -٨٥٢م حتى ثار عليه أهل طليطلة[١]. فقد وصل إليهم خبر وفاة الأمير عبد الرحمن بعد ثلاثة أيام من وفاته. وقد كان مسوقة بن مطرّف أحد الخارجين على الحكم الأموي قد استطاع الفرار من قرطبة وأقام بجبل الأخوين الواقع على هضبة قريبة من طليطلة. وما أن علم بموت الأمير عبد الرحمن حتى أخذ يحرض أهل طليطلة بالثورة ، وأنه سيساعدهم بجماعته وأعوانه المقيمين معه.

وهنا سرعان ما ثار أهل طليطلة ضد الحكم الأموي ، وبدؤا في محاربة حاكم طليطلة حارث بن بزيع والأمير سعيد – اختلف في أنه ابن عبد الرحمن أو ابن محمد – والحامية التابعة لهما. ومع شدة الحصار من قبل أهل طليطلة من الداخل وابن مطرف من الخارج قامت الحامية الأموية بإخراج الأمير سعيد من باب القنطرة. ولم يطل أمرهم حيث سقطوا في يد الثوار وأُسر حاكم طليطلة حارث بن بزيع.

وهنا بدأ أهل طليطلة في استخدام أسلوب جديد، استخدم لأكثر من مرة في عهد الأمير محمد، وهو أسلوب المقايضة.

فقد عرضوا على الأمير محمد تسليم الحاكم حارث بن بزيع مقابل إفراجه عن الرهائن من أهل طليطلة المحتجزين في قرطبة من عهد أبيه الأمير عبد الرحمن[٢]. وهنا خضع الأمير محمد لمطالب أهل طليطلة وأفرج عن رهائن طليطلة، وعند وصولهم لطليطلة أفرج أهل طليطلة عن حارث بن بزيع[٣] . وهذا لعدم توافر الثقة لأهل طليطلة من الحكام الأمويين وخاصة بعد وقعة الحفرة. وبهذه بدأ الأمير محمد أول عهده بالخضوع لأهل طليطلة خضوعاً لم يسبقه أحد من حكام بني أمية.

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٢٧.

(٢) محمد عنان : دولة الإسلام ، ج١-١ ، ص٢٩١-٢٩٢. حمدي عبد المنعم : أضواء جديدة، ص٥٩. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٣٩. حمدي عبد المنعم : ثورات البربر، ص٤١-٤٢.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٩٤.

غير أنه في عام ٢٣٩هـ-٨٥٣م قام بإرسال أخيه الحكم إلى قلعة رباح ونواحي طليطلة. وعند وصول الحكم إلى قلعة رباح أمر بإعادة إعمار أسوارها وإعادة من فر من أهلها أمام أهل طليطلة الذين هاجموا القلعة وقاموا بهدم سورها[١]. وحال انتهاء الحكم من إصلاح حال قلعة رباح، توجه إلى طليطلة وقام بتخريب نواحيها[٢].

ولكن هذا العمل لم يؤثر في أهل طليطلة ولم يردعهم. ففي شهر شوال من نفس العام قام الأمير محمد بإرسال جيش إلى نواحي شندلة بقيادة قاسم بن العباس وتمام بن أبي العطاف صاحب الخيل. فما أن وصلا إلى أندوجر حتى خرج عليهم أهل طليطلة من مكامنهم . فوقعت حرب بين الطرفين انتهت بهزيمة قاسم وتمام ومقتل عدد كبير من جندهما. كما أن أهل طليطلة غنموا كل ما في المعسكر الأموي[٣].

وبهذا فإن أهل طليطلة لم يكتفوا بالثورة بل بدؤا في تهديد المصالح الأموية. وأدى هذا العمل إلى ردة فعل جدية وقوية من الأمير محمد لأنه رأى أنّ بعد حدوث هذا العمل لا يمكنه الوقوف مكتوف اليدين. ففي شهر محرم من عام ٢٤٠هـ- ٨٥٤م[٤]جهز الأمير محمد جيشاً توجه به إلى طليطلة. وما أن علم أهل طليطلة بمقدم الأمير بجيشه حتى قاموا بطلب المعونة والمساعدة من ملكي جليقية والبشكنس.

ويرى بأنّ هذا الأمر لم يتم إلا بمعاونة من نصارى طليطلة وربما اقتراح منهم. ويدل على هذا تلبية الطلب من قبل ملك جليقية أردُنّ بن إذفونش بإرسال جيش يقوده أخوه غثون. ولولا تواجد المسيحيين بداخل طليطلة وتعاونهم لما أتت هذه المساعدة الكبيرة حتى مع رغبة المسيحيين في إضعاف المسلمين وتفرقة صفوفهم.

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٢، ص٩٤.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٧١.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٩٤. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٧١.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٩٤-٩٥.

وأمـــام هذا التحدي الكبير ، قام الأمير محمد بوضع خطة عسكرية تقضى بإقامة الكمائن بوادي سليط والاتجاه إلى طليطلة بأعداد قليلة.

وعـــندما رأى أهل طليطلة هذه الأعداد القليلة أخبروا غثون بها. فخرج لمحاربة هؤلاء القلة طمعاً في النصر والمكاسب وعند وقوع المعركة خرجت الكمائن ، وأحاطت الخيل بالعدو الذي أذهلته المفاجأة فولى الأدبار[1].

وقـــتل عـــدد كبير منهم أختلف في عددهم بين ثمانية الآف قتيل وعشرين ألف قتيل[2].

ورغم هذا النصر الكبير فإنَّ الأمير عبد الله لم يتوجه إلى طليطلة مباشرة ويُحكم أمره عليها، مما أعادها فيما بعد لما كانت عليه.

غـــير أن الأمير محمد لم يغفل عن أمرها ففي عام ٢٤١هـــ-٨٥٥م ، قام بإمداد قلعة رباح بالرجال والمؤن للتضييق على أهل طليطلة[3].

وفي ســـنة ٢٤٢هـــ-٨٥٦م وجه الأمير محمد ابنه المنذر بالجيوش إلى طليطلة. فقام المنذر بمحاصرة طليطلة وتدمير ما حولها[4] من مناطق زراعية ورعوية.

ورغـــم كل هذا إلا أنَّ أهالي طليطلة لازالوا مستمرين على الثورة والأدهى من هـــذا أنهـــم خرجوا من طليطلة في عام ٢٤٣هـــ-٨٥٧م نحو الغرب إلى طلبيرة تحديداً لعـــلهم يصـــيبوا بها غنائمً. ويلاحظ هنا أنهم ابتعدوا عن قلعة رباح لعلمهم بأنها كاملة التجهـــيز لمواجهتهم في أي وقت. وفي طلبيرة اعد لهم القائد مسعود بن عبد الله العريف الكمائن ، وحين وصولهم قاتلهم إلى أنْ هـــزمهم. ثم أرســـل سبعمائة رأس من رؤوس

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٢، ص٩٤-٩٥.

(٢) ابـــن الأثـــير : الكـــامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٧٣-٧٤. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص٩٤-٩٥. الـــنويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٧-٣٨٨. لسان الدين : أعمال الأعلام ، ص٢٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤ ، ص١٣٠. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص٣٢٨.

(٣) النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٨.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

أكابرهم إلى قرطبة[1] لإظهار صنيعه.

ولخروج الطليطليين إلى طلبيرة ، قام الأمير محمد بعدها بعام - ٢٤٤هـ-٨٥٨م - بالخروج بجيش كبير إلى طليطلة، ولكن لم يحدث قتال. حيث أن الأمير محمد قد جلب معه البنائين والمهندسين وطلب منهم أن يوهنوا بناء قنطرة طليطلة دون أن يعلم أهلها.

ويظهر أن الأمير محمد أظهر الانسحاب والانهزام بعد حصاره لطليطلة، وهذا أمر دفع أهل طليطلة للحاق به. فما أن اجتمعوا على القنطرة خارجين حتى تهدمت بهم وسقطوا في النهر.

ولهذه المكيدة أثر كبير على أهل طليطلة ، فقد قاموا بطلب الأمان من الأمير محمد في عام ٢٤٥هـ-٨٥٩م فتم لهم الأمان[2]. وهذا الأمان الأول.

ثم عاد أهل طليطلة للخروج على الحكم الأموي وكان ذلك في عام ٢٥٤هـ-٨٧٧م . ويظهر ذلك في أن الأمير محمد عند توجهه لماردة في هذا العام أظهر مقصده لطليطلة[3]. ولولا ثورتها لما كانت هي هدفه الوهمي الذي سيصدق به أهل ماردة.

وقد استمرت طليطلة على حالها. وينفرد أحد المصادر[4] بذكر أحوال طليطلة في عام ٢٥٧هـ-٨٧٠م- ٨٧١م:" وفيها أيضاً غدر أهل طليطلة ، وفارقوا الطاعة، واختلفت أهواؤهم... داخل مدينتهم، يتنافسون في الرياسة، فيقتل بعضهم بعضاً كل حين ، ولا يعد إلى غيرهم وفي حالهم هذه قتلوا أميرهم محمد المعروف بابن بلوش وهو منهم، وقد كانوا سألوا السلطان استعماله عليهم، فدبرهم حيناً، ثم وثبوا عليه فقتلوه ، ونفوا مسونة نده إلى مجريط، فقتله بها عبيد الله بن سالم، وأرسل برأسه إلى الأمير محمد بقرطبة" . ويظهر من هذا النص مدى ما جُبل عليه أهل طليطلة من غدر وتمرد وخروج

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٦. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٨.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص٩٦.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٢، ص١٠٠.

(٤) ابن حيان : المقتبس ، قطعة لم تطبع انظر محمود علي مكي: مدريد العربية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ص٨٨.

عـــن الطاعـــة ، حتى أنهم قتلوا أميرهم محمد ابن بلوش الذي كان توليه عليهم بسبب اختيارهم له.

وعـــلى هـــذا الحال توجه إليهم الأمير محمد في عام ٢٥٧هــ-٨٧١م. ونزل طليطلة وأحكم أمره بها[١].

وفي عـــام ٢٥٩هــــ - ٨٧٣م قام الأمير محمد بمحاصرة طليطلة إلى أن طلب أهلها الأمان. فأعطاهم الأمان – وهو الثاني – على أن يأخذ منهم رهائن ويقبلوا العمال المقامين عليها، وأن يدفعوا له العشور كل عام[٢]. وهنا يظهر أن الأمير قد وجد أن قوة النواحي الاقتصادية بطليطلة أحد دعائم ثورتها فأخذ منهم العشور لعله يقلل من قوتهم. ولكن رغم هذا الموقف الجيد من الأمير محمد إلا أنه عاد فقبل آراء أهل طليطلة في تولية مـــن يـــرونه مناســـباً لهم. فقد اختلف أهلها في من يقوم والياً عليهم. ففريق رأى تولية مطـــرف بن عبد الرحمن، وفريق رأى تولية رجل يدعى طربيشة بن ماسوية. وأمام هذين الـــرأيين قام الأمير محمد بتقسيم طليطلة، وأقاليهما بين هذين الرجلين، وقد كانت الغلبة فيما بعد لآخرهما[٣].

وكـــان هذا التقســـيم بداية انقسام أهل طليطلة إلى فريقـــين .

وقد يكون قصد الأمير محمد من هذا التقسيم كي ينشغل أهل طليطلة بأنفسهم. وظهـــر هذا الانقسام جلياً في نفس العام ٢٥٩هــ -٨٧٢م -٨٧٣م - وذلك عندما خرج أهل طليطلة لمهاجمة حصن سكيان الذي كان يقطنه سبعمائة من البربر – وقد كان عـــدد أهـــل طلـــيطلة في خـــروجهم عشرة آلاف– وفي أثناء المعركة قام مطرف بن عـــبد الرحمن بن حبيب بالانهزام فتبعه أهل طليطلة. وكان عمله هذا بسبب عداوته مع طربيشة وقام بهذا ليوهنه. وأدى هذا الانسحاب إلى مقتل عدد كبير من أهل طليطلة[٤].

---

(١) ابن الدلائي : ترصيع الأخبار، ص٦٣.

(٢) ابـــن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٢٧٧. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٠١. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٩٠.

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٠١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٢٦٥. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٠-٣٩١.

وفي عـــام ٢٦٠هــــ-٨٧٣م. كانت طليطلة عُرضة لهجوم أحد الثوار الخارجين على الأمير محمد وهو موسى بن ذي النون الهواري. فقد توجه هذا الثائر إلى طليطلة، فخرج إلـــيه أهلها في عشرين ألف رجل. وأثناء القتال عادت الأهواء لأهل طليطلة وتمثل ذلك في محمـــد بـــن طربيشة. فقام بالانهزام من المعركة وتبعه أهل طليطلة، وكان هذا العمل اقتصاصـــاً من مطرف بن عبد الرحمن لعمله في العام السابق. وأدى هذا العمل إلى مقتل عـــدد كـــبير مـــن أهـــل طليطلة، وزيادة قوة موسى بن ذي النون لانتصاره على أهل طليطلة[1].

وهـــنا يظهر لنا ما يقود أهل طليطلة في أعمالهم ألا وهو الانتصار للنفس وإعلاء هذا الانتصار مهما كانت النتائج.

وعلى أثر هذه الهزيمة لازم طليطلة وأهلها الهدوء إلى عام ٢٧٣هــ-٨٨٦م نهاية حكم الأمير محمد الأول.

وخلـــف الأمـــير محمـــد ابـــنه المنذر على الإمارة وذلك يوم الأحد الثالث من ربـــيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين للهجرة[2]- ٨٨٦م . وكان الأمير المنذر يتميز بالشدة والقوة والمسير نحو ما عزم عليه. ولعلم أهل طليطلة بذلك ، فقد قاموا حين تولى الإمـــارة بإرســـال جباية طليطلة كاملة إليه. وكان رد الأمير المنذر رداً قوياً وذلك بأن أعـــاد الجباية إليهم وأخبرهم بأن يستعدوا بها على مواجهته حيث أنه سائر إليهم إن شاء الله[3]. وهنا أظهر المنذر منتهى القوة في أوائل حكمه.

لكـــن طليطلة بأهلها لم تتوانى ، فقد قام أهلها باستخدام البربر المنفيين من حصن ترجيله والاستعداد لمواجهة الأمير المنذر. لكن الهزيمة حلت بهم، وذكر بأنَّ القتلى مـــن

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٢٧١-٢٧٢ . ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٣١.

(٢) ابـــن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: كتاب العقد الفريد، ج٤، حققه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ١٣٦٣هــ-١٩٤٤م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص٤٩٦.

(٣) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٥، ص٢٢١.

صـــفوف جيش طليطلة قدر بألوف[1]. وبهذا بدأ الأمير المنذر حكمه بانتصار كبير على أهل طليطلة. ولكن رغم هذه البداية القوية من قبل الأمير المنذر إلا أن طليطلة خرجت عـــن أمره، وتم ذلك مع زيادة أمور الفتنة عليه. فقد استطاع الزعيم البربري موسى بن ذي الـــنون – بعد طول نظر وطمع في طليطلة وبمعاونة من لب بن طربيشة – أن يقود جيشـــاً قوامـــه عشـــرون ألفاً، تمكن به من السيطرة على طليطلة في عام ٢٧٤هـــ – ٨٨٨م[2]. وكان هذا أول سيطرة لبني ذي النون على طليطلة.

ورغم انشغال الأمير المنذر بأمور الفتنة إلا أنه لم ينس خروج طليطلة عن حكمه على يد موسى بن ذي النون ، حيث أنه أرسل جيشاً بقيادة أخيه عبد الله إلى طليطلة.

ورغم إرسال الجيش إلا أنه لم يحقق شيئاً، خاصة بعد عودة الأمير عبد الله لقرطبة بسبب مبايعته بالإمارة إثر وفاة الأمير المنذر بن محمد الأول[3].

ومع ازدياد الفتن بالأندلس استطاع إذفونش بن أردُون من دخول مدينة سمورة[4] وإعادة بنيانها في عام ٢٨٠هـــ-٨٩٣م ، وقد كانت من بنيان عجم طليطلة[5].

ورغـــم عـــدم نجـــاح الأمير عبد الله في إخراج الثائر موسى بن ذي النون من طلـــيطلة،والذي استفحل أمره حتى أن ابنه الفتح أخذ ينازع عبيد الله بن أمية على أحد الحصون في حركة توسعية[6]، إلا أن أهل طليطلة أخرجوا بني ذي النون منها وطلبوا من محمـــد بن لب بن موسى القسوى أن يقدم إليهم حاكماً. فما كان من محمد إلا أن قدم لحكم طليطلة لما له من قدر كبير، ودعم في مواجهة منافسيه التجيبيين في الثغر الأعلى.

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١١٦.

(٢) عـــبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٤٥. عبادة عبد الرحمن كحيلة : المولدون في التاريخ الأندلسي منذ الفـــتح العـــربي حـــتى نهاية عصر الإمارة ، رسالة ماجستير، إشراف أحمد السيد دراج ، ١٣٩٨هـــ ، رقمها ٢٧٣٥ ، قســـم التاريخ ، جامعة القاهرة ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ . حمدي عبد المنعم محمد حسين : ثورات البربر في الأندلس في عصر الأمارة ، ١٩٩٥م ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ص٥٧.

(٣) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٣٩٤.

(٤) سمـــورة : بـــين سمورة والبحر ستون ميلاً. وهي مدينة محدثة . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص٩٨-٩٩ .وتقع شمال غرب طليطلة.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٢٤.

(٦) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢ ، ص٢٣٠.

وكان دخول محمد القسوى لطليطلة في ذي الحجة سنة ٢٨٣هـ-٨٩٧م. وقد أقام محمد ابنه لب على طليطلة[١] حيث أنه تفرغ لمنافسيه التجيبيين. أما ابنه لب فعلى ما يبدو بدأ في حركة توسعية. ففي نفس العام الذي بدأ فيه الحكم قام ببناء وتعمير حصن منتشون. مما أثار حفيظة محمد بن عبد الملك ابن شبريط المعروف بالطويل حاكم مدينة وشقة، وجعله يقوم بمهاجمة لب لمنعه من القيام بمشروعه. ولكن هذه المعركة انتهت بهزيمة ابن شبريط. وكان هذا النصر من الحوافز التي دفعت بلب في عام ٢٨٤هـ-٩٨٩م إلى غزو مدينة برشلونة. ففي هذا العام توجه لب إلى برشلونة واستطاع التغلب على حصن أوره - من أحواز برشلونة - وأحرقه. كما يذكر أنه تقابل مع الكونت الفرنجي غيفريد وانتصر عليه ، وأصيب في المعركة غيفريد بجروح مميتة توفى على إثرها بعد عدة أيام[٢].

وكما كانت طليطلة نقطة انطلاق للب ، فإنها كانت مركزاً لانطلاق أبيه محمد في محاربة منافسيه التجيبيين . فقد توجه في عام ٢٨٣هـ-٨٩٦م نحو سرقسطة وقام بمحاصرتها عدة سنوات. وقد لاقى حاكمها محمد بن عبد الرحمن التجيبي وأهل سرقسطة معاناة ومشقة شديدة.

وخلال هذا الحصار تم عقد تحالف بين محمد بن لب القسوى وعمر بن حفصون الثائر بحصن بيشتر. ولإكمال هذا التحالف أرسل محمد ابنه لب - والي طليطلة - إلى عمر بن حفصون لإتمام التحالف[٣].

فما كان من لب إلا أن توجه في عام ٢٨٥هـ-٨٩٨م إلى حيز جيان ، وأثناء توجه لب عرج إلى حصن قسطلونة لمساعدة عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشاليَة المحاصر من قبل جمع من النصارى. واستطاع لب من هزيمة النصارى وأخذ الحصن . ومع

---

(١) حمدي عبد المنعم : ثورات البربر ، ص٥٧-٥٨ . محمد بن إبراهيم أبا الخيل: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ط١، ١٤١٦هـ ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص١٨٤-١٨٥. كمال السيد أبو مصطفى : بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، ١٩٩٣م، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ص٦٧-٦٨.

(٢) كمال السيد : بحوث في تاريخ ، ص٦٨.

(٣) كمال السيد : المرجع السابق ، ص٦٧-٦٨-٦٩.

هـــذه المعركة لم ينس لب هدف والده. ولكن هذا الهدف لم يتم حيث أنه بينما كان في الحصن إذ وصل إليه خبر مقتل أبيه أثناء محاصرة سرقسطة فعاد أدراجه[1].

وبهذا أنقطع تحالف لو تم لربما أدى لإسقاط الدولة الأموية في الأندلس[2]، ولكن حكمة الله عز وجل شاءت البقاء للدولة الأموية.

وكانـــت ردة فعل لب نتيجة مقتل أبيه أن توجه إلى معسكر أبيه على سرقسطة. وقام بإعداد الجيش والتوجه إلى مدينة وشقة. وكانت خطة لب لدخول وشقة أن يتوجه إلـــيها دون إظهـــار ذلـــك. ومن ثم يكمن الكمائن على أن تتوجه مجموعة إلى وشقة ثم يعودوا ملاحقين، وبعد ذلك تخرج الكمائن على المطاردين ويعمل القتل بهم.

وفعـــلاً تمت هذه الخطة حيث كمن لب ليلاً، ومع بزوغ الفجر خرجت مجموعة إلى وشقة ثم انسحبت مع مطاردة من قبل القائد محمد بن عبد الملك .

وهـــنا استطاع لب من إحاطة محمد بن عبد الملك حاكم وشقة وخيلة وقتل عدد كبير منهم وأسر محمد نفسه ، وكان هذا في العاشر من شوال سنة ٢٨٥هـــ-٨٩٨م وقيل في ٢٨٦هـــ-٨٩٩م[3].

ولكن رغم هذا النصر لم تبق طليطلة تحت حكم بني قسي. فبعدما توفى محمد بن لـــب القســـوى خرجـــت طليطلة عن حكم بني قسي. واستمر بقاء طليطلة على حال الخروج إلى عام ٢٩٠هـــ-٩٠٢م.

أمـــا لب فقد عرض طاعته على الأمير عبد الله، فولاه على تطيلة[4] وطرسونة[5] وأعمالهـــا. فكـــان هذا الثغر شغله الشاغل يدافع فيه هجمات الأعداء، حتى أنه في عام ٢٩٠هـــــ-٩٠٢م عندما طلب مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب ويحيى بن قطام شيخا

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص١٣٩.

(٢) كمال السيد : بحوث في تاريخ ، ص٦٨-٦٩.

(٣) ابن الدلائي : ترصيع الأخبار، ص٦٥.

(٤) تطـــيلة : مدينة شرقي قرطبة تتصل بأعمال وشقة . انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩. وهي شمال شرق طليطلة.

(٥) طرســـونة : مديـــنة بيـــنها وبين تطيلة أربعة فراسخ، هي من أعمال تطيلة. انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج٤، ص٣٣.

طليطلة منه القدوم لحكم طليطلة أرسل معهما أخيه المطرف بن محمد وبهذا فإن طليطلة عادت لحكم بن قسي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٩٠هـ-٩٠٣م[١].

وعلى هذا استمر المطرف يحكم طليطلة إلى أن خرج عليه محمد بن إسماعيل بن موسى وهو من أبناء عمومته[٢]. ولكن على ما يظهر إن حكم محمد هذا لم يعجب أهل طليطلة فقاموا بقتله في عام ٢٩٣هـ-٩٠٥م[٣]. ثم ولوا من بعده لب بن طربيشة الحليف السابق لبني ذي النون.

وقد اتخذ لب بن طربيشة في حكم طليطلة أسلوب الابتعاد قدر الإمكان عن الأجواء العاصفة سياسياً وعسكرياً في تلك الفترة[٤]. وعلى هذا يظهر مدى الغواية والفتن والبعد عن الطاعة التي ميزت أهل طليطلة وكان أوضح صورها على عهد الأميرين المنذر وعبد الله[٥].

وعلى ظاهر الأمر فإن لب بن طربيشة استمر على سياسته حتى مع قيام الأمير عبد الرحمن الناصر على الحكم ، حيث أنه لم يذكر شيئاً ذا علاقة بين الأمير عبد الرحمن وطليطلة في بداية حكمه. ويعود هذا الأمر لعدة نقاط منها :

١- انشغال الأمير عبد الرحمن بتثبيت حكمه وحكم الدولة الأموية.

٢- انشغال الأمير عبد الرحمن بالقضاء على الثورات والثوار وخاصة القريبيين من قرطبة واصحاب التهديدات الخطرة.

٣- ابتعاد طليطلة وأهلها عن الثورة وإعلان العداء.

٤- علم الأمير عبد الرحمن لما يحتاجه من وقت وجهد لضم طليطلة .

وبهذا انتهت حقبة الإمارة الأموية بالأندلس حيث أعلن عبد الرحمن الناصر خلافته سنة ٣١٦هـ-٩٢٨م.

---

(١) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر ، ص٥٧-٥٨ عن ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور انطونيا، ص١٨-١١٨- ١٤٠ . الزركلي: الإعلام ، ج٥، ط٨، ١٩٨٩م، دار العلم للملايين ، ص٢٣٩.

(٢) حمدي عبد المنعم : ثورات البربر ، ص٥٨ عن ابن حيان : المقتبس ، تحقيق ملشور انطونيا ص١٨-١١٨-١٤٠ . كمال السيد : بحوث في تاريخ ، ص١٠٥.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص١٤٢.

(٤) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٤٦.

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٢٧٧.

المبحث الثالث :
عصر الخلافة الأموية

بـــدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس بإعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة في عام ٣١٦هـــ - ٩٢٨م.

ورغم إعلان الناصر نفسه خليفة على الأندلس إلا أن طليطلة كانت تمارس بعض ما يدل على خروجها عن طاعته من عدم أداء الجباية والالتزام بالطاعة[١]. فكانت هذه الأمـــور مجـــبرة له على إخضاع طليطلة خضوعاً كاملاً لحكمه. خاصة وأنه أخضع جميع الثوار والمخالفين له.

فقام في محرم من عام ٣١٨هـــ-٩٣٠م بإرسال وفد إلى طليطلة على رأسه أهل الخدمـــة لديه والعديد من الفقهاء المشهورين بخصال الصلاح، لرد أهلها إلى الطاعة دون قتال ، وذلك لعلمه بمدى صعوبة إخضاع طليطلة بالقوة .

ومـــن أفـــراد هـــذا الوفد الفقيه محمد بن عبد الملك بن أيمن ، والفقيه محمد بن إبراهيم بن عيسى، والفقيه محمد بن عبد الله بن أبي عيسى. ومن أهل الخدمة عبيد الله بن عبد الله الزجّالي.

ورغـــم إبـــلاغ أفراد الوفد لأهل طليطلة برسالة الخليفة المتضمنة أمرهم بالطاعة والانضمام للجماعةإلا أنهم استمروا على غوايتهم وخروجهم[٢].وكان هذا لعلمهم بمدى

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٨٠-٢٨١ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٢.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٨٠ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٢.

مقدرة مدينتهم وظنهم بأن الخليفة لم يرسل إليهم الوفد ولم يتأخر عن محاربتهم إلا لعجزه عن ضم مدينتهم.

إلا أن رأيهـــم كان على غير الصواب. فما أن عاد الوفد إلى قرطبة وعلم الخليفة بما يبيته أهل طليطلة حتى أعلن الاستعداد لضم طليطلة بالقوة.

ولما علم أهل طليطلة قاموا بمراسلة الحاجب موسى بن محمد بن حدير[1] يطلبون منه أن يتوسط بينهم وبين الخليفة، وأخذوا يحاجونه في هذا الأمر. وما كان ذلك من أهل طليطلة إلا ليؤجلوا خروج الجيوش الأموية حتى يتمكنوا من بلوغ فترة الحصاد ويجمعوا محاصيلهم كي يتقواو بها أثناء محاصرة الخليفة لهم. ولكن هذا الأمر لم ينطل على الحاجب موســى. فأرســل لهم رسالة يوضح لهم أن مقصدهم معلوم، وأن عليهم العودة لطاعة الخليفة الناصر.

وأدى هذا الأمر إلى ازدياد الخليفة عبد الرحمن الناصر عزيمة وشدة للتوجه إليهم وإخضاعهم[2].

فقام في صدر ربيع الآخر من عام ٣١٨هـ-٩٣٠م بإعداد العدة لمحاربة طليطلة، وفي يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر أرسل الوزير سعيد بن المنذر على رأس جيش إليها[3]، وكان يقصد من هذا أن يحول دون استعداد طليطلة لمواجهة الحصار ، بالإضافة إلى إشغالها لحين وصوله إليها، وحتى يتمكن من إعداد جيشه وتنظيمه .

وهـــنا توجـــه الوزير سعيد إلى طليطلة جاداً في السير، ثم نزل بساحتها وأخذ في التشديد عليها بأبلغ جهد له.

---

(١) موسى بن محمد بن حدير الحاجب : رئيس ، كان في أيام عبدالرحمن الناصر، من أهل الأدب والشعر، ومن أهل بيـــت رياســـة وجلالة. انظر أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحـــية عبد الرحمن السويفي، ط١ ، ١٤١٧هـــ-١٩٩٧م، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص٣٩٧.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٢٨٠-٢٨١.

(٣) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥ ، ص٢٨٠-٢٨١. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٢٠٢-٢٠٣.

ولم يـــتأخر الناصـــر عن طليطلة. ففي يوم الخميس الثالث من جمادي الأولى من نفـــس العـــام توجه إليها، يرافقه في الجيش ابناه الحكم المستنصر بالله والمنذر بن الناصر لدين الله[1].

وأثـــناء سير الخليفة إلى طليطلة عزم على إخضاع حصن مورة الذي اتخذه أهل طليطلة مركزاً للفساد، وقد كان عليه مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب. وقبل أن يصل الخلـــيفة إلى هـــذا الحصن كان مطرف قد سلمه له . حيث أنه قدم إليه من اعلمه بأن الأفضل له أن يسلم الحصن ويطلب الأمان.

وبهـــذا اســـتلم عـــبد الرحمن الناصر الحصن الذي كان مرتعاً للمفسدين وملجأً للخارجين على الحكم ، وسلم مطرف لمن ضبطه. ثم أكمل مسيره إلى هدفه طليطلة[2].

وحـــال وصـــول الخليفة إلى طليطلة بحث عن أنسب المواضع التي سيهاجم من خلالها المدينة . فرأى أنَّ محلة المقبرة على باب المدينة هو الأنسب والأصلح . فانتقل إليه في الـــيوم الـــثاني ، وباستقراره بدأ في التضييق والتشديد على أهل طليطلة بما لم يكن في حســـباهم، ثم أخـــذ في تخريب وهدم قراهم وتدمير مزارعهم، واستمر على هذا سبعة وثلاثـــين يومـــاً. وكـــان لحصـــار طليطلة صداه في قلوب من حولها من زعماء القلاع والحصـــون فقدم إلى الخليفة صاحب حصن قنالش والفهمين[3]– وهما من ثغر طليطلة – معلـــنين الطاعـــة والتســـليم . فما كان من الخليفة عبد الرحمن الناصر إلا أن أكرمهما وأقامهما في حضرته وألحقهما بديوانه.

ولعـــلم عبد الرحمن الناصر بمدى مناعة طليطلة وحصانتها، أمر ببناء مدينة على جبل حرنكس تكون مقراً دائماً للجنود سماها بمدينة الفتح.

---

(١) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص٢٨١-٢٨٢. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢) ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص٢٨٢. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص٢٠٣.

(٣) الفهمـــين : قريبة من طليطلة ، وكانت مدينة متحضرة، وملكهم الروم لما ملكوا طليطلة . انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٤.

وأوكلت المدينة للوزير سعيد بن المنذر. وعند اكتمال بناء المدينة شحنها الخليفة عـــبد الرحمن بالجنود والصناع والمؤن كما قسم أراضيها بين كبار قومه. وبهذا أدى بناء هـــذه المدينة ، وإقامة محمد بن سعيد الوزير مع جند كثيرون على باب القنطرة إلى زيادة التضييق والتشديد على طليطلة[1].

وما أن انتهى الخليفة من هذا الإعداد إلا وعاد إلى قرطبة بعدما أقام وزيره سعيد بـــن المـــنذر عـــلى محاصرة طليطلة للتضييق عليها، وكانت عودته يوم الخميس الرابع والعشـــرين من جمادى الآخرة سنة ٣١٨ هـــ -٩٣٠م- لثقته في قادته وكفاية جنده ، وإدراكـــه أن حصـــارها سيطول ، وبـــهذا أكمل الخليفة في غزوته هذه واحداً وستين يوماً[2].

وعن هذه الغزوة قال أحد الشعراء :

"فيها غزا بعزمه طليطلـــة	وامتنعـــوا بمعقـــــل لا مثـــل له
حتى بنى جرنكشه بجنبهـــا	حصناً منيعاً كافـــــلاً بحربهـــــا
وشدها بابن سليم قائـــداً	مجاهداً لأهلهـــا مجـــــاهـــــدا
فجاسها في طول ذاك العام	بالخسف والنسف وضرب الهام"[3]

وهـــذه الأبيات تظهر وصفاً شاملاً لهذه الغزوة. وابن سليم المذكور هو صاحب العسكر كما سيظهر فيما بعد.

وفي العام التالي -٣١٩هـــ-٩٣١م - أرسل الخليفة عبد الرحمن المعونة الشاملة للمحاصرين لطليطلة[4].

---

(١) ابن حيان : المقتبس، ج٥ ، ص٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٣.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٠٣ .

(٣) الفقـــيه أحمـــد بـــن محمد بن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر، ج٤، ص٥٢٣-٥٢٤ و ج٥، ص٢٤٣.

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص ٢٨٧ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٠٤.

كما أنه في نفس العام شارك في محاصرة طليطلة الوزير أحمد بن محمد بن حدير، بعد ما خرج لمحاربة العدو الذي كان ينوي مهاجمة بعض ثغور المسلمين ، إثر أخبار المحاصرين لطليطلة الخليفة بذلك[١].

وأدى هذا الأمر إلى إصرار الخليفة عبد الرحمن الناصر على فرض سيادته على طليطلة. ففي جمادى الآخرة سنة ٣٢٠هـ-٩٣٢م بدأ الإعداد لغزوته الثانية لطليطلة. وكان خروج الخليفة من قرطبة لغزوته يوم السبت الخامس عشر من رجب، مصطحباً ابنه الحكم المستنصر بالله[٢]. وقبل وصول الخليفة إلى طليطلة ، كان أهل طليطلة قد طلبوا المعونة من النصارى – أهل الحرب – ليعينوهم على فك الحصار عنهم.

وهنا وجد الملك ردمير الثاني هذا الطلب معيناً له على أشغال عبد الرحمن الناصر عن أراضيه، وعاملاً لإثارة الفتنة داخل الأراضي الإسلامية فما كان منه إلا أن أعانهم بالجيوش النصرانية[٣].

ويرى أن طلب أهل طليطلة المعونة من النصارى كانت برأي من النصارى القاطنين بطليطلة.

وكانت هذه المعونة قد زادت طليطلة خذلاناً وضعفاً حيث استطاع القواد المسلمون المحاصرون لطليطلة من هزيمتها وصدها[٤].

وما أن وصل عبد الرحمن الناصر إلى حرنكس يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب، إلا وقد وصل إليه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث أمير طليطلة يطلب العفو، ويعترف بالجهل، وتاركاً لزلته. فعفا عنه الخليفة[٥].

---

(١) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٠٥ – ٢٠٧ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ٣١٧ . ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٠٦.

(٣) محمد عنان : تراجم إسلامية، ص١٧٥. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص٢٢٠.

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣١٧-٣١٨. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٠٦.

(٥) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٣١٧-٣١٨. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٦-٢٠٧. ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، ج٤، ص١٤٠-١٤١.

أمـــا أهـــل طلـــيطلة فيشار بأنَّ القائد الزبير بن سليم صاحب العسكر المحاصر لطلـــيطلة قـــد أعلن الأمان لمن أراد الخروج من طليطلة من ضعفائها، وأن له الحرية في الـــتوجه إلى أي مكـــان شاء. فأدى هذا النداء إلى تتابع خروج ضعفاء طليطلة وعجزتها عنها. ونتيجة لما لا قوه من أمن واطمئنان، بدأ بعض أقوياء طليطلة في الخروج.

وكـــان هؤلاء الفارون من الحصار يخاطبون معارفهم بطليطلة عما هم به من خير ونعيم، مما أدى إلى خروجهم أيضاً[1]– وهذا التسلسل هو الأسلم في خروج أهل طليطلة – وبهـــذا لم يبق بطليطلة سوى القلة الذين رأوا أنهم مشارفون على الموت، فقاموا فيما بعد بطلب الصلح على شروط وضعوها. وهذه الشروط هي :

١– الحرية على الوظائف.

٢– الإعفاء عن النوائب.

٣– عدم وضعهم في السجون.

٤– أن لا يؤخذ منهم سوى الزكاة المفروضة.

٥– عدم عزل صاحب الصلاة.

٦– أن لا يقدم عليهم سوى خيارهم ومن تتفق عليه جماعتهم.

ورغـــم هذه الشروط إلا أن الخليفة عبد الرحمن الناصر وافق على شروطهم[2]. ففـــتحوا له مدينتهم وكان ذلك في اليوم الثاني من وصول الخليفة إلى حرنكس أي يوم الخميس السادس والعشرين من رجب[3].

وقـــد أخذ أهل طليطلة يشترون ما فقدوه أثناء الحصار من الطيبات[4]، والتي قد وجدوها في مدينة الفتح.

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥ ، ص٣٢١–٣٢٢.

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٣٢٢.

(٣) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٣١٨.

(٤) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٣١٨. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٧.

ونتيجة لهذا النصر ولعلم عبد الرحمن الناصر بما عليه أهل طليطلة من تداول للثورة ضد الحكم، قام بهدم بعض الأماكن وإقامة بعضها. كما أنه بنى جداراً يفصل بين القصر الذي سيتواجد به قواده وجنده وبين المدينة[1] ، كما أنه وصل باب القصر بباب القنطرة. وبهذا أحكم الخليفة أمره على طليطلة، وبقي بها إلى يوم السبت السابع من شعبان . وقد دامت هذه الغزوة ستة وثلاثين يوماً، حيث دخل الخليفة قصره بقرطبة يوم السبت الحادي والعشرين من الشهر نفسه[2].

ومنذ هذه المعركة استقام الطليطليون على أمر الخليفة وطاعته[3]. ونتيجة لما عاناه عبد الرحمن الناصر في استرجاع طليطلة وعلمه بمدى أهمية تواجدها ضمن أقاليم حكمه فقد اهتم بأمرها بشكل كبير، وربطها بالعاصمة حيث جعلها مركزاً للفتوحات تخرج الجيوش من العاصمة إليها، ومن ثم لمواجهة الأعداء.

ففي عام ٣٢١هـ-٩٣٣م غزا بالصائفة الوزير عبد الحميد بن بسيل. وكانت وجهته بلاد جليقية، وقد دخل إليها عن طريق مدينة طليطلة[4]. ولم تكن طليطلة منطقة عبور فقط بل كانت قاعدة للغزو، حيث أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد استخدمها مركزاً وقاعدة انطلاق في غزوته الشهيرة لسرقسطة في عام ٣٢٥هـ-٩٣٦م[5].

ولما لطليطلة من دور كبير في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر فلم يقتصر دورها على تعزيز الأمن والاستقرار في الجبهة الشمالية بل أضحت قاعدة للغزو والجهاد ضد الممالك النصرانية.

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٣٢٢.

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٢٠.

(٣) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٤٠-١٤١.

(٤) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٣٢٤.

(٥) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٩٤-٣٩٥.

ففـــي عام ٣٢٥هـــ-٩٣٦م تمكن والي طليطلة أحمد بن محمد بن مبشر ورجاله مـــن هـــزيمة سَـــريّة لأهل سمورة متجهة لطليطلة هزيمة ساحقة، غنموا خلالها الكثير من الأسرى والخيول والغنائم[1].

ولمـــا لهذه المكانة العسكرية والأمنية من أهمية للخلافة الأموية. فقد اهتم الخليفة بالـــنواحي الأمنـــية لطليطلة. حيث كُلف القائد أحمد بن محمد بن إلياس من قبل الخليفة ببـــناء قلعـــة خليفة بثغر طليطلة أثناء غزوته لبلاد جليقية في عام ٣٢٨هـــ-٩٣٩م-٩٤٠م. وقـــد قـــام أحمد بن محمد ببناء هذه القلعة على أتقن وجه ، وشحنها بالرجال والأقـــوات . وتم الانتهاء من بنيان هذه القلعة في شهر شوال من نفس عام الغزوة. وما أن انتهى من بنائها حتى أقام الخليفة عليها قاسم بن مطرف بن موسى بن ذي النون[2].

ومـــن الـــنواحي الإدارية والأمنية أيضاً اهتمام الخليفة بالاستقرار الداخلي لمدينة طليطلة. حيث أقام عليها ولاة أكفاء، ففي عام ٣٢١هـــ - ٩٣٢م أقام عليها محمد بن عبد الله بن حدير[3]، ثم اتبعه محمد بن عبد الرحمن في عام ٣٢٢هـــ-٩٣٣م[4].

وفي عـــام ٣٢٥هـــ-٩٣٦م ظهر ما على حاكم طليطلة من مسئولية . فقد أقيم علـــيها أحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله بن محمد معاً. وظاهر الأمر أن الأعمال كانت مقسمة بينهما، خاصة وأنَّ قلعة رباح قد اظيفت لحكمها مع طليطلة[5].

أمـــا أحمـــد بن يعلى بن وهب فقد ولاه عبد الرحمن الناصر على طليطلة في عام ٣٤٣هـــــ-٩٥٤م. وقـــد كان أحمد قائداً جليلاً. وحين أصبح والياً على طليطلة فإن الخلـــيفة لم يعزله عن الشرطة العليا بل أبقاه عليها وسماه بقائد الأعنة. كما أنه رفع رزقه إلى ما يساوي أرزاق الوزراء[6].

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٤٥٦.

(٣) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٢.

(٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٥٥.

(٥) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٤١٧.

(٦) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٦. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢١٩.

ولم تكن نظرة الخليفة عبد الرحمن الناصر في استقرار طليطلة مقتصرة على الولاة فقـــط، بل أقام بعض القضاة ومنهم أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب[١]. وقد بقي على قضاء طليطلة إلى أن توفى في عام ٣٣٨هـ-٩٤٩م[٢].

وبهـــذا التفكير السليم للخليفة عبد الرحمن الناصر استطاع أن يقرّ طليطلة على طاعته طوال فترة حكمه.

ولم تقتصـــر فعالـــية هـــذا التفكير على عهده فقط بل استمرت إلى فترة خليفته الخليفة الحكم الثاني.

فما أن أصبح الخليفة الحكم الثاني على الحكم في ذي الحجة من عام ٣٥٠هـــ-٩٦٢م حـــتى توافـــدت عليه الوفود معلنة البيعة، ومن هذه الوفود أهل طليطلة الذين أخـــذت علـــيهم البيعة كغيرهم من الوفود[٣].ولم يتغير أسلوب الخليفة الحكم الثاني عن أسلوب الخليفة عبد الرحمن الناصر. فلم يفصل طليطلة عن قرطبة عاصمة الدولة، ويظهر ذلك في عام ٣٥٢هـــ-٩٦٣م عندما خرج الخليفة الحكم الثاني لغزو بلاد قشتالة . فقد جعـــل طلـــيطلة مركـــزاً لتجمع الجيوش المتطوعة حين خرج من قرطبة إليها بالجيوش الرئيسية.

---

(١) أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب، أبو عمر : من العلماء سمع وسُمع عنه، توفى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. انظر الضبي : بغية الملتمس، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) أبي الولـــيد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي المعروف بابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، ط١، ١٤١٧هـــ-١٩٩٧م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص٣٩-٤٠.

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص٣٦٥ . شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمساني : ازهار الرياض في أخبار عـــياض، ج٢ ، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٢٨٨.

وقــد تكللــت هذه الغزوة بالنصر حيث هزم فرنان غونزاليس صاحب قشتالة وأجبره على طلب الصلح، كما سقط حصن شانت اشتبين في يد المسلمين[1].

ولمـا لطليطلة من أهمية ولعلم الخليفة الحكم الثاني بذلك – كعلم سابقيه – اهتم بأمـر منصـب والي طليطلة . فقد أقام عليها القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري حمو الحاجب المنصور بن أبي عامر[2].

ومـن خلال هذا يتضح ما تمتعت به طليطلة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر والخليفة الحكم الثاني من استقرار وطاعة لأوامر الحكومة المركزية ، بعد فترات طالت بها حركات الخروج عن الحكم، وإظهار للعصيان والثورات.

ولم يتغير الحال في أوائل حكم الخليفة هشام المؤيد. فقد استمرت طليطلة مركزاً لخـروج الجيوش وتموينها. ومن ذلك أنه في غرة صفر من عام ٣٦٧هـ–٩٧٧م خرج المنصـور بـن أبي عامر إلى طليطلة ومنها وبمرافقة صهره غالب استطاع أن يفتح حصن المال وحصن زنبق ، كما أنهما هاجما مدينة شلمنقة واستولوا على أرباضها[3]–ضاحيتها .

كمـا شارك حاكم طليطلة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الملقب بالحجر بخيل طلـيطلة وطبقات الأجناد مع المنصور بن أبي عامر في غزوته إلى جليقية، وذلك في أول شهر محرم سنة ٣٧١هـ–٩٨١م، وقد كان على مقدمة جيشه[4].

ولم تكـن مشـاركة حـاكم طليطلة عبد الله بن عبد العزيز في حركة التخطيط لإسـقاط المنصـور الـتي تزعمها عبد الله بن المنصور وعبد الرحمن بن مطرف صاحب سرقسطة تعكس تطلعاً لأهل طليطلة.

---

(١) عبد المجيد نعنعي : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت ، ص٣٩٤.

(٢) شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج١، ص٤٦٠. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج٢٢، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص٦٩١٠.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٧.

(٤) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج١، ص٢١٥–٢١٦. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٠.

والدليل على ذلك أنه ما أن وصل الخبر إلى المنصور حتى قام بالقضاء على هذا التآمر باستدعاء ابنه عبد الله ، وتحويل عبد الله بن عبد العزيز من حكم طليطلة إلى الوزارة[1].

بينما لم يقع على طليطلة وأهلها أي عقاب. كما أن المنصور راعى شعور أهل طليطلة ونظرهم إلى حاكمهم فلم يعزله بل أحاله لوظيفة أخرى ظاهرها أنها أفضل.

ولم تترك طليطلة دون حاكم لها. فعلى الأرجح أن أبا مروان عبد الملك بن أحمد الوزير[2] قد خلف عبد الله بن عبد العزيز عليها.

ومن هنا يظهر أن طليطلة استمرت على حال من الاستقرار والإذعان للدولة الأموية في عهد الخليفة هشام المؤيد وكانت مركزاً وقاعدة لانطلاق غزوة المنصور بن أبي عامر نحو أراضي جليقية وأرض قشتالة بلد شانجة بن غرسية.

وقد توفي المنصور محمد بن أبي عامر في صفر من عام ٣٩٢هـ-١٠٠١م[3]. فخلفه على الحجابة ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، والذي سار على نهج أبيه وخاصة في توالي الغزوات. ولم يغير الحاجب عبد الملك العلاقة القائمة مع طليطلة، فبقيت مركزاً لخروج الجيوش وتموينها. ومن هذا غزوته لأراضي جليقية في سنة ٣٩٣هـ-١٠٠٢م[4]. وغزوته الثانية في سنة ٣٩٥هـ-١٠٠٤م. وظهر في الغزوة الثانية صفة التموين والتجهيز للجيوش من قبل طليطلة بأمر الحاجب عبد الملك للجيوش بالتزود والتأهب منها[5].

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٣.

(٢) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج١، ص٢٣٩.

(٣) ابن الآبار : المصدر السابق، ج١، ص٢٧٢-٢٧٣. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٠١. ابن بسام : الذخيرة ، ج١ - ٤، ص٧٣.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٥.

(٥) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج٣، ص ١١ .

إلا أن الحاجب عبد الملك المظفر هذا على عكس أخيه عبد الرحمن، الذي يعتبر قدومه بداية انهيار الخلافة الأموية خاصة مع ضعف الخليفة هشام المؤيد.

ونتيجة لهذا وأثناء تواجد الحاجب عبد الرحمن شنجول خارج قرطبة للغزو. أعلن بنو أمية مبايعة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولقبوه بالمهدي[1].

وما أن علم الحاجب عبد الرحمن شنجول بهذا إلا وتبرأ من ولاية العهد التي أدعاها لنفسه، واكتفى بالحجابة، وأرسل بهذا إلى أهل طليطلة وأهل الثغر يظهر لهم أن محمد بن هشام قد اغتصب الحكم من الخليفة هشام المؤيد. ولكن هذا العمل لم يجد صدى لدى أحد[2].

وقد يكون أهل طليطلة قد رضوا بهذا لِما وجدوه من نقص في شخص الحاجب عبد الرحمن شنجول وعدم مقدرته لصنع ما كان يصنعه أبوه وأخوه. وعلى كلٍ فما أن ثبت الحكم لمحمد بن هشام المهدي حتى أتى إليه كتاب واضح العامري صاحب طليطلة بالطاعة[3].

ورغم هذه القوة التي اكتسبها محمد المهدي بتبعية طليطلة وأهلها، إلا أنه زعزع أمره بمناصبته العداء للبربر.

فما كان من البربر إلا أن التفوا حول سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وبايعوه وأطلقوا عليه لقب المستعين بالله[4]. وهنا برز سليمان بن الحكم وطلب المساعدة من النصارى الذين لم يتوانون عنه. فسار سليمان بن الحكم بالنصارى والبربر إلى قرطبة ووقعت بين الطرفين وقعه قنطش التي أسفرت عن مقتل

---

(١) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات "الأندلس"، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ص٣٣.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٦٩.

(٣) لسان الدين : أعمال الأعلام ، ص١١٢.

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص ، ص٤٧. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٢٩. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٥٠.

الآلاف مـــن أهل قرطبة[1]. وتمكن المستعين من دخول قصر قرطبة، كما بويع بالخلافة وذلـــك في نصـــف شـــهر ربيع الأول سنة ٤٠٠هـــ-١٠٠٩م وتلقب بالإضافة للقبه بالظافر بحول الله[2].

أما محمد المهدي فقد بقي متخفياً في المدينة ثم رحل عنها في أول جمادى الأولى من العام نفسه قاصداً طليطلة[3]. حيث لازالت الثغور كلها من طرطوشة إلى الأشبونة على طاعته، كما أن واضح الفتى وأهل طليطلة لازالوا متمسكين بطاعته[4].

وربما أحس أهل طليطلة أن سليمان المستعين بالله مغتصب للحكم، كما أن تحالفه ابتداءً مع النصارى أبعدهم عن طاعته وأبقاهم على طاعة المهدي.

وعـــلى كلٍ ما أن ثبت الخليفة سليمان المستعين على الحكم حتى بدأ في محاولاته ضم طليطلة تحت حكمه لعلمه بما تشكله من ثقل لصالحه.

فـــبدأ بشكل ودي ، حيث أرسل أحمد بن وداعة في جيش إلى أهل طليطلة ليزيل – فـــيما يـــراه– الفتـــنة والخلاف الواقع بينهما. ولكن القائد أحمد بن وداعة عاد بخبر خلافهـــم له[5]. ولم ييأس الخليفة المستعين بالله حيث ظن على الظاهر أن الخلل في وفده العسكري حيث أرسل وفداً آخر مكون من الفقهاء والوزراء. ولكن هذا الوفد عاد بما عاد به سابقه.

وهنا أعلن الخليفة المستعين بالله التأهب لقصد طليطلة. فكان رحيله إليها في يوم الاثنين ١٢ من جماد الآخرة سنة ٤٠٠هـــ-١٠١٠م.

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص ، ص٤٧. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٥٠.

(٢) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢، ص٧.

(٣) ابـــن عـــذارى : البـــيان المغـــرب ، ج٣، ص٩٢-٩٣. الـــنويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٢٢-٤٢٣. لسان الدين: أعمال الأعلام ، ص١١٤.

(٤) الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، المكتبة الأندلســـية ، ١٩٦٦م، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة، ص١٨. عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص، ص٤٧. ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٧. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٩٢-٩٣.

(٥) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٩٢-٩٣.

وحين وصل الخليفة المستعين بالله إلى مشارف طليطلة أرسل وفداً ثالثاً مكوناً من مجموعة من الفقهاء، رغبة منه في إظهار القوة مع الرفق ولكن هذا لم يثنِ أهل طليطلة عن موقفهم. وهنا أظهر الخليفة المستعين بالله بجيوشه المحيطة به أنه أكثر مرونة من أهل طليطلة حيث تخطى طليطلة إلى مدينة سالم. ومن ثم عاد الخليفة المستعين بالله إلى قرطبة نتيجة للبرد الشديد(١).

والحقيقة أن محاولات الخليفة المستعين بالله الودية كانت لعلمه بعدم قدرته على الحصول على مدينة طليطلة دون رضي أهلها -للعوامل المساعدة لها.

وأمام هذه المحاولات لم يقف محمد المهدي مكتوف اليدين. بل استطاع بمساعدة واضح صاحب طليطلة من الحصول على مساعدة الإفرنج مقابل مقدار من المال(٢).

وفعلاً تحرك محمد المهدي وواضح من طليطلة إلى قرطبة بعدد كبير من الجند. وكان الخليفة سليمان المستعين بالله قد استنفر أهل قرطبة حال عمله بهذا،وقد تم الاستنفار في يوم الاثنين لخمس خلون من شوال من العام نفسه(٣).

ولكن أهل قرطبة أظهروا الجبن وطلبوا الإعفاء، فحارب الخليفة سليمان المستعين بالله بعسكره(٤).

وتم اللقاء بين الطرفين في شهر شوال ، بعقبة البقر من ظاهر قرطبة في آخر باب سبتة، وانتهى الأمر بانتصار محمد المهدي ودخوله قرطبة(٥).

ولكن محمد المهدي لم يهنأ بهذا النصر طويلاً ، حيث أن العبيد العامريين بزعامة حاجبه واضح ثاروا عليه في يوم الأحد الثامن من ذي الحجة سنة ٤٠٠هـ-١٠١٠م

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٩٢-٩٣. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٤٢٢-٤٢٣.

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٨. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٠.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٩٤.

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٩٤.

(٥) ابن بسام : الذخيرة، ج١-١، ص٤٤-٤٥. الذهبي : سير إعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٠.ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٥١. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص٤٠٤.

وأخـرجوا الخلـيفة هشـام المؤيد، ولم تقتصر نهايته عند هذا الحد بل قتل وفصل رأسه عن جسده(1).

وقد قام الحاجب واضح بهذا العمل لعلمه بأن المهدي سيصبح الخليفة الذي سيصرف أموره بنفسه، كما أن أهل طليطلة كما ذكرنا أصبحوا يؤمنون بأنه هو الخليفة الأحق.

وقـد ظهر مدى إيمان أهل طليطلة بخلافة المهدي بعد وفاته وذلك عندما استقبلوا ابنه الـذي نقله اشياع أبيه إليها، وقبلوه وأمروه عليهم. ولكن هذا الابن قبض عليه وقتل في عام ٤٠١هـ-١٠١٠م. وعادات طليطلة لتبعية الحكم المركزي(2).

ويلاحـظ أن طلـيطلة قد ركنت إلى السلم والهدوء في هذه الفترة حيث دعمت من طلب إعانتها، ولم تتعرض لعدوان عسكري من قبل الأشخاص المعارضين لمن تعينهم، حتى أن الـبربر عـندما طـردوا من قرطبة وقاموا بحركاتهم التخريبية للكثير من المدن لم يعتدوا على طليطلة(3). ويعود هذا إلى حصانة طليطلة ومناعتها.

وعـلى كـل فـإن طليطلة استمرت طوال فترة الفتنة وإلى سقوط الخلافة الأموية بـالأندلس في عـام ٤٢٢هـ - ١٠٣١م. على حال من الهدوء النسبي، رغم أن بعض الأحداث السياسية السابقة في الأندلس كان لطليطلة دور فيها.

وقـد يعود هذا الهدوء إلى أن أهل طليطلة كانوا يعدون مدينتهم ويحافظون عليها من علل الفتن والحروب حتى تتزعم مدن الأندلس بعد قرار الفتنة.

كمـا قد يعود هذا الهدوء والانعزال إلى أن أهل طليطلة شعروا بأن الثورات والفتن ليست الوسيلة الأسلم لما كانوا يهدفون إليه.

وبصورة إجمالية فإن طليطلة في فترة الفتنة هذه شذت عن سيرتها السابقة، ولم تقم بشيء ظاهر كما قامت به مدن الأندلس الأخرى.

---

(1) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-١، ص٤٤-٤٥. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص١٠٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٠. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١١٦.

(2) ابـن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩، ص٢١٨. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص١٠٠. النويري : نهاية الأرب ، ج٢٣، ص٤٢٦. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١١٦.

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣، ص١٠٤.

الفصل الثاني
المبحث الأول
انهيار السلطة الأموية وأثر ذلك على الأحوال في طليطلة

أضحت الخلافة الأموية في أواخر عهدها في حال يرثى لها حيث جرت العادة في هذه الفترة على التطاول على الخلفاء وخلعهم، وكان أكثرهم ممن لم تحمد سيرته سياسة وأخلاقاً.

فمنهم من كان يعين لأكثر من مرة، ومنهم من حكم مدة أشهر فقط، ومنهم من لم يزد عن السنة إلا أشهراً.

وعلى سبيل المثال ما ذكر عن محمد بن عبد الرحمن المستكفى بالله فقد ولي الخلافة مرتين، وعزل عنها نهائياً في عام ٤١٦هـ-١٠٢٥م.

وقد كان صاحب لهو وبطالة ، حتى أنه لم يقدم على مواجهة يحيى بن علي بن حمود المعتلي بالله حين قدم إلى قرطبة لانتزاع الحكم، واكتفى بالفرار منه بعد سنة وأربعة أشهر من الحكم[١].

وحتى يحيى بن علي هذا فقد بقى بقرطبة أربعة أشهر إلى نهاية عام ٤١٦هـ-١٠٢٦م ، ثم عاد إلى مالقة حيث كان بينه وبين ابن عباد حاكم أشبيلية تنافس لتوسيع أراضيها.

وهنا تعقب خيران ومجاهد العامريان يحيى إلى قرطبة وتمكنا من دخولها، ثم خرجا عنها تاركينها وأهلها في هرج ومرج[٢].

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص١٤١-١٤٢-١٤٣. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١٣٦. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٥٢.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص١٤٣-١٤٤.

ولمـــا حل بقرطبة من عدم تواجد رجل يجلس على مقعد الحكم فقد خطب لهشام بن محمد المعتد بالله بالخلافة في قرطبة سنة ٤١٨هـــ-١٠٢٧م. ولكنه لم يأت لقرطبة إلا في عـــام ٤٢٠هـــــ-١٠٢٩م[1]. وكان كسابقيه صاحب ملاذ وهوى ، وقد ترك أمر الحكم لوزرائه.

وبقـــى حاله كذلك إلى أن خرج عليه ابن عمه أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر[2].

ولمـــا لهـــذه الأحوال من تأثير سيء على أحوال المجتمع واستقراره، فقد اجتمع وزراء الدولـــة والشـــيوخ وأصـــحاب الرأي بقرطبة وأعلنوا إبطال رسم الخلافة ونفي المروانية وإجلائهم لعدم الكافية والقدرة.

وبهذا انتهت خلافة بني أمية بالأندلس وكان هذا في عام ٤٢٢هـــ-١٠٣١م[3].

وفي هـــذه الأحـــوال المضطربة وما آل إليه حال الأندلس من التفكك والضعف والهوان. فقد آلت مقاليد أمورها إلى رجال ليس لهم في شؤون الحكم والسلطة أي دور، فلا يهتمون إلا بملاذهم وشهواتهم، وما يحقق مطامعهم السياسية في التملك والاستحواذ.

وهذا كله أدى إلى تفكك وحدة الأندلس، وسقوط عدد من مدنها في يد الأعداء النصارى.

أما طليطلة فكان الأثر الواضح لسقوط الدولة الأموية هو إكمالها لسيرتها السابقة المتمثلة في اتصافها بالهدوء في أواخر عصر الخلافة.

فمن خلال المعلومات القليلة المتوفرة عن طليطلة في هذه الفترة، يظهر أن طليطلة تقوقعت على نفسها. فلم تؤيد ثائر على آخر، ولم تقف مع أحد الأمراء، وحتى حكامها

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص١٤٥. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٥٢.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص١٥١-١٥٢. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١٣٩. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٥٢-١٥٣.

في هذه الفترة فهم منها ولم تستعن بأحد إلا بعد ظهور الأمراء الأقوياء المجاورين لها وذلك في بداية فترة ملوك الطوائف[1].

وهنا نرى بأن هذا الاضطراب السياسي دفع أهل طليطلة منذ أول الفتنة إلى إقامة حكومة أو إدارة تهتم بشؤون المدينة إلى انتهاء هذه الفتنة أو إلى ما ستؤول إليه الأحوال خاصة مع انشغال حكام الدولة وحكام الأقاليم بالفتنة.

وطبيعة الأحوال في طليطلة في هذه الفترة يؤكد وجود حكومة تسير أمورها، نالت رضى أهل طليطلة.

وعن حكام طليطلة في هذه الفترة الممتدة من عام ٤٢٢هـ-١٠٣١م إلى ٤٢٧هـ-١٠٣٥م لا يوجد ترتيب واضح نهائياً لهم. كما أن هنالك اختلاف حول حكام طليطلة، فبعض المصادر تقتصر على ذكر الأبرز منهم، والبعض الآخر يذكر أشخاصاً لا تذكرهم المصادر الأخرى.

وقد يعود هذا إلى الاختلاف بين الحكام الذين برزوا كامراء لهم هيبة ظاهرة وبين الزعماء الذين أداروا أمور المدينة دون اهتمام بمراسيم خاصة بالحكم.

ومجمل هؤلاء الحكام الذين ورد ذكرهم – دون ترتيب : ابن ميسرة، ومحمد بن يعيش وابنه أبو بكر يعيش ، وسعيد بن كوثر وابنه أبو عمر أحمد، وعبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك[2].

وعن أول حاكم تولى حكم طليطلة أيام الفتنة كان الاختلاف بين عبد الرحمن بن متيوه ومحمد بن يعيش وابنه يعيش بن محمد[3].

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١١. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١.

(٢) القاضي أبو الفاضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتى : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج٤، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت ، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ص٧٥٥-٧٥٦. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٦. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٤٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١.

والواضح أن ذكر يعيش بن محمد في هذا المقام مجانب للصحة. وذلك لأن أباه سبقه في الحكم.

أما محمد بن يعيش فتدلنا المصادر على أنه أول من ثار لحكم طليطلة في فترة الفتنة.

أما عبد الرحمن بن متيوه فحكمه كان في آخر الفترة حيث تبعه ابنه عبد الملك ومن ثم حكم بني ذي النون.

وبهذا فإن محمد بن يعيش هو الحاكم الأول لطليطلة من خلال ما أتضح سابقاً، ووصفه في المصادر صراحة بأنه أول حاكم لها[1].

أما من حيث ترتيب حكام طليطلة في هذه الفترة فلا يمكن إقامة ترتيب متكامل مثبت لهؤلاء الحكام، غير أنه يمكن إقامة ترتيب جزئي متتابع لهم.

فقد تبع محمد بن يعيش بن منذر الأسدي وسعيد بن كوثر وابن ميسرة حكم أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش وأحمد بن سعيد بن كوثر.

وقد استمر يعيش في الحكم بعد إزالة أحمد بن سعيد عنه. كما تبع عبد الرحمن بن متيوه على الحكم ابنه عبد الملك[2].

وهنا يتضح أن حكم طليطلة بعد سقوط الدولة الأموية تحول جزء منه إلى حكم وراثي، وهذا ما يقودنا إلى خضوع أهل طليطلة ومجاراتهم لبعض الحكام، ولكن ليس في الغالب حيث قام أهل طليطلة بخلع أكثر من حاكم كما سيظهر لاحقاً، كما أن حكمها تحول في بعض الفترات إلى حكم صادر عن مجلس متعدد الأفراد.

وعن سيرة حكام طليطلة فهي كالآتي:

---

(١) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١١. النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٤٠. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٦١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٢.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص٧٥٥.

١- عبد الرحمن بن متيوه : كان عبد الرحمن نصيراً لسليمان وحلفائه البربر وقاتل معهــم عدة سنوات ضد الخليفة المهدي الذي كان يواليه أهل طليطلة ، وقد حكم بعد عبد الرحمن ابنه عبد الملك الذي تبعه حكم ابن ذي النون[1].

٢- عــبد الملــك بن عبد الرحمن بن متيوه : خلف أباه في الحكم، وما لبث أهل طلــيطلة أن غضبوا عليه وعزلوه حيث لم يكن يملك مقدرة أبيه ومواهبه في الحكم والإدارة. كما أنه أساء السيرة في الرعية.

وقد قتل عبد الملك على يد عبد صقلبي له دفاعاً عن نفسه[2] . وكان خلفه كما أشرنا سابقاً هو إسماعيل بن ذي النون.

٣- محمد بن يعيش : يكن أبو عبد الله. كان فقيهاً حافظاً للمسائل عالماً بالشروط رأســاً في ذلــك. وهو فقيه طليطلة في وقته وإليه انتهت الفتوى ، كما كان قاضيها.

وقد ثار بطليطلة وتولى الحكم بها، ولكن لم يطل حكمه. وكان ابن يعيش متمسك بخطة القضاء بالإضافة للحكم[3].

وقد كان محمد بن يعيش صاحب مكانة ظاهرة بالأندلس حتى أصبح قدوة لبعض حكام الأندلس كابن عباد صاحب أشبيلية . ويذكر بأن ابن يعيش أول من تغلب على طليطلة، كما يذكر أن أهل طليطلة قدموه على أنفسهم بعد سقوط الخلافة الأموية.

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣، ص٢٧٦. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٥٨. شكيب ارسلان: الحلل السندسية ، ج١، ص٤٥٢.

(٢) ابــن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، تحقيق إحسان عباس، ط١، ١٩٨١م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص٩٣-٩٤. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٢، ص١٦، ج٢-١، ص٩٤٢. القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٤، ص٦٨٩-٦٩٠. ابــن سـعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١١. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص١٩٦. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٤٠.

ويذكر أيضاً أن إسماعيل بني ذي النون تبعه على الحكم ويبدو أن هذا كله يعود لمدى بروزه في الحكم عن من هم معه وغيرهم.

ويـــرى رغم كل هذا إلى أن حكم محمد بن يعيش كان ضمن المجلس الذي حكم طلـــيطلة، والـــذي تكون منه ومن سعيد بن كوثر وابن ميسرة. ويبرز ذلك من خلال ذكر أن ابن يعيش كان يجد دعماً ونصرة من صديقه ابن كوثر[1].

٤- يعيش بن محمد بن يعيش : يكنى أبا بكر ، روى عن أبيه وغيره. وقد كان له رحلـــة إلى المشـــرق لقـــى فيها عدداً من العلماء، حيث كان له عناية كبيرة بالعلم، كما كان حافظاً للفقه، ذاكراً للمسائل.

وتولى الأحكام ببلده، وقد صار إليه تدبير الرئاسة بطليطلة. حيث تمكن أول أمره من ابعاد منافسيه من رؤساء المدينة.

فقد كان بينه وبين أبي عمر أحمد بن سعيد بن كوثر منافسة أيام ابن ميسرة تمكن فيها من إبعاد أبي عمر إلى شنترين، ثم دس إليه فيها من قتله، ومن ثم أتى بعد هذا وفاة ابن ميسرة.

ويظهـــر لديـــنا هنا أن هنالك حركة تنافسية داخل طليطلة هدفها اعتلاء عرش طليطلة نفسها[2].

ولكـــن عـــرش طليطلة لم يدم ليعيش حيث خلعه أهل طليطلة من الحكم . وقد أنتقل يعيش بعد أنَّ خلع إلى قلعة أيوب سنة ٤١٨هـــ-١٠٢٧م[3].

---

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٤، ص٦٩٠. ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٢، ص١٦. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١١. النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٤٠.

(٢) القاضـــي عـــياض : ترتيـــب المـــدارك ، ج٤، ص٧٥٥-٧٥٦. أبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحديثهم وفقهائهم وأدبائهم ، صححه وراجع أصله الســـيد عزت العطار الحسيني، ج٢، ط٢، ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٦٥٠-٦٥١ .

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج٢، ص٦٥٠-٦٥١.

٥- سعيد بن كوثر : كان نظيراً لمحمد بن يعيش في العلم والجلالة بطليطلة.وهو كما أشرنا كان مشاركاً في الحكم مع محمد بن يعيش حيث أنه كانت بينهما علاقة حميمة جداً[١].

٦- ابن ميسرة : سبق يعيش بن محمد بن يعيش ، وكان يميل إليه في فترة حكمه[٢]. ويظهر أنه كان مشاركاً في مجلس الحكم المكون منه ومن محمد بن يعيش وسعيد بن كوثر.

٧- أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري : يكنى أبا عمر. كان فقيهاً متفنناً ، كريم النفس. أخذ العلم من علماء بلده وأجازه جماعة من علماء قرطبة مع أبيه. وكان يقدم إليه طلاب العلم من الأندلس والمشرق، وقد كان يغدق عليهم ويكرمهم حتى أن كرمه وصف بأنه لم يسبقه إليه أحد من فقهاء طليطلة.

وفي جانب الرئاسة يظهر أنه كان مشاركاً ليعيش بن محمد في الحكم، لكن يعيش استثقله فدبر قتله. وفي قتله يذكر أن الداخل عليه ليقتله ألفاه وهو يقرأ في القرآن الكريم فشعر أنه يريد قتله، فقال له : قد علمت الذي تريد فأصنع ما أمرت، فقتله وأشيع في الناس أنه مرض فمات.

ويستبعد أن يقوم أحمد بن سعيد بتسليم نفسه دون أي محاولة لحمايتها. كما يذكر أنه مات معتقلاً بشنترين[٣].

وبعد هؤلاء الحكام أتى حكم بنى ذي النون حيث تبع عبد الملك بن عبد الرحمن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون المتواجد في حصن افلنتين حيث أن أهل طليطلة استدعوا عبد الرحمن بن ذي النون لحكمهم فأرسل ابنه إسماعيل إليهم[٤].

---

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٤، ص٦٩٠.

(٢) القاضي عياض : المصدر السابق، ج٤، ص٧٥٥-٧٥٦.

(٣) القاضي عياض : المصدر السابق، ج٤، ص٧٥٥-٧٥٦. ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج١، ص٣٦-٣٧.

(٤) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٣٧-٣٨. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

وهـــنا يلاحـــظ أن هذه الفترة افتقرت للعديد من المعلومات بالإضافة لاختلاف المعلومـــات الموجودة وتضاربها مع ما بها من ندرة. وهذا يعود إلى أن المؤرخين لم يجعلوا طليطلة في هذه الفترة تحت نظرهم، ويظهر هذا من كثرة ذكر وصف "أول حاكم" على عدد من الحكام في هذه الفترة[1].

وهذا أدى إلى صعوبة تناول هذه الفترة بشكل متكامل، خاصة مع غموض بعض المعلومات ، وتفرد كل مؤرخ بمعلومة مخالفة لغيره.

ومع هذا فقد توصل البحث لعدد من الأراء هي كالآتي :

- تـــتابع هؤلاء الحكام وإقالتهم لا يدل على ضعفهم، ولكنهم لم يتمكنوا من جلب قلوب أهل طليطلة إليهم وجعلهم يؤيدونهم كما أنهم من أهل العلم ليس بهم على الظاهر حنكة الساسة.
- لم يكـــن لدى أهل طليطلة في بداية هذه الفترة قناعة بالإستعانة بأحد من خارج مدينـــتهم. ويعـــود هذا لأن غالب المدن المحيطة حكامها منها. لكن هذه القناعة تغيرت مع ظهور الحكام الأقوياء المجاورين فكانت الاستعانة ببني ذي النون.
- لم تـــتأثر طلـــيطلة من حيث النواحي الإجتماعية والإقتصادية وأحوالها العامة مع تتابع الحكام عليها بل كانت الحياة تسير فيها بشكل طبيعي. وهذا يظهر من عدم ورود أي أمر مخالف لذلك ، كما أنها في بداية حكم بني ذي النون لم تعانِ من أي أمر.

وبهذا فقد انتهت هذه الفترة في عام ٤٢٧هـــ-١٠٣٥م[2].

(١) الـــنويري : نهايـــة الأرب ، ج٢٣، ص٤٤٠. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٢.

(٢) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥، ص٢٥٢.

المبحث الثاني
طليطلة تحت حكم بني ذي النون

ينتمي بنو ذو النون إلى قبيلة هوارة البربرية[1]. وأصل لفظ ذي النون (زنون)، نسبة لجدهم. ولكن مع الزمن تغير اللفظ من زنون إلى ذي النون[2].

ولبني ذي النون تواجد قديم في الأندلس ، حيث دخلوها إبان الفتح الإسلامي ، ثم استقروا بالأندلس كغيرهم من القبائل والجماعات المشاركة في الفتح ، واندمجوا مع المجتمع الأندلسي حتى لم يعد هنالك ما يميزهم سوى نسبهم القديم[3].

ويظهر أن بني ذي النون لم يكن لهم بروز على الساحة الاجتماعية والسياسية في بداية الحكم الإسلامي في الأندلس.

ثم أصبح لهذه الأسرة دور واضح في التاريخ الأندلسي في عهد الإمارة الأموية ثم أخذ في الازدياد خاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وما يليه.

وهذا فيه رد على بعض الإشارات التي تُظهر عدم تواجد دور لأسرة بني ذي النون في فترة سابقة لدولتهم أو تقلل من تواجدهم.

قدّرَ الله – سبحانه وتعالى – ظهور بني ذي النون بالأندلس دون جهد منهم ولا عناء. وذلك حينما كان الأمير محمد بن عبد الرحمن متجهاً إلى الثغر في إحدى غزاواته، إذ

---

(١) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١. سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج١، ط١، كانون الأول– ديسمبر ١٩٩٨م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، مقالة: محمود مكي : تاريخ الأندلس السياسي، ص١٠١.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦. مجهول : كتاب مفاخر البربر ، ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي ، دراسة وتحقيق محمد يعلى ، ١٩٩٦م، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي ، مدريد، ص١٨٠–١٨١.

(٣) مجهول : المصدر السابق، ص١٨٠–١٨١. محمود مكي : تاريخ الأندلس ، ص١٠١.

مـــرض خصّي له من أكابر غلمانه، فمر على ذي النون بن سليمان الهواري جد بني ذي النون بشنت برية التي كان زعيماً عليها، وأبقى خصّيه لدى ذي النون إلى أن يشفى.

وأمام هذا الأمر اهتم ذو النون بغلام الأمير إلى أن شفى من مرضه ، ثم قام بنقله إلى الأمـــير بقرطبة وهنا كافأ الأمير محمد ذا النون بإقراره على ناحيته. وبقى ذو النون على الطاعة إلى أن توفى. وكان ابنه موسى خليفته على الحكم[1].

ولكـــن هذا الابن لم يسر على خطى والده حيث خرج عن طاعة الإمارة، مبتدأ هـــذا الخروج باستقلال شنت برية عن الحكومة المركزية وكان ذلك في عام ٢٦٠هـــ-٨٧٣م.

ثم اتبع ذلك سيره إلى مدينة طليطلة للاستيلاء عليها. وكان موسى يسير في عدد كبير من الجند، تمكن به وبمساعدة من أحد زعماء طليطلة الاستيلاء على المدينة. وتم له ذلك في عام ٢٧٤هـــ-٨٨٧م.

وهـــذا الـــتاريخ يمثل الحكم الأول لبني ذي النون على طليطلة. وقد استمر هذا الحكـــم لعـــدة ســـنوات، حيث أن محمد ابن لب بن موسى كبير بن قسي وزعيم الثغر الأعلى تمكن من التغلب عليهم وحكم المدينة[2].

ولكـــن لم يطـــل غياب حكم طليطلة عن بني ذي النون، حيث وصل إلى الحكم حليفهم ابن الطربيشة، بعد قتل أهل طليطلة لمحمد بن إسماعيل بن موسى سنة ٢٩٣هـــ-٩٠٥م-٩٠٦م. وكـــان محمد بن إسماعيل قد خرج على المطرف بن لب بن موسى ابن عمه. وقد استمر ابن الطربيشة في الحكم إلى أوائل حكم الناصر لدين الله[3].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١ - ٤، ص١٤٢.

(٢) ابـــن الأثـــير : الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٢٧١-٢٧٢. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٣١. محمد عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، دول الطوائف، ص٣٣٩.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٤٢.

ولأبناء موسى بن ذي النون الفتح ومطرف ويحيى ظهور كبير بعد وفاة أبيهم. وكان بروز أبناء موسى ومن أتى بعدهم من بني ذي النون في جانبين متناقضين جانب الجهاد والدفاع عن البلاد، وجانب الثورة ضد الحكم المركزي.

فأبناء موسى الذين حكموا عدداً من المدن كقلعة رباح وأقليش ووبذة[1] منذ عهد الأمير عبد الله بن محمد وإلى حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر قد سلكوا الطريقين بعد وفاة أبيهم.

فالفتح بن موسى بن ذي النون قد ثار بقلعة رباح على حكم الدولة الأموية.

وبسبب هذه الثورة أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر، بعد توليه للحكم بأسابيع وزيره عباس بن عبد العزيز القرشي على رأس جيش إلى قلعة رباح.

وهنالك وقعت معركة كبيرة انتهت بهزيمة الفتح بن موسى وانسحابه ومقتل حليفه الرياحي المعروف بأرذبلش . وتم ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٠هـ-٩١٢م[2].

وبعد أحد عشر عاماً من هذه الثورة كان النقيض لها من خلال ما أظهره بنو ذو النون في حملة الدفاع عن مدينة بقيرة[3] التي كان يرأسها عبد الله بن محمد بن لب ضد سانشو حاكم بنبلونة.

وكان مع عبد الله بن محمد مجموعة من زعماء بني لب وبني ذي النون وغيرهم من كبار القوم .

ومن بني ذي النون المشاركين في الدفاع مطرف بن موسى بن ذي النون، ومحمد بن محمد بن ذي النون، وأحمد بن محمد بن ذي النون، ويحيى بن فتح بن ذي النون .

---

(١) وبذة : مدينة من أعمال شنت برية . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص٤١٣ . وهي تقع شرق طليطلة.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٥٣-٥٤.

(٣) بقيرة : مدينة شرق الأندلس معدودة من أعمال تطيلة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٦٠.

ولكن هذا الدفاع لم يستطع أن يصمد حيث انتهى أمره باستيلاء سانشو على مدينة بقيرة، وأسر من بها من الزعماء ونقلهم إلى بنبلونة.

وفي بنبلونة قتل هؤلاء الزعماء جميعهم، ولم ينج منهم سوى مطرف بن موسى بن ذي النون حيث تمكن من الفرار من سجنه[1].

ورغم هذه التضحية إلا أن بني ذي النون كلفوا الحكومة المركزية وعلى رأسها الخليفة عبد الرحمن الناصر ثلاث حملات لإعادتهم للطاعة بعد خروجهم عنها.

وكانت الأولى منها : أثناء عودة عبد الرحمن الناصر من غزوة بنبلونة سنة ٣١٢هـ-٩٢٤م. فقد مر الخليفة أثناء عودته لقرطبة بمدينة شنت برية مقر بني ذي النون. وكان زعيم بن ذي النون في هذه المدينة يحيى بن موسى بن ذي النون ، الذي كان قد أعلن العصيان والاستقلال عن الدولة.

ولكن ما أن اقترب الخليفة من المدينة حتى خرج إليه يحيى معلناً الندم والعودة تحت طاعة الدولة. فما كان من الخليفة إلا أن عفا عنه، وهو نفس العمل الذي قام به مع يحيى بن أبي الفتح ابن أخي يحيى بن موسى[2].

ولم يطل الأمر على هذا الحال فإن بني ذي النون ما لبثوا أن عادوا إلى العصيان والتمرد على الخلافة الأموية.

ففي نفس العام - ٣١٢هـ-٩٢٤م - وأثناء عودة الخليفة عبد الرحمن الناصر من حملته ضد قشتالة وهزيمة ملكها فرذلند ، مر أيضاً على شنت برية لتقويم حال بني ذي النون. وفي هذه المرة علم الخليفة أن تعامله السابق لم يجد معهم، فشد عليهم وقام بهدم حصن لهم يتزعمه رجل منهم يدعى منتل بن يحيى، واستمر على هذا الحال إلى أن عدّل أمرهم[3].

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص١٨٦-١٨٧. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٣٤.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص١٩٥-١٩٦. ابن سعيد : البيان المغرب، ج٢، ص١٨٩.

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص١٩٧.

ولكن على ما يبدو أن مواجهتي الخليفة السابقة لبني ذي النون لم تؤثر فيهم حيث أنهم أعادوا كرة الثورة ضده لثالث مرة.

كما أنهم أسروا حاكم حصن سُرته خلف بن عبدوس المعروف بابن قطين وقتلوه واستولوا على حصنه. ولكن أخت خلف قامت بالدفاع عن الحصن ومخاطبة الخليفة بذلك.

وهذه الأمور دفعت الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى تسيير حملة مخصصة لبني ذي النون في عام ٣١٤هـ-٩٢٦م. وجعل على رأس هذه الحملة الوزير القائد عبد الحميد بن بسيل. وتمكن هذا الوزير من اقتحام شنت برية وقتل عدداً من رجال بني ذي النون منهم محمد بن محمد. وبهذه الحملة دأب بنو ذو النون على الطاعة ودفع الجباية للدولة[١].

ومنذ هذه الحملة بدأ بنو ذو النون تغيير علاقتهم مع الخلافة الأموية، وأصبحوا من رجال الدولة الذين يهتمون بشؤون دولتهم وحمايتها، وتحفظ هي لهم مكانتهم وتزيد فيها.

ففي عام ٣١٧هـ-٩٢٩م عُدّ يحيى بن أبي الفتح بن ذي النون حاكم كورة شنت برية من كبار عمال الخليفة في البلاد المطيعين له[٢].

وفي عام ٣٢١هـ-٩٣٣م لم تغيب شنت برية عن نظر الخليفة عبد الرحمن الناصر أثناء قيامه بتعيينات عماله على البلاد.

وقد صار حكم شنت برية للفتح بن يحيى بن ذي النون بدلاً من يحيى بن أبي الفتح بن ذي النون[٣]. وهنا يظهر مدى اهتمام عبد الرحمن الناصر في إبقاء بني ذي النون على حكم شنت برية.

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٣-٢٠٤. محمد عنان : دولة الإسلام ، ع١، ق٢، ص٣٩٠.

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٢٥٤.

(٣) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٣٣١.

وأجــلّ صورة يظهر فيها اهتمام الخليفة عبد الرحمن الناصر ببني ذي النون هو ما حدث في عام ٣٢٢هـ-٩٣٣م. عندما كان من ضمن شروط الناصر على طوطة بنت أشيز حاكمة بنبلونة حين طلبت منه الصلح بدلاً من هجومه على أراضيها، أن تفك أسر من لديها من بني ذي النون وعددهم أربعة رجال، ليحيى بن الفتح منهم ولدان ، ولابنه ولابــن عمــه ولــد واحد. وفعلاً تم إطلاق سراحهم(١) ليعودوا إلى موطنهم تحت ظل الخليفة.

ولأجــل هــذا كان بنو ذو النون يقدرون ما تقدمه الدولة من أجلهم، ولأجلها قــاموا ومعهــم بــني رزيــن ومــن أتى معهم من أهل الثغر بتلك الموقعة المؤرخة بعام ٣٢٤هـــ- ٩٣٥م ، والــتي اثخنوا فيها في النصارى وهزموهم هزيمة ساحقة وقتلوا قائدهم رذمير القومس المعروف بابن مامة طوتة لحماية ثغور دولتهم والدفاع عنها(٢).

ولم يؤثــر ذلك العصيان العابر من بني ذي النون في عام ٣٢٥هـ-٩٣٦م على حــال العلاقــة مع الخلافة الأموية خاصة بعد إعلان زعيمهم يحيى بن أبي الفتح الطاعة للخلــيفة والعــودة السريعة لبني ذي النون نحو الطاعة(٣). والدليل على عدم التأثر هو مشــاركة بــني ذي النون في العام التالي -٣٢٦هـ-٩٣٧م - إلى جوار محمد بن لب وبني عمه وبني رزين ضمن حملة القائد نجدة بن حسين مولى عبد الرحمن الناصر المتوجهة لــبلاد بنــبلونة. وقد كُللت هذه الحملة بالنصر والعودة بالغنائم والسبي بعد أن دارت الدائرة على النصارى(٤).

ولما كان يبذله بنو ذي النون وأسر الثغور كبني رزين من دور كبير في الجهاد ضد النصــارى، فــإن سياســة الخليفة عبد الرحمن الناصر في جانب الجهاد قد تغيرت منذ

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٥-٣٣٦.
(٢) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٣٨١.
(٣) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٣٩٤.
(٤) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٤٢٠-٤٢١-٤٢٢.

ســنة ٣٢٧هــ-٩٣٨م. حيث أوكل للأسر الكبيرة وذات المكانة في أقاليمها وجهادها مهمة الدفاع عن حدود الدولة والجهاد ضد النصارى.

وقــدم لهــم كــل ما يحتاجون إليه بالإضافة إلى أنه أقام كُل أسرة على منطقتها لحكمها، وكان من بين هذه الأسر أسرة بني ذي النون[1].

ولم يكن هذا كل ما ناله بنو ذو النون، فقلعة خليفة بعد أن أتم بناءها القائد أحمد بن محمد بن الياس سنة ٣٢٨هــ-٩٤٠م وأكمل إدخال العدة والذخائر فيها، خاطب الخلــيفة عــبد الرحمن الناصر بتمام بنائها وتجهيزها ، وأنه لم يبقى سوى أن يرسل إليها الخليفة حاكماً لها.

وهــنا أرسل الخليفة في شهر شوال – وهو الشهر الذي خاطبه فيه أحمد بن محمد بإتمام القلعة – قاسم بن مطرف بن موسى بن ذي النون حاكماً عليها.

فكانت قلعة خليفة بثغر طليطلة لبني ذي النون بالإضافة لما بيدهم.

وفي هــذا العام أزيل الفتح بن يحيى بن ذي النون عن حصن اقليج وما كان بيده مــن الحصــون. وذلــك لخروج الفتح عن الطاعة ، دون تأثر أو تأثير على علاقة بنى ذا النون بالدولة [2].

وقــد شمــل نفــس العام أيضاً إقامة مطرف بن موسى بن ذي النون على مدينة الفرج[3].

ويظهــر أن بني ذي النون قد شغفوا وتمسكوا بالجهاد ضد النصــارى.

ففــي يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة سنة ٣٣٠هــ-٩٤٢م خرج مطرف بن موســى بــن ذي النون وحكم بن منذر التجيبي ومن أنضم إليهم من رجال الثغر لمقاتلة فرذلند ابن غندشلب بأرض قشتالة لنكثه للعهد.

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ج٥، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٢) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٣) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٤٦٢.

وقـــد تمكن مطرف وحكم ومن معهم من هزيمة النصارى هزيمة كبيرة، قتل على أثــرها نحو ٤٠٠ نصراني، وغنموا من البقر والغنم نحو خمسة عشر ألفاً. وكانت الموقعة في يوم الخميس العاشر من ذي الحجة(١).

ويــبدو أن هذا الخروج كان من رغبة مطرف وحكم، ولم يكن بأمر من الخليفة عــبد الرحمن الناصر. ولم يقتصر جهاد بني ذي النون بتواجد الخليفة عبد الرحمن الناصر، بــل أكملوا المسيرة حتى بعد وفاته. ففي عهد الخليفة الحكم المستنصر ، وتحديداً في عام ٣٥٤هـــ-٩٦٥م، شارك قاسم بن مطرف بن ذي النون ويحيى بن محمد التجيبي في حملة غالب مولى الحكم المستنصر، والتي توجهت إلى بلاد ألبة من أراضي قشتالة.

وتمكنــت هذه الغزوة من السيطرة على حصن غرماج الواقع على نهر دويره(٢). ولمــا لــبني ذي النون من دور في خدمة المستنصر والدفاع عن الثغور. فقد أقام الخليفة الحكــم المستنصــر بالله مطرف بن إسماعيل بن أبن عامر بن ذي النون على مدينة وبذة وحصنها، كما أضيفت له أكثر حصون شنت برية وقراها(٣).

وأكمــل بني ذي النون خدمتهم لحكام الدولة . ففي حكم المنصور بن أبي عامر تفــرغ المضــراس عــبد الرحمن بني ذي النون وابنه إسماعيل لخدمة المنصور، وبعد وفاة المنصور وانقراض الدولة العامرية انتقل عبد الرحمن إلى الثغر، واجتمع حوله بني عمه.

ولما لبني ذي النون من دور كبير في الجهاد، وما كان عليه البربر من قوة وغلبة في عهــد ســليمان الظافر، فقد منح سليمان قلعة اقليش(٤) لعبد الرحمن بن ذي النون. ولم يكــن حــال إسماعيل بأقل من أبيه حيث تمكن من الاستيلاء على قلعة قونقة بعد وفاة

---

(١) ابن حيان : المصدر السابق، ج٥، ص٤٨٤.

(٢) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٤٥.

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص١٥٠.

(٤) اقلــيش : مدينة من أعمال شنت برية، وقال الحميري : أقليش بليدة من أعمال طليطلة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج١، ص٢٨٢. وهي تقع شرق طليطلة.

حاكمها الفتى واضح العامري. ثم أخذ إسماعيل يوسع أراضيه حتى تمكن من حكم كورة شنتبرية كلها.

ولما كان عليه إسماعيل من قوة ومكانة فقد منحه سليمان الظافر رتبة الوزارة، ولقبه بناصر الدولة . وما أن سقطت السلطة المركزية حتى أعلن إسماعيل استقلاله بما في يده[١].

ويرى أن إسماعيل لم يستقل بالمدينة إلا بعد إيقانه بعدم عودة الحكومة المركزية أو النظام الموحد.

ومما سبق يظهر أن بني ذي النون أسرة تعد من كبار الأسرة التي توجد لنفسها مكاناً بين مثيلاتها. فمع أول فرصة لاحت لهم في عهد جدهم ذي النون بن سليمان أثبتوا لهم وجوداً في الأندلس، سواء في ظل الدولة وأعانتها أو ضد الدولة والثورة عليها والاستقلال عنها[٢].

وعن وصول بني ذي النون لحكم طليطلة وإقامة مملكتهم (انظر خريطة ٢) انبعاثاً منها. فقد تم ذلك عندما ضجر أهل طليطلة من حكامهم الذين أخذوا يقيمونهم ويعزلونهم أيام الفتنة، حيث انتهى أمرهم بعد هذا الحال إلى مراسلة عبد الرحمن بن ذي النون المقيم بشنت برية للقدوم إليهم وإحكام أمرهم. وهنا قام عبد الرحمن بن ذي النون بإرسال ابنه إسماعيل إليهم[٣].

فكان إسماعيل أول حاكم لطليطلة من بني ذي النون. وتم ذلك في صدر القرن الخامس الهجري، وبشكل أدق في عام ٤٢٧هـ-١٠٣٥م-١٠٣٦م[٤].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٤٢-١٤٣. لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١٧٧.

(٢) حمدي عبد المنعم : ثورات البربر ، ص٥٧. سعد بن عبد الله البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض، ص٨٣.

(٣) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص٣٧-٣٨. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٤) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٤. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص٦١. القلقشندي:صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٢. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص١٥٢.

وكـــان لوالـــده دور كبير في إعداده فقد تمكن هذا الفتى من إحكام أمره على طلـــيطلة وأهلها وسياستها أحسن سياسة نالت رضى أهلها عنه[1]. وذلك عندما استفاد إسماعيل من أهل طليطلة في إحكام أمره.

فقـــد جعـــل شيخ البلدة أبا بكر بن الحديدي – من أهل العلم والعقل والدهاء وحسن النظر – ساعده الأيمن ، لا يقوم بعمل إلا بعد مشورته، فكان له خير معين.

كما أنه استعان بالحاج بن محقور وابن لبون وابن سعيد بن الفرج. وعلى الظاهر لم يكن لأحدهم عمل معين ، بل كانوا يعينون سيدهم على أمور دولته[2]، كوزراء دون وزارة محـــددة. ولكـــن رغم تأسيس إسماعيل لتلك المملكة التي كانت ذات شأن كبير، واعتبار مملكة بني ذي النون من أكبر ممالك الطوائف فيما بعد[3]، إلا أن المصادر شحيحة بالمعلومات عن هذا المؤسس.

ففـــي الجوانـــب العسكرية لا يذكر سوى هزيمته من قبل النصارى، وتوجهه إلى سرقســـطة بعد مقتل ابن أخته المنذر غرة ذي الحجة سنة ٤٣٠هـــ-١٠٣٩م ليخلصها مـــن الـــثائر عبد الله بن حكم[4]. وذكر مقتضب منفرد لثورة ابنه إبراهيم عليه فترة من الزمن[5] . رغم ذكر أن ملكه وصل إلى جنجالة من عمل مرسية[6].

وربمـــا يدل هذا على أن إسماعيل الظافر أخذ بسياسة البعد وعدم الاحتكاك مع الأمراء المجاورين حتى يتمكن من إقرار حكمه. لأن دخوله في معارك وحروب مع هؤلاء

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) ابـــن عـــذارى : البـــيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧. لسان الدين : أعمال الأعلام، ص١٧٧. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢١٢.

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص٤١٥.

(٤) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار، ص٦٢-٦٣. ابن بسام : الذخيرة ، ج١-١، ص١٨٦.

(٥) ابن حزم : رسائل ابن حزم ، ج٢، ص٨٩.

(٦) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١.

الأمـــراء الطامحين إلى توسعة نفوذ حكمهم – مسلمين أو نصارى – قبل أن يمكن نفسه من حكم طليطلة والمناطق التابعة لها قد يؤدي إلى زوال حكمه مبكراً.

وعلى كلٍ فإن إسماعيل الظافر توفى في عام ٤٣٥هـ–١٠٤٣م[١]على الأرجح، رغـــم ذكـــر بعض المصادر غير ذلك. ولدينا شواهد مادية تؤكد ذلك إذ توجد بعض الـــنقود تعـــود إلى عهد إسماعيل الظافر مسكوكة عليها اسمه وتاريخ عامي ٤٣٤هـ–١٠٤٢م و ٤٣٥هـ–١٠٤٣م ،كما توجد نقود باسم ابنه المأمون بتاريخ ٤٣٥هـ–١٠٤٣م[٢].

وبهـــذا فإن المأمون يحيى بن إسماعيل ورث عن أبيه حكم طليطلة والمناطق التابعة لهـــا. وما تبعها من بلاد الجوف والشرق إلى بلنسية[٣]، والأراضي الممتدة بين الحدود مع مملكـــة سرقسطة وإمارتي البونت والسهلة شرقاً أيضاً، وبين حدود مملكتي بلنسية ودانية من الجنوب الشرقي، وإلى حدود مملكة بطليوس غرباً.

أمـــا جنوباً فورث إلى حدود مملكتي غرناطة وقرطبة ، كما وصل شمالاً إلى المجرى الجنوبي لنهر الدويرو[٤].

ولكـــن رغـــم اتساع هذا الملك إلا أن بلوغ المأمون له لم يكن سهلاً. فيذكر أنه كان بين المأمون وعمه أرقم بن عبد الرحمن فتنة وبغض حتى أن المأمون لم يدع عمه عندما فـــر إلى النصارى، حيث دس إلى النصارى من يخبرهم بأن أرقم بن عبد الرحمن جاسوس يطلع على بلادهم فقتلوه.

ولا يعـــتقد أن هذا البغض ينبع عن حسد المأمون لعمه لما كان يتميز به من أدبه وعلمه فقط[٥].

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٢٠–٢٢١.

(٢) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص١١٥–١١٦.

(٣) مجهول : مفاخر البربر، ص١٨١.

(٤) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص١٢٧.

(٥) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٤.

بل الأرجح أن المأمون كان يخاف من أن يعود عمه ويطالب بحقه في الحكم، ويبدأ بينهما الصراع على السلطة، بالإضافة للسبب السابق . ولقد كان استمرار وزراء إسماعيل الظافر – كما سيظهر لاحقاً – مع المأمون بوصية من أبيه قبل موته. وكان من بينهم غير ابن الحديدي الحاج بن محقور وابن لبون وابن سعيد بن الفرج[1].

وعلى أية حال فما أن قام المأمون على الحكم حتى بدأ كغيره من أمراء الأندلس في القيام بحركات توسعية ضد جيرانه المسلمين ويظهر أن هذه الحركات كانت مطمعاً بالنسبة لهؤلاء الأمراء مهما كلف الأمر.

فها هو المأمون كاد يؤدي بنفسه نتيجة لهذه المطامع. فعندما أراد أن يضم بعض المدن والحصون ، توجه إلى الإفرنج لطلب مساعدتهم. وراسل أحد ملوكهم ويدعي شنشكند بأنه يريد أن يقوم بلقاء معه، فيه مصلحة الطرفين. وقد شرط المأمون أن يقدم شنكشند ومعه مائة فارس في موضع حدده له .

ولكن شنشكند قدم ومعه ستة آلاف فارس أقامهم خلف جبل بالقرب من مكان الاجتماع وأخبرهم بألا يظهروا إلا بعد اجتماعه مع المأمون.

ومقابل هذا قدم المأمون ومعه مائتي فارس فقط. وما أن رأى الحشود التي قدم بها شنشكند حين اجتماعها حتى رضى ما شرطه عليه شنشكند من حصوله على حصون تخيرها ومبلغ مالي كل سنة فكان نتيجة أمره هذا أن عاد خائباً إلى طليطلة خاسراً بدلاً من أن يكسب[2].

ورغم هذا الأمر إلا أن المأمون لم يقف عن أطماعه الشخصية كما هو حال بقية أمراء الأندلس، ويظهر هذا الأمر في الصراع المحتدم بين المأمون والأمير سليمان بن محمد بن هود حاكم سرقسطة ، حيث كان كلا الأميرين يطمع في حكم الآخر.

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٤٥.

(٢) النويري : نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٤١. الذهبي : سير إعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٢١.

ومـــن ذلك نزاعهما على مدينة وادي الحجارة ، حيث أن أهلها كانوا منقسمين إلى قســمين : قسم يميل إلى ابن هود وآخر يميل إلى المأمون . وأمام هذا عاجل ابن هود بإرســال جيش بقيادة ابنه أحمد إليها . استطاع من خلاله بعد قتال ، وبإعانة بعض أهل المدينة إلى دخول المدينة وإحكام أمره بها[1].

وكـــان هذا العمل مما أثار المأمون وجعله يتحرك بجيوشه مسرعاً إلى مدينة وادي الحجارة ، ليتابع بنفسه أمر هذه المدينة والتي يظن أنها تابعة لحكمه.

وهـــنالك حدث النزاع والقتال والذي انتهى بانتصار أحمد بن سليمان بن هود وفـــرار ابن ذي النون إلى مدينة طلبيرة وتحصنه بها. وقد تبعه أحمد بن هود وحاصره بها، ومازال على حصاره إلى أن أمره أبوه بالعودة عنه.

وأمـــام هـــذا الخذلان أخذ المأمون يبحث عن أي فرصة للانتقام من ابن هود، ففاوض فرناندو الأول ملك قشتالة وطلب عونه مقابل أن يدفع له إتاوة. وقد حدث له هـــذا عـــندما أخـــذ ابن شانجة يهاجم الأراضي الإسلامية ، حيث أخذ المأمون يتعرض لأراضي ابن هود المجاورة بالإفساد والهجوم عليها وحتى على بعض أراضي المسلمين[2]. وهذا الأمر مما يثبت الأطماع الخاصة لهذا الأمير.

وممـــا يؤكدها أيضاً مخالفته لسياسة والده وسياسته لأجل المصلحة، وذلك عندما دخـــل تحـــت دعوة المشبّه بهشام المؤيد في عام ٤٣٦هـــ-١٠٤٤م وهي الدعوة التي رفضها والده نهائياً، ورفضها هو في أول حكمه.

حيـــث أن المأمون عندما تحالف مع المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية توجب عليه الدخول في هذه الدعوة، وكان ذلك لرغبة المأمون في التحالف مع ابن عباد ونصرته ضد ابن هود ولكي يضمن عدم هجومه على أراضيه. ولأجل هذا أظهر المأمون تبعيته للدعوة وعقد البيعة على نفسه وجنده وأهل عمله، وأظهر تأييده على منابر المساجد .

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨.

وكـــان هـــذا الأمر ظاهراً لا باطناً ، ولكن لم يجن منه المأمون شيئاً حيث انشغل ابن عباد عنه بحرب ابن الأفطس وتوسعاته الشخصية[1].

ونتيجة لهذا التحالف قام الطرف الآخر والمتمثل في سليمان بن هود بالتحالف مع النصارى ، وطلب منهم مهاجمة أراضي طليطلة التابعة لمنافسه المأمون بن ذي النون.

فـــتم له مـــا أراد، وذلـــك عندما خرج النصارى بعدد ضخم إلى ثغر طليطلة ومهاجمـــته والقيام بغارات متتابعة عليه، كلفت طليطلة من الرجال والمال الكثير ، كما أثرت على أحوال طليطلة العامة كانتقال أهالي الضياع إلى المدينة.

ولما لأهل طليطلة من دور فعال في حماية مدينتهم، قاموا بمراسلة سليمان بن هود يطلبون منه المهادنة والمصالحة[2].

وقـــد يكون هذا الفعل بموافقة المأمون ولكنه لا يريد أن يكون منه لكي لا يظهر ضعفه، فأوكل أمر طلب الهدنة إلى أهل طليطلة أنفسهم.

وعـــلى كـــل حـــال فـــإن هذا النزاع لم ينته إلا بوفاة سليمان بن هود في عام ٤٣٨هـــ-١٠٤٦م وذلك بعد أن دام النزاع بينهما ثلاث سنوات[3].

وأمـــام هذا الخذلان الذي ناله المأمون من النصارى وعدم استفادته من تحالفه مع ابـــن عـــباد، أصبح لدى المأمون يقين أنّ عليه أنْ يعتمد على نفسه في حركته التوسعية. ولهـــذا اتجه نظره إلى الغرب إلى أراضي ابن الأفطس، حيث أن المناطق الأخرى يصعب علـــيه مواجهـــتها. وقد حدث بينه وبين المظفر ابن الأفطس عدة معارك ابتداءً من عام ٤٤٣هـــ-١٠٥١م تقريباً. ولكن هذا التاريخ غير مؤكد في المصادر[4].

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٢١٩-٢٢٠-٢٧٨-٢٧٩.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق ، ج٣، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٢.

(٤) ابـــن عـــذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٣. محمد عنان : دولة الإسلام ، ج٢، ص٨٥. عبد المجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة، ص١٣٧.

ولم يكن المأمون بن ذي النون بذلك الخضوع والضعف ، فقد تمكن قائده واضح الفتى من هزيمة الافرنج حين إغارتهم على نواحي طليطلة، كما أن الحروب بين المأمون والإفرنج أصبحت سجالاً ، خاصة مع حدوث الخلافات بين الإفرنج أنفسهم[1].

كما أن الفونسو بن فرناندو صاحب قشتالة حينما فر من أخيه شانجة بعد نزاع وقع بينهما، فإنه اتجه إلى طليطلة عاصمة المأمون لاجئاً إليه[2]. وإن لم يكن المأمون بتلك المكانة الرفيعة والقوية لما التجأ إليه الفونسو.

وفي أمر لجوء الفونسو لطليطلة يذكر أن الفونسو أخذ في فترة تواجده يبحث عن أماكن الضعف والخلل التي يستطيع من خلالها القضاء على حكم طليطلة الإسلامي وضمها إلى حكمه فيما بعد.

وهذا القول مجانب للصحة لعدة أمور هي :

١- أن حال الفرار الذي عليه الفونسو لا يسمح له بالتفكير بالعودة الأكيدة للحكم.

٢- لم تكن طليطلة بالمدينة التي يسهل الإستيلاء عليها أو بها ثغرات تمكن من ذلك.

٣- أن الفونسو حُكم باسمه مدينة سمورة وقام بها قائم عنه[3] وطلب منه القدوم إليها وهو في طليطلة ليس له شيء.

٤- طريقة استيلاء الفونسو على طليطلة توضح ذلك – كما سيظهر لاحقاً.

والصحيح كما ذكر أن الفونسو استفاد من تواجده في طليطلة حيث أنه قد أطلع عليها ورأى ما بها[4].

---

(١) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار ، ص٦٨.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٢، ج٤، ص٥١.

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٢.

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج٣، ص٢٣٢، ج٤، ص٥١.

وبما أن الحديث عن نفوذ المأمون وقدرته، فقد كان المأمون أكبر مؤيد وداعم للمظفر عبد الملك بن المنصور عبد العزيز بن أبي عامر حاكم بلنسية – وصهره زوج ابنته– للوصول للحكم بعد وفاة أبيه في ذي الحجة سنة ٤٥٢هـ-١٠٦١م[١].

فرغم دعم الوزير ابن عبد العزيز لعبد الملك إلا أن وضعه لم يستقر إلا بعد أن أرسل المأمون بن ذي النون إليه بقائد من خاصته والكاتب ابن مثنى على رأس جيش كثيف، وأمر المأمون لهم بالوقوف إلى جانب عبد الملك وإعانته[٢].

ورغم هذا الدعم والتأييد إلا أن المظفر عبد الملك لم يكن بذلك الحاكم الذي له اهتمام بدولته والأمور المحيطة به.

وفي عام ٤٥٧هـ-١٠٦٥م توجه المأمون بن ذي النون إلى بلنسية راغباً فيها، وكان ذلك بعلم الوزير ابن عبد العزيز.

ولم تكن رغبة المأمون ببلنسية لأن المظفر عبد الملك أهان ابنته فقط، ولو كان ذلك فلما تأخر المأمون إلى أن توفيت ابنته. إنما الأرجح أنه توجه إليها عندما وجد أن عبد الملك لن يحفظها من الطامعين الكثر، خاصة مع الحركات التوسعية التي كانت ظاهرة في ذلك الوقت، ورغبته هو أولاً في توسعة نفوذه . كما أن دعم الوزير ابن عبد العزيز للمأمون وهو من المعينين لعبد الملك والداعمين في حكمه لإثبات لوجود خلل في شخص عبد الملك.

وهنا التقت رغبة المأمون في توسع نفوذه مع وجود حاكم ضعيف في بلنسية[٣].

وقد كان قدوم المأمون لبلنسية على سبيل الزيارة . وما أن وصل المأمون إلى خارج البلد حتى خرج إليه عبد الملك واستقبله وأدخله قصره ليبالغ في إكرامه وضيافته. وبقى

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٣.

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص١٦٥-١٦٦.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٣، ص٤١-٤٢. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٧.

المأمون على حال الضيافة عدة أيام. وفي يوم الجمعة الثامن من ذي الحجة من عام ٤٥٧هـ-١٠٦٥م قبض المأمون على عبد الملك وابنه ونفاهما خارج بلنسية[1].

ومنذ هذا اليوم أصبحت بلنسية وقراها تابعة لحكم المأمون بأقل كلفة. أما أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الوزير فقد أقامه المأمون حاكماً على بلنسية ، وتبعه ابنه أبو بكر الذي ثار واستقل بحكم بلنسية عن بني ذي النون فيما بعد[2]. ولما للمأمون من إرادة قوية في حركته التوسعية – ربما كان يفكر في توحيد الأندلس تحت حكمه – فقد كان يصل إليه عروض من قبل بعض القواد والحكام بمقايضته ببعض المدن مقابل إما طلب مساعدة أو عرض آخر.

ومن هذه العروض ما قام به باديس بن حبوس حاكم غرناطة حين أراد استعاده أراضيه التي استولى عليها المعتصم بن صمادح حاكم المرية.

فقد عرض على المأمون أن يعينه على المعتصم حيث كان باديس يحاصر وادي آش ويحتاج إلى المعونة العسكرية[3].

ومقابل هذه المعونة أن يحصل المأمون على ما أراده من الأماكن والمواضع المتروعة من بلاد ابن صمادح.

وأمام هذا العرض لم يتوان المأمون عن تلبية الدعوة. فلحق بباديس وهو يحاصر وادي آش. وهنالك بُدئ تشديد الحصار على قصبة وادي آش وكثر الإنفاق حتى بلغ ستة ملايين دينار ثلثية[4].

---

(١) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٩. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٧-٣٠٣.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٣، ص٤١-٤٢. ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٩. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٧-٣٠٣.

(٣) مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيرى بغرناطة المسماة بكتاب التبيان : تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، مصر ، ص٥٦ .

(٤) ثلثية : يقصد بها أن الدينار ثلثيه فضة وثلثه نحاس. انظر محمد عبد الرؤوف المناوي: النقود والمكاييل ، تحقيق رجاء محمود السامرائي، ص١٠٣.

وأمام هذا الحصار الشديد لم ير أكابر أهل وادي آش المحاصرين بُداً من الاستسلام . فبدؤوا بمراسلة المأمون بن ذي النون يطلبون منه أن يشفع لهم عند باديس بأن يعفوا عنهم ويسمح لهم بالخروج إلى بلادهم ، مقابل تسليم المدينة له.

وهذا الأمر هو الأفضل لهم وللمأمون ، فطلب المأمون من باديس الموافقة على هذا الأمر، وفعلاً تم ما أراده كل الأطراف. وحصل المأمون على بسطة[1] التي تخيرها بعد إنجازه لعهده مع المظفر باديس بن حبوس[2].

وهذا الأمر وغيره مما يثبت أن مكانة المأمون بن ذي النون في الأندلس أصبحت ترتفع وتكبر، حتى أن أحد المؤرخين أطلق عليه لقب عظيم ملوك الأندلس في عام ٤٦٠هـ-١٠٦٨م[3].

ومن العروض التي قدمت للمأمون ، ما عرضه عليه العزيز بن إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي رئيس بني برزال وحاكم قرمونة[4].

فبعد أن أشتد المعتضد بن عباد حاكم اشبيلية في حربه ضد بني برزال لما كانوا يقومون به من عبث وفساد . رأى هذا الرئيس أن يبتعد عن المعتضد عن طريق عرضه للمأمون بن ذي النون بأن يتنازل له عن قرمونة وجميع بلاده مقابل بلاد أخرى من بلدان المأمون . وفعلاً تم ذلك ولكن بنو برزال لم يبق منهم بعد هذه الحادثة أحد[5] .

وما أن ثبت المأمون ملكه على قرمونة حتى أتى إليه خطاب سري من المعتضد بن عباد حاكم اشبيلية يعرض عليه أن يترك قرمونة له لأنها قريبة منه وبعيدة عن حكم المأمون ، مقابل أن يقف بجانبه في استيلائه على قرطبة .

---

(١) بسطة : مدينة من أعمال جيان ، ينسب إليها المصلبات البسيطة. انظر الحموي : معجم البلدان ، ج١، ص٥٠١. وهي جنوب طليطلة.

(٢) الأمير عبد الله : التبيان ، ص٥٦.

(٣) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم ، ص١٥٧-١٥٨.

(٤) قرمونة : كورة يتصل عملها بأعمال أشبيلية ، غربي قرطبة وشرقي أشبيلية ، قديمة البينان . انظر الحموي : معجم البلدان ، ج٤، ص٣٧٥، وهي جنوب طليطلة .

(٥) مجهول : مفاخر البربر ، ص ١٨٢.

وهــنا كان العرض مغرٍ جداً للمأمون الذي بلغ في تحركه التوسعي مبلغه ، فبعد أن توثق مــن المعتضــد بــن عباد بالأيمان ترك له المدينة ، ولكن المعتضد بعد أن ضمن قرمونة بالرجال والأسلحة لم يف بوعده[1] .

وهــذا الفعــل مستغرب على المأمون حيث أنه يعلم مدى طموح ابن عباد في الاستيلاء على قرطبة وأهميتها لديه ، كما هو الحال له . ثم يكتفي من الضمانات بالأيمان فقط من حاكم طامح مثله .

ولكن هذا الأمر شد من عزم المأمون للاستيلاء على قرطبة ، فبدأ من سنة ٤٦١هـ - ١٠٦٧م يعد العدة لذلك[2] .

وفي عام ٤٦٢هـ-١٠٦٩م توجه المأمون بن ذي النون إلى قرطبة بجيشه وكان يحكــم قرطبة عبد الملك بن جهور. وما أن علم عبد الملك بمقدم المأمون إليه حتى طلب المساعدة من حليفه المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية[3].

وهــنا تحرك المعتمد بن عباد إلى قرطبة ومعه كبار قواده. وبقرطبة وقعت الحرب مع المأمون الذي انسحب إلى طليطلة فيما بعد لعلمه بعدم فائدة حصاره لقرطبة[4]. أما المعتمد بن عباد فقد أقام ابنه سراج الدولة عباد والياً عليها، وأبقى معه القائد ابن مرتين في جماعة من الفرسان[5].

بــيد أن حكــم ابن عكاشة قائد أحد الحصون المجاورة لقرطبة اتصل بالمأمون ، وأخبره بأن لديه القدرة على إزالة حكم ابن عباد من قرطبة والوصول لحكمها.

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج٣ ، ص ٢٨٣ . محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقية ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، رقمها ١٤٥.

(٢) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص ١٩٣ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج٢ - ١ ، ص٦١٠.

(٤) ابن بسام : المصدر السابق، ج٢-١، ص٦١٠.ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٥٦. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٩.

(٥) لسان الدين : أعمال الإعلام ، ص١٥٨.

وأظهر المأمون الحاقد على بني عباد لغدرهم به ووثوبهم على مدينة قرمونة –كما أشرنا سابقاً– ونجاحهم في السيطرة على قرطبة رغبته في انتزاع قرطبة فأيد ابن عكاشة.

وفعلاً توجه حكم إلى قرطبة وتمكن من دخولها بعد أن فتح له بعض الأبواب قوم مـــن شيعته . ثم واصل سيره إلى دار ابن جهور سكن الأمير ابن عباد بخيله ورجاله دون أن يشـــعر بـــه أحد. وفي دار ابن جهور حدث صراع مع سراج الدولة ابن عباد انتهى بمقتله. ثم توجه حكم ورجاله إلى دار ابن مرتين فوجده على حال السكر فقبض عليه ثم قتله فيما بعد.

وبعـــد هـــذا أعلن حكم بن عكاشة الدعوة لبني ذي النون، بعد أن سيطر على المدينة. ثم خاطب المأمون بذلك ، وما أن علم المأمون بهذا إلا وقدم من بلنسية على وجه الســـرعة. وكان وصوله إليها في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٦٧هـــ–١٠٧٥م[١]. ما أن تمكن المأمون من قرطبة حتى بدأ يفكر في إقصاء حكم بن عكاشة لأنه كان يرى فيه مجترأً على الملوك[٢]. وآكد الأمر أن هذا التفكير وصل إلى ابن عكاشة، فبدأ يفكر هو أيضاً بالقضاء على المأمون. وبهذا النزاع لم يكمل المأمون ما كان يبتغيه من حركته التوسعية ، ولم يهنأ بقرطبة حيث قتل مسموماً في اليوم الثامن عشر من ذي القعـــدة سنة ٤٦٧هـــ–١٠٧٥م[٣]. وعن من سمّ المأمون لا يوجد ذكر مؤكد في المصادر غير أن أمر السم قريب من ابن عكاشة. وبموت المأمون عادت قرطبة لبني عباد، حيث خاطب أهلها المعتمد.

---

(١) ابـــن الآبـــار : الحلـــة السيراء، ج٢، ص١٧٧. لسان الدين : أعمال الاعلام، ص١٥٨. القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٠.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج١–٢ ، ص٢٦٩–٢٧٠–٢٧١–٢٧٢.

(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٩. ابن بسام : الذخيرة ، ج١–٢، ص٢٧١–٢٧٢. عبد الواحد المراكشي: المعجـــب في تلخيص ، ص٦٥. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص١٦١. القلقشندي : صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٠–٢٥٢.

فوصل إليها وحكمها بعد قتل ابن عكاشة في يوم سبعة وعشرون من ذي القعدة سنة ٤٦٧هـ-١٠٧٥م[١] .

وبوفاة المأمون يحيى بن ذي النون انتهى حكم أحد كبار حكام الأندلس في عصر الطوائف. وقد تم نقله إلى طليطلة ودفن بها[٢].

ورغم كل ما ذكر لم يكن المأمون رجل حرب فقط. بل كان من أحكم الأمراء وأجلهم همة، رجل سياسة وإدارة،وهذا ما دعمه في حركته التوسعية. فرغم انشغاله في الشؤون الخارجية للدولة، إلا أنه لم يغفل الشؤون الداخلية لدولته فأقام العدل[٣] ونظم إدارته وقسم المهام والوظائف، بل استقبل وجلب كبار الرجال وعارفيهم واستخدمهم لديه. هذا وهو يعلم أن الشؤون الداخلية هي الأساس الأول لشؤونه الخارجية.

ولعظم بلاط المأمون فقد اجتمع لديه من الوزراء والكتاب ما لم يجتمع لغيره من أمراء الأندلس . ومن هؤلاء أبو عيسى بن لبون، وابن سفيان، وأبو عامر بن الفرج، والحاج ابن محقور، وأبو المطرف ابن مثنى[٤] ، وابن الحديدي[٥].

وقد كان لكل وزير من هؤلاء وغيرهم مهمة وعمل يقوم به – كما سيظهر لاحقاً. وإذا كان الحديث عن تنظيم المأمون لشؤون دولته الداخلية فإنه يلاحظ بشكل واضح توزيعه المهام وتقسيمها بينهم.

فمن ذلك أنه قسم أمور الدولة إلى قسمين : القسم الأول : يشمل تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القواد، والشئون السلطانية، والأعمال الديوانية. وكلف بها الوزير ابن الفرج. أما القسم الثاني : فيشمل بقية الإصدار والإيراد، والنظر في شؤون

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٢٩. ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٢، ص٢٧١-٢٧٢. الذهبي : سير اعلام النبلاء، ج١٧، ص١٤١. لسان الدين : أعمال الاعلام ، ص١٥٩.

(٢) ابن بسام : الذخيرة، ج١-٢، ص٢٧١-٢٧٢. ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار، ص٧٢.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣، ص٢٧٧.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٤٥. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٢.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧.

الرعـــية، وشؤون البلاد، والاستشارة. وكلف بها الوزير أبي بكر بن الحديدي[1]. وعن كتاب ووزراء المأمون فهم كالآتي :

١- أبو بكر يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي : هو من أهل طليطلة . كـــان نبيلاً متفنناً، فصيحاً فطناً مقدماً في الشورى. وقد كان له مكان لدى حكـــام بـــني ذي النون الثلاثة بطليطلة، وخاصة المأمون. حيث كان المأمون يعـــتمد عليه في كثير من الأمور ويثق به لدرجة أن المأمون عين بعض أقارب ابن الحديدي على وظائف هامة وأساسية.

ومـــن ثقة المأمون به أنه أخذ على ابن الحديدي المواثيق الغليظة ليبقى مع خليفته القادر بن ذي النون[2].

٢- أبـــو عامر بن الفرج : يعرف بذي الوزارتين . قدم إلى طليطلة من بلنسية ، وقد وزر للمأمون ثم للقادر.

وقد كان هو وابن الحديدي مقتسمين لمهام الدولة كما أشرنا سابقاً . وهو من بيت رئاسة تصرف ابوه وقومه مع بني ذي النون بطليطلة[3].

٣- أبـــا المطـــرف بن مثنى : هو عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون ، وزير المأمون وكاتبه . من أهل قرطبة وسكن بلنسية . عمل مع المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ثم انفصل عنه ، حيث استوزره المأمون عدة سنوات.

وقـــد انـــتفع الناس من وزارته لدينه وسلامة معتقدة . وقد توفى ببلنسية ليلة الاثنين الثالث من صفر سنة ٤٥٨هـــ ١٠٦٦م، ودفن بعدها بيوم[4].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥٠-١٥١.

(٢) ابن بسام : المصدر السابق، ج١-٤، ص١٥١. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج٢، ص٦٣٢-٦٣٣. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٢٧٦ . عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢١٦.

(٣) ابـــن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص١٧١. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٠٣، المقرى : نفح الطيب ، ج٤، ص٣٧٧.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٣، ص٤٠٩.

٤- أبي الفضل بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي : من وزراء المأمون ، وقد جلبه المأمون إلى بلاطه في جمادى الأولى سنة ٤٥٤هـ-١٠٦٢م. وجعل له راتباً شهرياً مقداره ستين مثقالاً[١].

ولم يشار إلى وظيفة أبي الفضل، لكنه على ما يبدو كان صاحب مكانة لدى المأمون، حيث أن المأمون بالغ في التوسع له . وكانت وفاة هذا الوزير في منتصف شوال سنة ٤٥٥هـ-١٠٦٣م[٢].

٥- أبو عبد الله بن عبد العزيز : وزير المأمون ومن كبار قواده. اعتمد عليه المأمون في الثغور والحروب . وكان ذا رأيٍ ومشورة . وبقي على ذلك إلى أن توفي[٣].

٦- أبو عيسى بن لبون : من كبار قواد الجيش[٤].

٧- الألب أبا عمرو بن موسى : من وزراء المأمون. توفي ليلة الجمعة في جمادى الآخرة سنة ٤٦٥هـ-١٠٧٣م. ولم يوجد ذكر في المصادر لهذا الوزير، وقد وجدت المعلومات عن هذا الوزير في مقبرة طليطلة الإسلامية على شاهد قبره، وهذا الأثر موجود في متحف الآثار بمدريد الآن . وقد يكون عدم التفات المؤرخين لهذا الوزير إلى أن أعماله ومكانته محدودة[٥].

٨- الحاج ابن محقور : من كبار رؤساء الدولة ، ومن ذوي الرأي. ورغم ذلك لم يرد عن سيرته شيئاً بارزاً، وقد يكون ذلك لوفاته أو ابتعاده عن أمور الدولة لكبره، خاصة وأنه قد خدم في عهد الظافر إسماعيل أبو المأمون[٦].

---

(١) المثقال : درهم وثلاثة أسباع الدرهم. انظر محمد المناوي : النقود والمكاييل والموازين ، ص٣٥.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص٨٩-٩٠.

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج٥، ص٨٣-٨٤.

(٤) المقرى : المصدر السابق، ج٥، ص١٣٤.

(٥) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٢٠.

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٤٥.

وعلى كل حال فقد ارتقت طليطلة في عهد المأمون إلى مصاف كبار المدن وممالك الطوائف، وتميزت طليطلة في عهده بالاستقرار والهدوء وقد يعود ذلك إلى إحكام أمره على طليطلة وأهلها.

كما نلمس أنّ أهل طليطلة أصحاب الثورات شعروا بأن مدينتهم عادت لما كانت عليه من مكانة بين مدن الأندلس، وبسبب استخدامهم وأشغالهم في المعارك من قبل المأمون كما فُعل مع بربر المغرب أيام الفتوح الإسلامية . وعلى أية حال فإن هذا الأمر لم يدم طويلاً. حيث أن المأمون حين توفي لم يخلف ابناً[1]، بل أتى بعده على الحكم حفيده يحيى. وآكد الأمر أن أبناء المأمون قد ماتوا قبل والدهم بفترة زمنية، حيث لا يوجد ذكر لهم في أمور دولته، ولم يظهر اسمهم على رأس أي جيش من جيوشه، ولو بشكل صوري وهو الأمر الذي كان دارجاً بين الحكام إعداداً لأبنائهم وافتخاراً بهم.

ومما يؤكد هذا ذلك الأعذار الذنوني الذي أقيم احتفالاً بمولد الحفيد يحيى وما كان به من فخامة وكبر، مما يدل على عظم فرحة المأمون بهذا الحفيد. وقد يكون هذا انعكاساً لفقدان الأبناء الذين لم يذكر عنهم شيئاً في هذا الأعذار رغم ذكر تفاصيله وأحداثه[2]. مما يؤكد على عدم وجودهم على قيد الحياة.

كما يؤكد ما سبق توصية المأمون قبل وفاته لحفيده بالتمسك بابن الحديدي حين توليه أمر الدولة، وتوصيه ابن الحديدي بشد أزر يحيى وأخذ عليه المواثيق الغلاظ بذلك[3].وعلى كل حال تولى يحيى أمر الدولة بعد وفاة جده المأمون، وتلقب بالقادر[4].

ولكن هذا الحاكم لم يكن كمن سبقه على الكلية. ويظهر ذلك مما حدث لطليطلة فيما بعد. كما أن هذا الحاكم لم يذكر إلا بصفات الضعف والهوان، كضعف المنة وقلة

---

(١) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار ، ص٧٢.

(٢) سيظهر هذا في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥١.

(٤) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار ، ص٧٣.

المعرفة وعدم العزم والحزم وسوء الرأي وضعف الشخصية، متبع لكل من يوجهه إمعة في أمره ، وغير هذا من الصفات السيئة.

وقد تعود هذه الأمور إلى نشأة القادر نفسه، فلم يذكر شيء عن نشأة القادر في صغره وشبابه، سوى أنه كان يعيش في حياة ترف ونعيم، بعيداً عن جادة الأمور . فقد تربى في أحجار النساء والدايات، ونشأ بين الخصيان والغانيات. كما أنه كان ملازماً لمرض في معدته[1]، يظهر أنه كان معيقاً له في الكثير من أموره.

ومن هنا فإن القادر لم يكن مهيئاً لتولي الحكم في طليطلة ، ولم يكن حسن التصرف في أمور دولته، وقد دق أول مسمار في نعش حكم بني ذي النون بطليطلة منذ بداية توليه الحكم .

وتمثل هذا في تخليه عن الوزير ابن الحديدي، بعد أن أشار عليه من حوله من المفسدين بأن حكمه لن يستقيم إلا بقتل ابن الحديدي.

ولضعف القادر فإنه لم يتول التخلص من ابن الحديدي بنفسه بطريقة لا تضره، بل ترك هذا الأمر لقوم قد تسبب ابن الحديدي في سجنهم في عهد المأمون، منهم بنو اللوارنكي وبنو مغيث. وكان بداية محاولة قتل الوزير ابن الحديدي حين عودته من قرطبة جالباً لتابوت المأمون . لكنه نجا منها، حيث وصل إليه خبر محاولة قتله. ولكن القادر بمن حوله كان مصراً على قتل ابن الحديدي. فقدم له الأمان واستدرجه إلى القصر، وممن أعان القادر على استدراجه لابن الحديدي الفقيه ابن المشاط قاضي قونكة الذي كان بينه وبين ابن الحديدي ألفة سابقة[2]. وفي القصر مكن القادر أصحابه من قتل ابن الحديدي. ولكن مقتل هذا الوزير غير حال طليطلة بشكل سريع. فقد اهتزت جنبات طليطلة

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥٠. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٣. ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار، ص٧٣.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٣. الأمير عبد الله : التبيان ، ص٧٧.

بـــثورة غالب أهلها لمقتل الوزير ابن الحديدي، وهبت بسلاحها من أجله. وساد طليطلة بمقتله فتنة وضجة، فنهبت دور بني الحديدي من قبل أعدائهم. وانقسم الناس إلى أحزاب متعددة[1].

ولم يكن عمر هذه الثورة قصيراً، ولم تقتصر على جنبات مدينة طليطلة بل أثرت عـــلى مملكة طليطلة كاملة – كما سنرى فيما بعد – كما أن أحوالها الداخلية اختلطت مـــع أحوالهـــا الخارجية بشكل كبير وزاد من هذه الثورة ضد الحاكم، أن القادر لم يكن يدافع عن أراضيه وخاصة التي كان يستولي عليها الفونسو بشكل متتابع، بل أن القادر أخذ يبحث ويجمع الأموال التي طلبها الفونسو منه لإعانته على ثورة أهل بلده[2].

وهـــذه الأمور كلها كانت تزيد في قلوب أهل طليطلة بغض القادر وكرهه، بل زاد ذلك إلى بحثهم عن شخص يتولى أمرهم . وأمام هذه الثورة وعدم رغبة أهل طليطلة في القادر، قام بالفرار إلى بعض حصونه ومعه عماله وماله، تاركاً طليطلة دون والي عليها يعيـــث بهـــا أهلها بحثاً عمن يتولى أمرهم، وكان فرار القادر تم بعد إيقانه من بحث أهل طليطلة لحاكم غيره.

وفي هـــذا الوقت كان يتواجد بطليطلة أبو محمد يوسف بن القلاس البطليوسي، وقد أشار على أهل طليطلة بالمتوكل عمر بن المظفر ابن الأفطس حاكم بطليوس ورغبهم فـــيه بـــأنهم يســـتطيعون معـــه قضاء أي أمر يريدونه ، فهو صاحب ملاذ، ويمتاز بلين وضـــعف[3] وأمام هذا العرض أرسل أهل طليطلة سفيرهم إلى ابن الأفطس يطلبون منه القدوم إليهم، وهنا توجه المتوكل إلى طليطلة ودخلها عقب سنة ٤٧٢هـــ-١٠٧٩م[4].

---

(١) ابـــن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥٤-١٥٥-١٥٦. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٣. ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار، ص٧٥-٧٦.

(٢) ابن الكردبوس : المصدر السابق، ص٧٥-٧٦.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥٨-١٥٩.

(٤) ابـــن بســـام : المصدر السابق، ج١-٤، ص١٥٨-١٥٩. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٣. ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار ، ص٧٦-٧٧.

ومــع هــذا الحاكم الجديد لم تتغير طليطلة، والسبب أن أهل طليطلة والمتوكل كليهما في آن واحد لم يهتموا بجادة الأمور.

وفي هــذه الأثناء كان القادر يبحث عن مناصر ومعين له، وقد وجد ضالته لدى الفونسو.

وتجــدر الإشارة أن النصارى – ومنهم الفونسو – كانوا يبحثون في هذه الفترة عــلى كــل ما يضعف المسلمين سواء في إعانتهم على بعضهم البعض ، أو استخلاص أموالهم وأرزاقهم ، أو بمهاجمتهم لأراضيهم.

وأمــام حاجة القادر أظهر الفونسو بره للقادر كما يقال وأنه كان يريد أن يرد فضل جده الذي عليه[1].

ومن المؤكد أن الفونسو لم يتحرك من بلاده إلا بعد مطالبته بأموال طليطلة لإعانة القادر، ومما يؤكد هذا التوجه طلب الفونسو حصن سرية وحصن قورية رهناً لديه، وقد وافق القادر على هذا.

ويُــرى بأن الفونسو لم يعد الحصنين المرهونة للقادر، حيث أن هذا لم يذكر فيما بعــد ، بالإضافة لأن الفونسو شد من حصانة الحصنين وأقام عليها ثقاته[2]، مما يكسبنا أيضــاً أن الفونســو كان لديه كامل الرغبة في أخذ الحصنين سواء كان مبطناً ذلك عن القادر أو مظهراً له خاصة وأن الحاجة للقادر.

وفعــلاً أتى الفونسو بجيوشه على وجه السرعة، وتوجه مع القادر لطليطلة التي كان أهلها ساهين عن أمورهم الفعلية وحاكمهم المتوكل طريح الملاذ.

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١–٤، ص١٥٩–١٦٠. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٣.

(٢) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار ، ص٧٦–٧٧.

وأقيم حصار شديد على طليطلة، انتهى بفرار المتوكل إلى بلده بعد عشرة أشهر مـــن دخول طليطلة ، ودخول القادر والفونسو إلى طليطلة، وذلك في عام ٤٧٤هـــ-١٠٨١م[١].

ولا يعـــتقد بأن دخول القادر لطليطلة كان سهلاً حتى بمساعدة الفونسو – رغم أن ظاهـــره كان ميسراً – حيث أن الضعف لم يداخل أهل طليطلة كما بلغ لدى أميرهم القـــادر ، خاصة وأنهم أصحاب المواقف الصلبة ليس سابقاً بل لاحقاً أيضاً. فقد حاولوا قـــتل القادر وثاروا ضده وخرجوا عن حكمه، ولو كانوا ضعفاء لما فعلوا ذلك. ويرى الباحث أن دخول الفونسو لطليطلة لم يتم، ولوتم له ذلك لما خرج عنها.

وبـــأي حال فرغم عدم اتضاح طريقة دخول القادر لطليطلة في المصادر فقد تم ذلـــك – ويعـــتقد بأن أهل طليطلة سمحوا له. ولكن الأمر البارز الذي أتضح هو مدى خضـــوع القادر للفونسو وذلك من خلال ما دفع له من أموال كثيرة جداً. ويظهر هذا الأمـــر رغم اختلاف الروايات التاريخية حول ذلك. فراوي يذكر أنه أعطاه جميع أموال طلـــيطلة ، وثانٍ يذكر أن الفونسو جعل القادر يشترى منه حصناً قريباً من طليطلة بمائة وخمسين ألف مثقال طيبة – خالصة –وخمسمائة مدى من طعام ضيافة ، وآخر يذكر بأن القـــادر أحضـــر جميع الذخائر النفيسة الموروثة عن أبيه وجده للفونسو بعد عدم قبوله لجمـــيع أموال طليطلة ، وهذا أيضاً لم يقبله إلا بعد أن يجعل القادر أمره للفونسو وتحت نظره ورهنه لديه حصن قنالش ضماناً لذلك. [٢]

وتولد عن هذا الأمر كره شديد من أهل طليطلة لحاكمهم القادر . فمنهم من فر ســـراً إلى حكم ابن هود وبقى تحت نظره ، ومنهم من فر إلى حصن مجريط وتحصنوا به معلنين خلعهم للقادر واستقلالهم بالحكم، وقد كان هذا الفرار بعد وفاة الفقيه ابن مغيث زعيم المعارضين للقادر.

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦٢-١٦٣.

(٢) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار، ص٧٥-٧٦-٧٧. الأمير عبد الله : التبيان ، ص٧٧.

كمــا أن أهل طليطلة ثاروا ثورة كبيرة ضد القادر بطليطلة في اليوم العاشر من ذي الحجة من سنة ٤٧٤هــ-١٠٨٢م ولكن هذه الثورة لم تأتِ بجديد[١] .

وهــنالك ذكــر عــن ثورة ضد القادر في شهر ذي القعدة سنة ٤٧٢هــ - ١٠٨٠م أدت لخــروج القادر من طليطلة بعياله[٢]. ويظهر أن هنالك من كان معارضاً لحكــم القــادر، ولم يكن عددهم قليلاً ، والدليل على ذلك ثوراتهم ضد القادر والتي أجبرته لأكثر من مرة أن يخرج من طليطلة.

ويــبدو أن بين هؤلاء عدد من النصارى أو المستعربين والذين كان لديهم حنين العودة لحكم النصارى، خاصة مع حال المسلمين في ذلك الوقت.

وقــد كــان هــذا الخلل الداخلي بالإضافة لضعف القادر مدعاة لكل الأمراء الطامعين في الحصول على أجزاء من مملكة طليطلة بأن يتقدموا إليها لنيل ما يريدون.

وأول هــؤلاء ابــن عباد حاكم أشبيلية الذي كان بينه وبين المأمون جد القادر تنافساً كبيراً – كما ظهر سابقاً – فقد حصل على قرطبة بعد فترة من وفاة المأمون، كما ضم سائر أعمالها. وكان يشن الغارات على مملكة طليطلة من ناحية الغرب[٣].

وبالإضــافة لابــن عباد كان هنالك ابن هود حاكم سرقسطة، والذي يظهر أن حــركاته ضد مملكة طليطلة، كانت بهدف إسقاط حكم بني ذي النون ويظهر ذلك من خلال هجومه المباشر على حكم القادر، وتحريضه للغير بمهاجمة أملاكه.

فقــد كانت حروبه ضد القادر تمتاز بالشدة والصلابة، حيث ركز هجومه على مملكة طليطلة من ناحية الشرق[٤].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٦١-١٦٢-١٦٣. ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار، ص٧٧.

(٢) عــلي بــن أبي زرع الفاســي : الأنــيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ١٩٧٢م ، دار المنصــور للطــباعة وللورقــة ، الرباط ص ١٦٨. لسان الدين : أعمال الاعلام ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٣) الحميدي : جذوة المتقبس ، ص٢٩. ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار، ص٧٣-٧٤.

(٤) ابن الكردبوس : المصدر السابق، ص٧٨-٧٩.

كمـــا أنـــه استعان بابن ردمير ضد القادر. وتمكن ابن ردمير في هذا الهجوم من السيطرة على بعض المدن ، ومن هذه المدن شنتبرية وملينة، وكاد أن يستولى على كنكة لكن أهلها افتدوا أنفسهم منه بمال كثير[1].

وكـــان لابن هود دور كبير وبارز في تحريض أبا بكر بن عبد العزيز والي بلنسية عـــلى التفرد والاستقلال بحكم بلنسية. وفعلاً حدث هذا واستقل أبو بكر بحكم بلنسية سنة ٤٦٨هـــ-١٠٧٥م عن تبعية طليطلة رغم أنه كان والياً عليها منذ عهد المأمون[2].

وهـــذا التناقص بالإضافة لما كان يحصل عليه الفونسو نظير مساعداته للقادر أو دونها كقورية وسرته .

أدت لســـوء أحـــوال طليطلة جراء ما كان يحاك لها ممن حولها ، دون دور بارز وفعال لحاكمها .

ويـــبدو بأنّ أحوال طليطلة كانت تصل إلى الفونسو إما عن طريق جواسيس له بداخل طليطلة أو من النصارى المتواجدين بطليطلة نفسها ،وقد يكون من الطرفين معاً . وبهذا كان الفونسو يعلم سوء أحوال طليطلة فأخذ يلازمها ويتابعها لكي لا تسقط في يد الأمراء المسلمين الطامحين فيها ، كما كانوا هم يفعلون .

وقد أشتد الفونسو في ضغطه على طليطلة خاصة وأنه قد استفحل أمره بالأندلس وكـــان يعيـــنه ضد طليطلة قريبه هيو الأول دوق برجنديا[3]. كما قوى طموح الأمراء المسلمين على طليطلة وأحوازها.

ولمـــا وصل إليه حال طليطلة فقد أصبح سقوطها منذ إعادة الفونسو للقادر إلى الحكم مسألة آن ووقت فقط.

---

(١) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص٧٣-٧٤-٧٥.

(٢) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص٧٣-٧٤-٧٥. القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥، ص٢٥٣.

(٣) سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى ، ص٤٣٨.

فيذكر بأن الفونسو أخر استيلاءه على طليطلة منذ عام ٤٧٤هـ-١٠٨١م إلى ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م ، لما كان عليه من يقين أنه سيستولي على طليطلة، ولهذا خاطب البابا لإعادة كرسي رئيس أساقفة أسبانيا إلى طليطلة تلك الرئاسة التي افتقدها الاسقفيات الأسبانية منذ زمن طويل. ويرى بأن تأخير الفونسو كان أيضاً لاستنزاف ملوك الطوائف الذين أخذت رسلهم لا تنقطع عنه[1]، وسيظهر هذا الضعف من قبل ملوك الطوائف فيما بعد .

وأمام حال الضعف لم ير القادر بداً من الخروج عن حكم طليطلة ، غير أنه بدلاً من أن يتنازل عن حكمها لأحد الأمراء المسلمين، تركها للفونسو[2]، في فترة كان المسلم يستعين بالمسيحي على أخيه المسلم . وعلى أي حال فلم يكن ضغط الفونسو ومحاصرته لطليطلة هما السبب الرئيسي لسيطرته عليها، إنما تخاذل أميرها وأهلها بالإضافة لحال ملوك الطوائف الذين بلغوا من الهوان والضعف ما جعلهم يتهافتون لطلب رضا الفونسو وتقديم الأموال الطائلة في سبيل أن يبقيهم على حالهم. والنص التالي يصور لنا هذا الحال يقول ابن بسام : "فأدخل على الأذفونش يومئذ منهم جماعة – من أهل طليطلة – فوجدوه يمسح الكرى من عينيه ، ثائر الرأس ، خبيث النفس، وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة رأسه ، فما نسوا دفر أطماره، ودرن أظفاره . ثم أقبل عليهم بوجه كريه، ولحظ لا يشكون أن الشر فيه ، وقال لهم : إلى متى تتخادعون ، وبأي شيء تطمعون؟ قالوا : بنا بغية ، ولنا في فلان وفلان أمنية ، وسموا له بعض ملوك الطوائف، فصفق بيديه. وتهافت حتى فحص برجليه، ثم قال : أين رسل ابن عباد؟ فجي بهم يرفلون في ثياب الخناعة، وينسبون بألسنة السمع والطاعة فقال لهم : مُذّ كم تحومون عليّ ، وترمون الوصول إليّ ؟ ومتى عهدكم بفلان ، وأين ما جئتم به لا كنتم ولا كان ؟ فجاءوا بجملة ميرة، وأحضروا بين يديه كل ذخيرة خطيرة. ثم ما زاد على أن ركل ذلك

---

(١) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٩٣.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٤. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١.

بـــرجله، وأمـــر بانتهابه كله، ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رسله، وكانـــت حالـــه حال من كان قبله، وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم، وأهل طليطلة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم، فخرج مشيختها من عنده وقد سقط في أيديهم.." [1].

في هذا النص أدق تصوير للحال السيئ الذي أمسى عليه المسلمين . فبدلاً من أن يتعاون المسلمون مع بعضهم ضد عدوهم ويدحروه ، قاموا برفع شأنه وتقوية عزيمته ضد أنفسهم، بخنوعهم وعطاءاهم التي كانوا يقدموها له. فرسلهم لديه منذ فترة زمنية ليست بالقصيرة ينتظرون الإذن بالدخول إليه ومعهم من المؤن الشيء الكثير والنفيس.

ومـــن البديهي أن هذا الحال لن ينتج عنه إلا هزيمة أو سقوط للمسلمين . ونهاية الأمـــر فقد سقطت مدينة طليطلة بعد حصار دام أكثر من تسعة اشهر في يد الفونسو ، وذلـــك بعـــد اتفاق بينه وبين القادر على أن يمكنه من بلنسية وأحوازها مقابل تسلمه طليطلة. واتفاق بينه وبين أهل طليطلة نص على العديد من الأمور هي :

١- أن يؤمن أهل طليطلة على أنفسهم وبنيهم وأموالهم.

٢- عدم منع من أراد الخروج من طليطلة، وللخارج أخذ أمواله معه.

٣- عدم إلزام من بقى بطليطلة سوى بالجزية عنه وعن من عنده من الأشخاص.

٤- من أراد العودة بعد خروجه فله ما كان بيده من عقار دون تعرض له.

٥- تسليم المدينة للفونسو.

٦- يحـــتفظ المسلمون المقيمون بطليطلة بتطبيق شريعتهم ونظمهم وتقاليدهم والاحتكام إلى قضاهم.

٧- احتفاظ المسلمين بمسجد طليطلة الجامع.

٨- يؤدي المسلمون ما كانوا يؤدونه من ضرائب إلى ملك قشتالة.

٩- أن يقدم أهل طليطلة عدداً من أعياهم كرهائن.

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٦٦.

وبهـذه الشـروط تم أداء الـيمين من قبل الفونسو ، ووافق أهل طليطلة على التسليم[1].

وبهـذا سقطت مدينة طليطلة المسلمة بيد النصارى في عام ٤٧٨هـ-١٠٨٥م بتأكـيد المؤرخـين على السنة حيث أنها سنة فاجعة لكل مسلم في تلك الفترة . بيد أن المؤرخين اختلفوا في تحديد اليوم والشهر بين روايتين : أولها في العاشر من شهر محرم[2]. والرواية الثانية تذكر أنها في مستهل شهر صفر[3].

وآكدها الرواية الأولى حيث أن راويها كان معاصراً لتلك الفترة وأيده عدد من المؤرخين .

ويـرى في الـرواية الثانية إن تأريخها كان لاكتمال سيطرة النصارى على مدينة طليطلة أو قد يكون لدخول الفونسو بنفسه لطليطلة.

وكان سقوط طليطلة لعدة عوامل أجملها الفونسو في : فقر أهلها وضعف الجانب الاقتصادي لديهم، وتشتت أمر المسلمين في طليطلة خاصة وفي الأندلس عامة ، بالإضافة لضعف حاكمها القادر[4].

وهذه العوامل كلها يسرت وقوع طليطلة بيد الفونسو دون أدنى مشقة.

---

(١) ابن الكردبوس : الاكتفاء في أخبار ، ص٧٨-٧٩. الأمير عبد الله : التبيان ، ص٧٧. عبد المجيد نعنعي: الإسلام في طليطلة ، ص٣٠٣-٣٠٤. محمد ماهر : الوثائق السياسية ، ص٢٤٧.

(٢) الضـبي : بغـية الملتمس ، ص١٦٨. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٥. المقرى : نفح الطيب، ج٦، ص٨٤-٨٥-٨٦.

(٣) أبي العـباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٥، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ص٢٧.

(٤) الأمير عبد الله : التبيان ، ص٧٣.

وعلى أية حال فإن من خلال تتبع أحوال طليطلة وسقوطها، والاطلاع على خطة الفونســو لإنــتزاع أراضــي الأندلس بإيقاع الخلاف بين أهلها والحصول على أموال ممالكها حتى تضعف .

يُــرى بأن الفونسو كان صاحب خطة طويلة المدى استطاع من خلالها السيطرة عــلى أجزاء كبيرة من الأندلس. فطليطلة – التي هي محور البحث – التي استولى عليها الفونســو جعلته يملك من مملكتها جميع ما كان لبني ذي النون الممتد من وادي الحجارة إلى طلبيرة وفحص اللج واعمال شنتمرية كلها[1].

هذا بالإضافة لاشتداده على ممالك الأندلس الإسلامية بالإغارة عليها.

وعــن حــال طليطلة وحاكمها بعد السقوط ، فطليطلة ولي عليها "ششند" أحد مســاعدي الفونسو الذي تمكن من خلال إظهاره للعدل واليسر والسهولة مع أهلها أن يمكن نفسه منها ومن أهلها حتى أن بعض عامة أهلها تنصروا لأسلوبه الحسن[2].

أما القادر آخر حاكم مسلم لطليطلة فقد توجه إلى بلنسية ليحكمها. ولكن كيف كــان حاله قبل وصوله لحكم بلنسية؟ ينقل لنا شاهد عيان حاله الذي حفظ لنا في هذا الــنص : "وخرج ابن ذي النون خائباً مما تمناه ، شرقاً بعقبي ما جناه، والأرض تضج من مقامه، وتستأذن في انتقامه، والسماء تود لو لم تطلع نجماً إلا كدرته عليه حتفاً مبيداً، ولم تنشــئ عارضــاً إلا مطرته عذاباً فيه شديداً. واستقر بمحلة الفونسو مخفور الذمة، مذال الحــرمة، ليس دونه باب، ولا دون حرمه ستر ولا حجاب. حدثني من رآه يومئذ بتلك الحــال وبيده اصطرلاب يرصد فيه أي وقت يرحل، وعلى أي شيء يعول، وأي سبيل يتمــثل، وقــد أطــاف به النصارى والمسلمون ، أولئك يضحكون من فعله، وهؤلاء يتعجبون من جهله"[3].

---

(١) ابن الكردبوس : الاكتفاء في اخبار ، ص٨١-٨٢.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٦٧.

(٣) ابن بسام : المصدر السابق، ج١-٤، ص١٦٧.

هـــذا الحال ليس غريباً على رجل ليس له من جادة الأمور شيء. إمعة لا يتحذر من عاقبة الأمور، ربيب جواري ونساء.

أمـــا بلنســـية فقد قبل أهلها بالقادر خوفاً من أن يتدخل الفونسو في أمر تنصيبه بـــالقوة. وكـــان حاكمهـــا قـــبل القـــادر هو أبو عمرو عثمان بن أبي بكر محمد بن عبد العزيز.

ولم يطل أمر القادر ببلنسية حيث ثار عليه القاضي ابن جحاف ووقع في يده فأمر بقـــتله. وقد تولى أمر قتله فتى من بني الحديدي انتقاماً لقتل أبي بكر بن الحديدي. وقد طـــيف بـــرأس القادر ببلنسية ثم رمى بجثته في سبخة، فوارا جثته فيما بعد رجلٌ احتساباً وصدقه دون كفن. وبهذا انتهى أمر القادر، وكان ذلك في سنة ٤٨١هـــ-١٠٨٨م[١]. وكـــان ســـقوط طلـــيطلة بمثابة صاعقة نزلت على مسلمي الأندلس والمسلمين عامة، وجعلـــت ملـــوك الطوائـــف يفيقون من سباهم العميق ويعلمون أن الفونسو راغب في الجزيرة كلها وليس طليطلة وحدها.

وقد قال أحد الشعراء في سقوط طليطلة[٢]:

حثوا مطاياكم عن أرض أندلسٍ	فما المقام بهـــا إلا مـــن الغلـــط
فالثوب ينسل من أطرافه وأرى	ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط[٣]

هـــذا الشـــاعر يصور بأن المدينة شديدة التحصين وقد سقطت فليس للمسلمين قدرة على البقاء في الأندلس ، خاصة وأن طليطلة وسطها.

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٠٠. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٤، ج٤، ص٣٢-١٤٩. ابن الكردبوس : الاكتفاء في اخبار، ص٨٠-٨١. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٦١.

(٢) انظر الباب الثاني ، القسم الثالث، جزء اللغة العربية.

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ج١-٢، ص٢٥٠. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢١.

وقـــد أحدث سقوط طليطلة إحياءً لحركة طال ما نسيها المسلمون بالأندلس ألا وهي حركة الجهاد الإسلامي[1] التي أبدلوها بحروب بينهم.

وقـــد كانـــت حـــركات الجهاد التي يقودها المرابطين والموحدين تهدف لتوحيد المســـلمين في الأندلـــس واســـتعادة مديـــنة طليطلة. ورغم أن عدد محاولات المرابطين والموحدين كثيرة إلا أنهم لم يتمكنوا من استعادتها. ومن هذه المحاولات :

١- العـــبور الثالث ليوسف بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس وكان ذلك سنة ٤٨٣هـــ-١٠٩٠م وتم في هـــذه المحاولة محاصرة طليطلة وبها الفونسو ، واكتساح أطرافها وانتساف ثمارها وزروعها وتخريب عمرانها.

٢- وصـــول عـــلى بن يوسف بن تاشفين إلى طليطلة سنة ٥٠٣هـــ-١١٠٩م. وإقامـــته الحرب عليها لمدة ثلاث أيام، وقد وصفت هذه الغزوة بأنها الأقوى في تلك الفترة.

٣- حملـــة بقـــيادة الأمـــير مـــزدلي بـــن سلنكان من كبار القواد المرابطين سنة ٥٠٧هـــ-١١١٣م انتهت على اكتساح ونكاية لاودية طليطلة.

٤- غزوة بقيادة يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين .

٥- محاصرة يوسف بن عبد المؤمن لطليطلة رغبة في استرجاعها[2].

وعـــلى أية حال فإن هذه المحاولات وغيرها لم تتمكن من استعادة مدينة طليطلة الإسلامية والتي استمرت من عام ٩٢هـــ-٧١١م إلى عام ٤٧٨هـــ - ١٠٨٥م تقوم بأدوار بارزة بالأندلس وخارجها في الجوانب السياسية كما قدمنا وفي الجوانب الحضارية كما سيتضح فيما بعد- بمشيئة الله .

---

(١) الشـــيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢، تحقيق : جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، ١٩٥٤م، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص٣٣.

(٢) ابـــن الآبـــار : الحلـــة السيراء، ج٢، ص٩٠-٩١-١٠٠. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٤، ص٥٢-٥٧. أحمد الناصرى : الاستقصا، ج٢، ص٥٢-٥٣. المقرى : نفح الطيب، ج٦، ص٢٢٢.

الباب الثاني

مظاهر الحضارة في طليطلة

الفصل الأول : الأحوال العمرانية .

الأحوال العمرانية .

الفصل الثاني : الأحوال الإقتصادية والإجتماعية .

المبحث الأول : الأحوال الإقتصادية

المبحث الثاني : الأحوال الإجتماعية .

الفصل الثالث : الحياة العلمية في طليطلة .

المبحث الأول : العلوم الشرعية .

المبحث الثاني : علوم اللغة والأدب .

المبحث الثالث : العلوم الإنسانية .

المبحث الرابع : العلوم العقلية .

المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين طليطلة والمدن الأندلسية الأخرى .

المبحث الأول
الأحوال العمرانية

مدينة طليطلة من أعظم مدن الأندلس وأعرقها قدماً في التاريخ[1] . فما من حكومة أو دولة قامت بها إلا وكان لها من حصانتها ومنعتها ما كفل لها الصمود والثبات ما شاء الله.

ومن الجوانب التي حظيت بها طليطلة الجانب العمراني سواء المدني منه أو العسكري ، مما أدى لإثراء طليطلة عمرانياً، حتى وصفت بأنه من القليل أن يرى مثلها إتقاناً وشماخة بنيان[2].

كما أن هذه المدينة شهدت نمواً عمرانياً مضطرداً ، وذلك لأن طليطلة كانت ملجأ لكل فار من الدولة الإسلامية كأهل الربض أو لاجئاً لها كأهل العلم .

وبطليطلة تظهر القصور الشامخة ، والأسوار المنيعة، والبنايات الكثيرة، والأبواب المتعددة، وبساتينها المحيطة، وقنطرتها الشامخة التي أصبحت علامة بارزة في طليطلة يقترن ذكرها مع ذكر طليطلة[3].

وعن الجانب العمراني بطليطلة فهو منقسم إلى قسمين رئيسيين : العمارة المدنية والعمارة الحربية أو العسكرية.

١- العمارة المدنية : تشمل :

أ) العمارة الدينية :

---

(١) انظر في تمهيد البحث.

(٢) الأدريسي : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥١. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٠.

(٣) أبي القاسم بن حوقل النصيبي : كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص١٠٦. أبو محمد الرشاطي : الأندلس في اقتباس ، ص١٥١. الأدريسي : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥١. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٠.

محورها المسجد لأنه المركز الديني الوحيد لدى المسلمين.

ويبدو أن أول مسجد – أو مصلى – بني في طليطلة كان في فترة تواجد طارق بن زياد في طليطلة أثناء حركة الفتح لبلاد الأندلس واستقراره بها.

وعدم ذكر هذا الأمر في المصادر يعود لكونه من الأمور المعتادة لدى المسلمين في المناطق التي يفتحونها، وحتى التي يقطنون بها وهذا واضح عند البحث في وصف هذه المساجد.

وهناك من يشير إلى أن المسجد المذكور كان كنيسة سابقة حولت إلى مسجد– ومن المستبعد أن يكون كذلك لأن المسلمين لا يريدون أن يثيروا مشاعر المسيحيين الدينية في هذه الفترة بالذات – وذلك لأن الظروف في هذه الفترة لا تسمح بأكثر من هذا.

أما عن المساجد التي ورد ذكرها فهي مسجد الباب المردوم، ومسجد ابن ذي القاضي القائم بالحزام من طليطلة، ومسجدين أقامها فتح بن إبراهيم الأموي المعروف بابن القشاري أحدهما في الجبل البارد والثاني بحي الدباغين ، ومسجد المسلمين بالقرب من سوق الكمادين، ومسجد الرمان، بالإضافة لجامع طليطلة[1].

وكل هذه المساجد حولت إلى كنائس، ولهذا لا يمكن رؤيتها الآن. وقد نقل وصف لبعض هذه المساجد عن طريقين : أولهما عن طريق بعض الإشارات في المصادر، والآخر عن طريق بعض الأجزاء التي بقيت من هذه المساجد ولم يحدث بها أي تغيير.

---

(١) المراكشي ، أبو عبد الله محمد : السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٢، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص٦٨٠. بن عبدون أبو محمد عبد المجيد : شرح قصيدة الوزير الكاتب في الأدب والمراتب ، شرحها الفقيه أبو مروان عبد الملك بن عبد الله الحضرمي ، تحقيق محمود حسن الشيباني، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩١م، الرياض ، ص٢٥٧. مانويل جوميث مورينو : الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم، راجعه جمال محمد محرز، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص١٤٥.السيد عبد العزيز : تاريخ المسلمين ، ص٤٠٢–٤٠٣.

وقـــد نال مسجد الباب المردوم نصيباً كبيراً من الوصف، رغم أنه مسجد صغير ، طول كل جانب منه ثمانية أمتار (انظر صورة ٣) .

وسمي هذا المسجد بهذا الاسم لمجاورته لباب يعرف بالباب المردوم. وهذا المسجد بني على نفقة أحمد بن الحديدي، وتم بناؤه من قبل موسى بن علي البناء. وكان تمام بناء المسجد في محرم من عام ٣٩٠هـــ -٩٩٩م وهذا واضح على نقش في واجهة المسجد. وعـــن مـــادة بناء المسجد فهو مبني من الحجر الجرانيتي والآجر[١]. والمسجد مكون من ثلاثة أروقة طولية تقاطعها مثلها عرضية. ويحدث من هذا التقاطع تسعة أساطين ، تفصل بينها أربعة أعمدة.

هـــذا عـــن تكوين المسجد، أما الجانب الزخرفي والهندسي فقد كان له حضور واضح ومن خلاله يظهر مدى الاهتمام بالمسجد فالأعمدة الأربعة يتفرع منها اثنا عشر قوســـاً على شكل حدوة الفرس. وهذه الأعمدة تعلوها تيجان قوطية قديمة (انظر صورة ٤). ويعلـــو كل اسطوان من التسعة أسطوانات قبة تتقاطع فيها الأقواس. والقبة الوسطى من هذه القباب أكثر ارتفاعاً من مثيلاتها (انظر صورة ٥).

أمـــا واجهة المسجد الجنوبية الغربية فهي مكونة من ثلاثة أقواس، في أعلاها نقش مـــن الآجـــر بارز داخل افريز بين صفين من الأسنة، وهذا النقش به تاريخ بناء المسجد بالخط الكوفي. وينص النقش على النص التالي :"بسم الله الرحمن الرحيم أقام هذا المسجد أحمد بن حديدي من ماله ابتغاء ثواب الله، فتم بعون الله على يدي موسى بن علي البناء وسعادة. فتم في المحرم سنة تسعين وثلاثمائة".

أمـــا هـــذه الأقـــواس الثلاث فالأيمن منها على شكل حدوة الفرس، والأيسر مفصـــص، أما الأوسط فهو مجدد – الوصف حديث – وعلى هذه الأقواس بانكة صماء

---

(١) السـيد عـبد العزيز سالم : المساجد والقصور في الأندلس، ١٩٨٦م، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ص٣٣. السـيد عـبد العزيـز: تاريخ المسلمين ، ص٤٠٢-٤٠٣. السيد عبد العزيز : مسجد الباب المردوم بطلـيطلة، دائـرة معـارف الشـعب، ج٦١، ص١١١-١١٢. جاسم محمد القاسمي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ٢٠٠٠م، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص٥٩.

من أقواس متجاوزة متقاطعة ويتوج هذه البانكة الزخرفية أفريز بداخله شبكة مخرمة من المعينات.

هـــذا عـــن الواجهة الرئيسية للمسجد، أما الواجهة المطلة على بهو المسجد فهي مكونـــة مـــن ثلاثة أقواس متجاورة تعلوها ستة أقواس متجاوزة صماء، اللونان الأبيض والأحمـــر متناوبان فيها بسبب تتابع قوالب الحجر والآجر . وهذا المسجد قد حول إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة الكريستو دي لالوث[1].

وقد نال مسجد الباب المردوم ما لم يناله جامع طليطلة من الوصف وقد يعود هذا الأمر إلى أحد الأمرين التاليين أو كلاهما :

أولاً : قلة الزخارف والأشكال الهندسية بالجامع مما لم يلفت النظر إليه.

ثانـــياً : عدم وجود وصف للمسجد في المصادر، خاصة وأنه حول بعد فترة من سقوط طليطلة إلى كنيسة وبه الآن كاتدرائية طليطلة، وهو ما أدى إلى طمس معالمه ومن ثم صعوبة وصفه عن الباحثين والدارسين.

وعلى أية حال فإن الجامع يقع في منتصف طليطلة، وإلى الشمال الشرقي منه يقع سوق الدواب.

وللمســـجد بابان في الشمال هما : باب على سوق الدواب وباب القنطرة. وفي الجهـــة المقابلة – الجنوب – بابان آخران يشرفان على نهر تاجة هما : باب الحديد وباب الدباغين.

ويـــبدو أن الـــبابين الآخـــرين كانا يستخدمان للقادمين من ضفة النهر أو ممن وضوؤهم على النهر.

---

(١) جاســـم القاسمي : تاريخ الحضارة ، ص٥٩-٦٠. السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة ، ص١٦٨-١٦٩. السـيد عـبد العزيـز : المســاجد والقصور ، ص٣٣-٣٤-٣٥ . السيد عبد العزيز : مسجد الباب المردوم بطليطلة، ج٦١، ص١١١-١١٢.

وللجامع بلاط أوسط كان مكاناً للإقراء. وقد حدثت للمسجد إصلاحات وتوسعه في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن. حيث أصلحت منارة المسجد التي تهدمت، ثم تم توسيعه بضم كنيسة مجاورة للمسجد.

وهذا الجامع رغم أنه شرط على الفونسو حين تسلمه طليطلة أن يحتفظ المسلمون بمسجدهم[1] إلا أنه حوله لكنيسة في ربيع أول من عام ٤٩٦هـ-١١٠٢م[2].

ومن المساجد التي حولت إلى كنائس مسجد أقيمت عليه كنيسة سان سلفادور في سنة ٥٥٤هـ-١١٥٩م[3].

ويلاحظ في مساجد طليطلة أن أموال الأحباس والخراج وأهل الخير قامت بدور كبير وبارز في بنائها وإصلاحها وتوسعتها. فمال أحمد بن الحديدي أقام مسجد الباب المردوم. ومال الخراج أصلح ووسع الجامع بطليطلة. ومال الأحباس زاد في أحد المساجد، وقد ظهر هذا من النص الموجود على المسجد وهو كالآتي : "بسم الله الرحمن الرحيم ، قام هذا البلاط بحمد الله وعونه على يدي صاحبي الأحباس الأمينين عبد الرحمن بن محمد بن البيرولة وقاسم بن كهلان في شهر رجب سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة، فرحم الله المحبس والساعي في شأنه والمصلى فيه والقارئ له آمين رب العالمين ، فصلى الله على محمد خاتم النبيين وسلم"[4].

ومع ندرة المعلومات عن المنشآت الدينية بطليطلة إلا أنه يظهر ويبرز مدى الاهتمام بها وعلو شأنها المعماري والهندسي. رغم كل المحاولات التي هدف من خلالها النصارى إزالة كل المنشآت الدينية الإسلامية ، وطمس معالمها .

---

(١) انظر شروط تسليم طليطلة، الباب الأول، الفصل الثاني، ص ١٢٩ .

(٢) المراكشي: الذيل والتكملة، ج٢، ص٦٨٠. المقرى : نفح الطيب ، ج٦، ص١٩٠. شكيب ارسلان : الحلل السندسية، ج١، ص٣٠٥-٣٠٨-٤٢٥. السيد عبد العزيز : طليطلة ، دائرة معارف الشعب، ج٦١، ص٣٦. حمدي عبد المنعم : أضواء جديدة، ص٧٠. جاسم القاسمي: تاريخ الحضارة، ص٤٣.

(٣) مانويل : الفن الإسلامي ، ص٢٤٨. السيد عبد العزيز : مسجد المدجنين بطليطلة، مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني عشر ، ١٩٥٨م، جامعة الإسكندرية، ص٧٨-٧٩.

(٤) السيد عبد العزيز : المساجد والقصور، ص٣٣. حمدي عبد المنعم : أضواء جديدة، ص٧٠. كمال السيد: بحوث في تاريخ ، ص١٩٧-١٩٨.

ب) العمارة المدنية :

لا تقــل عــن العمارة الدينية حيث أنها تسايرها في الفخامة والإبداع والإتقان. فمن الإتقان أن بنيان طليطلة نفسها من الحجارة الموثقة بالرصاص[1]. وإذا كانت طليطلة حافلــة بآثــار قديمــة قبل الإسلام فإن المسلمين أضافوا لهذه الحضارة العمرانية الشيء الكثير. وأبدع ما ظهر هذا في عهد ملوك بني ذي النون حيث أن تنافس ملوك الطوائف بالأندلس فيما بينهم، لم يكن فقط في جانب توسعة الملك وجوانب الحرب، ولكن أيضاً في الجوانب الحضارية العمرانية.

فقــنطرة طليطلة (انظر صورة ٦) هي أضخم قنطرة آنذاك بالأندلس والعالم بعد قــنطرة صــور[2]. وهي قنطرة السيف على نهر تاجة ، وكانت على قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب في نهايتها ناعورة يرتفع مائها في السماء تسعون ذراعاً، والقنطرة مبنية من الحجارة المشددة بجذوع من الحديد مذاب عليها الرصاص.

وطــول هذه القنطرة على الأرجح ٥٠ باع. وقد تعرضت القنطرة للهدم في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن وذلك بعد عصيان أهلها عليه وكان ذلك في عام ٢٤٤هـــ-٨٣٨م[3].

وقد قال الحكيم عباس بن فرناس في حال طليطلة بعد هدم القنطرة :

أضحت طليطلة معطلــة   من أهلها في قبضة الصقــر

تركت بلا أهل تؤهلهــا   مهجورة الأكناف كالقبــر

ما كان يبقى الله قنطرة   نصبت لحمل كتائب الكفر[4]

---

(١) الاصطخري : مسالك الممالك ، ص٤٢.

(٢) صــور : من ثغور المسلمين تقع على بحر الشام افتتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . انظر الحموي: معجم البلدان ، ج٣، ص٤٩٢.

(٣) ابــن حوقــل : صورة الأرض، ص١١١. البكري : جغرافية الأندلس، ص٨٧. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٩٦. زكــريا القزويني : آثار البلاد ، ص٥٤٦. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٠. المقرى: نفح الطيب، ج١، ص١٥٣. شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج١، ص٢٦٣.

(٤) المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص١٥٣.

وقد أعيد بناء هذه القنطرة لما أصاب أهل طليطلة من ضرر بقطعها على يد خلف بن محمد العامري قائد طليطلة في عام ٣٨٧هـ-٩٩٧م بعد أمر المنصور بن أبي عامر له بذلك(١).

ولاشك أن هناك قناطر أخرى بالإضافة للقنطرة الكبرى، خاصة أن طليطلة يحيط بها نهر تاجه من جهتين، والمنفذ من فوقها أهون وأيسر من منفذ بين الجبال. ولكن هذه القناطر صغيرة وثانوية ولم يرد عنها ذكر لحيازة القنطرة الكبرى على الروايات كلها لمدى جودتها وضخامتها.

ومن أفخم بنيان طليطلة قصورها الفاخرة والزاخرة بالزخارف والنقوش والتماثيل وأول هذه القصور قصر عمروس حاكم طليطلة في عصر الإمارة الأموية. وظاهر الأمر أن هذا القصر كان كبيراً خاصة وأنه مقر للأمراء والجنود.

ومقر القصر على باب قنطرة طليطلة. وللقصر مدخلان فقط حين بنائه. وقد تم تجديد للقصر في ولاية الأمير عبد الرحمن الأوسط وذلك في عام ٢٢١هـ-٨٣٥م(٢). وإن أهم قصور طليطلة القصر الذي بناه المأمون بن ذي النون.

وبهذا القصر دارين أحدهما في أوله قد استخدم لإسقبال الضيوف والثانية من بعدها ، تمتاز بساحة واسعة زاهرة .

أما مجالس هذا القصر فهي عديدة ومتعددة الوظائف. أولها المجلس الكبير وهو مستخدم كمكان للأطعمة. ثم يأتي بعده المجلس المفروش بالديباج التسترى المرقوم بالذهب. ثم مجلس الوضوء ومن بعده مجلس التطييب وهذا أفخم المجالس السابقة ويطل على النهر.

---

(١) السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة ، ص٢٢٥-٢٢٦. جاسم القاسمي: تاريخ الحضارة، ص٧٨.

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٩-١٠٠. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٦٩-٨٥.

وبعد هذه المجالس يأتي المجلس المكرم[1] والذي سلب نفوس كل من رأوه من أهل زمانه. وقد امتاز هذا المجلس بالزخرفة والنقوش والتصاوير.

ففـــي أعـــلى جداره إزار على دائر المجلس مزخرف مصنوع من المرمر الأبيض الرفيع ، وعلى صفحاته العاج. وهذه الزخرفة ناصعة اللون، منقوش على مرمرها صور لحـــيوانات وطيور وأشجار ذات ثمار، متلاصقة في غاية الدقة. وفوق هذا النقش زجاج ملـــون ملـــبس بالذهـــب الإبريز، وبه أشكال حيوانات وطيور، وصور أنعام وأشجار. وأرض هذا الزجاج من أوراق الذهب الإبريز مصورة بتصاوير من الحيوانات والأشجار بإتقان وإبداع.

ويفصل بين البروازين نقش عريض دائر بالمجلس أيضاً، مكتوب عليه أشعار تمدح المأمون.

ولهـــذا القصر بحيرتان على أركانها صور أسود مصوغة من الذهب الإبريز أحكم صياغة ، الأسود بها فاغرة شدوقها، وينساب من أفواهها نحو البحيرتين الماء بصورة هينة.

وفي قعر كل من البحيرتين حوض رخام يسمى المذبح محفور من رفيع المرمر، كبير الجـــرم، غريـــب الشـــكل، بديع النقش. قد أبرزت في جنباته صور حيوانات وطيور وأشجار.

وفي وســـط حوضي المذبحين شجرتين مصنوعتين من الفضة. وهي عاليتي الأصل، غريـــبتي الشـــكل، يدخل الماء من أسفلها إلى أعلاها، ويصب من فروعها كرذاذ المطر، مصدرة أصوات تؤثر في نفس سامعها.

ويـــرتفع بـــذروة الشـــجرتين عمود ماء ضخم منضغط الاندفاع، ينساب من أفواها[2].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١ – ٤ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ -١٣١-١٣٢.

(٢) ابن بسام : المصدر السابق، ج١-٤، ص١٣٢-١٣٣-١٣٤.

وفي صفة هذا القصر قيل :

قصر يقصر عن مداه الفرقــد   عذبت مصادره وطاب المورد
نشر الصباح عليه ثوب مكارم   فعليه ألوية السعادة تعقـــد
وكأنما المأمون في أرجائـــه   بدر تمام قابلتـــه أسعـــد
وكأنما الأقدام في راحاتـــه   در جماد داب فيه العسجد[1]

هـــذا بالنسبة للجانب الزخرفي وقد ظهر بشكل لافت للنظر واتضح من خلاله مـــدى ما وصل إليه من تطور ، ففي هذا الجانب النقش والتصوير والتنسيق واستخدام المواد الخام من ذهب وفضة ورخام ومرمر وزجاج.

أمـــا الجانب الهندسي والتنظيمي لهذا القصر فيرى أنه لا يقل عن الجانب الزخرفي اتقاناً وجودة ولكن للأسف لا يرد عنه وصف.

ومـــا يشار إليه بالبنان من صنع المأمون ورعايته قبة النعيم. وهي قبة أقيمت على بحيرة ببستان الناعورة هذه القبة قد أجرى إليه الماء من تحت الأرض ثم إلى رأسها، حيث يصـــب المـــاء من أعلى القبة بشكل متصل ومتتابع فتصير على شكل الخيمة. وللمأمون مجلس بداخلها لا يصله شيء من مائها المنسكب[2].

وقيل في هذه البحيرة والقبة عليها :

شمسية الأنساب بدريـــة   يحار في تشبيهها الخاطـــر
كأنما المأمون بدر الدجي   وهي عليه الفلك الدائر[3]

ويظهر أن هذه القبة كبيرة لاستضافة المأمون لخواصه بها ومجلسه هو بها. كما أنها تمتاز بإتقان الصنع بشكل كبير.

---

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ج١-٤، ص٣٥٥.

(٢) ابـــن ســـعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩. الطرطوشي : سراج الملوك، ص٩٤-٩٥. المقري : نفح الطيب، ج٦، ص٨٥.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص٣٥٥.

ويـــبدو أن هذه القبة أقيمت لاتقاء حرارة الصيف وحشراته[1]. ومن المنشآت البديعة مجلس الناعورة المجلس المبني في أحد أبهي وأشرق المنتزهات النونية. وهذا المجلس به أزهار كثيرة، خاصة وأنه مطل على النهر. وعلى هذا النهر دولاب مائي قريب يسمع صوته من المجلس.

وبهذا المجلس بركة مملوءة بالماء، وعليها سباع من الذهب، تخرج الماء من أفواهها بشكل متواصل[2].

وكما قيل في القصر والقبة من وصف قيل في هذا المجلس :

يـــا مـــنظراً إن نظـــرت بهجـــته	أذكـــرني حســـن جـــنة الخلـــد
تـــربة مســـك وجـــود عـــنبرة	وغـــيم نـــدّ وطـــشٌ مـــا ورد
والمـــاء كـــاللازورد قـــد نظمـــت	فـــيه الـــلآلى فواغـــر الأســـد
كأنمـــا جـــائل الحـــباب بـــه	يلعـــب في جانبـــيه بالـــنرد
تـــراه يـــزهو إذا يحـــلُّ بـــه	المـــأمون زهـــو الفـــتاة بـــالعقد
تخالـــه إن بـــدا بـــه قمـــراً	تمّـــاً بـــدا في مطـــالع الســـعد
كأنمـــا ألبســـت حدائقـــه	مـــا حـــاز مـــن شـــيمة ومن مجد
كأنمـــا جادهـــا فروضـــها	بوابـــل مـــن يمينـــه رغـــد
لازال في رفعـــة مضـــاعفة	متـــتمم الـــرفد واري الـــزند[3]

ولكـــن هذا الأثر إندثر ولم يبق سوى إطلاله بفحص طليطلة، وقد كان بناؤه في عام ٤٥٥هـ-١٠٦٣م[4].

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩.

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج٢، ص١٦٧-١٦٨-١٦٩.

(٣) المقرى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٤) السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة ، ص١٩٦-١٩٧.

وهـــنا يـــرى بـــأن هذه القصور أثرت على أهل طليطلة، حيث أخذ عِليةُ القوم يحاكون قصور حكامهم وخاصة في فترة حكم ملوك بني ذي النون، ويحاولون مماثلتها في بنيانهم الضخم.

ولم يقتصـــر الاهـــتمام العمـــراني ببــناء القصور فقط بل احتوى أيضاً الحدائق والبســـاتين وطليطلة التي تتميز بالحدائق الرائعة والضياع البديعة والمنتزهات الوافرة[1]، خرجـــت بابدع الحدائق تلك الحديقة الجامعة لأنواع النباتات. وهي حديقة أقيمت على ضفاف نهر تاجة. وقد كلف المأمون أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد اللخمي الشهير بابن وافـــد بـــرعاية هذه الحديقة بالإضافة لعبد الله بن محمد" ابن بصال"[2] وقد جلب لهذه الحديقـــة أنواع النباتات من جميع أقطار العالم، فأصبحت بمثابة مختبر لهذا النبات – سيأتي الحديث عن هذه الحديقة النباتية عند الحديث عن الصيدلة وعلم النبات والأشجار الطبية .

ومقـــام في هـــذه الحديقة من وسطها قبة كبيرة مائية يتوزع منها الماء إلى كامل الحديقة حتى يصل لقصر المأمون المقام في وسطها. ولما بهذه الحديقة من إبداع وإتقان فقد أطلق عليها اسم المنية المنصورة، وهي المسماة ببستان الناعورة[3].

ولم تكـــن هذه المنية الوحيدة فهنالك "منية الملك" ، التي أقيمت في حكم المأمون بـــن ذي الـــنون والمقامة قرب باب المخاضة. وقد كلف بتشييدها وتنظيمها لابن وافد أيضاً. ويبدو أنها كانت كبيرة وواسعة[4].

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص١٥٣.

(٢) انظر لهذين العالمين في فصل الحياة العلمية قسم العلوم العقلية.

(٣) الـــتهامي الـــراجي الهـــاشمي : الأبواب في الأندلس، مجلة المناهل ، العدد الثالث عشر ، السنة الخامسة، محرم ١٣٩٩هـــــ- دجنـبر ١٩٧٨م، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب، ص٢٤٧-٢٤٨. عادل محمد علي : علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال ، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد السادس ، ١٣٩٨هـــ-١٩٧٧م، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ص٢٠٤. شكيب ارسلان: الحلل السندسية، ج٢، ص٣٦.

(٤) التهامي الراجي: الأبواب في الأندلس، ص٢٤٧-٢٤٨.

ويظهـــر مـــن هذين البستانيين أنَّ المأمون بن ذي النون كان له اهتمام كبير بأمر إقامة الحدائق والبساتين اهتماماً مميزاً، رغم أن فترة حكمه كما تبين سابقاً شغلت بمطامحه التوسعية وصراعه من جيرانه.

وبطلـــيطلة العديـــد من المواضع والأحياء والأبواب التي كان لكل منها مناسبة خاصـــة له مـــن حيث التسمية والوظيفة . فمنها ما يرتبط بأماكن السكن، ومنها ما له علاقة بالحركة الاقتصادية، ومنها مواضع المقابر وغير هذا.

فمن أسماء المواضع وأحياء السكن: الحزام، والجبل البارد، وحي العشابين، وحارة الصباغين ، وحارة البئر المرة، وساحة البر، والفرائين، وحي اليهود ويسمى أيضاً بالربض البراني[1].

وهنا يلاحظ أن أسماء المواضع منبثقة إما من اسم الموضع أو شيء به كحارة البئر المـــرة، وإمـــا من عمل أو حرفة لأهل الحي كحارة الصباغين، وإما من أمر متعلق بأهل الحي كحي اليهود. وفي جانب السكن بطليطلة يشار إلى تواجد فنادق بها[2].

هـــذا عن المواضع المتعلقة بالسكن، أما ماهي متعلقة بالجانب الاقتصادي فهنالك بـــاب الدبـــاغين ، وحـــي العشـــابين، وسوق الدواب، وسوق العطارين، والكمادين والطرافين والحصارين واللجامين ، بالإضافة لموضع الفرائين[3].

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٢٧-٢٨. السيد عبد العزيز : طليطلة، دائرة معارف الشعب، ج٦١، ص٣٨. الســـيد عـــبد العزيـــز: في تـــاريخ وحضـــارة، ص٥٨. الســـيد عبد العزيز : بحوث إسلامية، ج١، ص٥٣٤.جاســـم القاسمي: تاريخ الحضارة، ص٤٣-٤٤. شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج١، ص٤٣٨. ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، راجعه لطفي عبد البديع، ١٩٩٠م، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص٦٥.

(٢) خـــالد بـــن عبد الكريم بن حمود البكر: النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، ط١، ١٤١٤هـــ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص٢٣٥.

(٣) ابـــن بشـــكوال : كـــتاب الصـــلة ، ج١، ص٢٧-٢٨. السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة ، ص٥٨. التهامي الراجبي : الأبواب في الأندلس ، ص٢٥٧-٢٥٨-٢٧٠. ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب، ص٦٤-٦٥-٦٦.

وهنا يتضح أن كل الأسماء مشتركة في الحرفة والبضاعة المستخدمة من حيث الاسم نفسه.

ويتضح أيضاً أن أسواق طليطلة كانت تتميز بشيء من التخصص في كل سوق، فأهل الماشية مثلاً لهم سوق خاص والحصارين لهم أيضاً سوق خاصة بهم.

وهذا الأمر يظهر مدى الاهتمام والتنظيم بأمور المدينة، فالحرف التي يصدر عملها روائح وأدخنه حين جمعها يمكن إقامتها في أماكن بعيدة عن أماكن السكن، وكما أن هذه التجمعات تسهل عمل أهل الحسبة[1].

أما الأبواب المتعلقة بالجانب الاقتصادي فسنتبعها مع جملة الأبواب المتواجدة بطليطلة.

ومن أهم المواضع بطليطلة هو موضوع نهاية كل معمر وبناء الا وهي المقبرة، وأبرز مقبرة بطليطلة وقد تكون الوحيدة هي مقبرة الفرق بربض طليطلة[2].

ومن هذه المواضع والأماكن يتضح مدى التغير في هذه المدينة مع حلول المسلمين، كما يظهر مدى الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي بها.

وفي جانب العمارة فقد كان أهل طليطلة يتميزون بها ويبدعون فيها، لدرجة أن مدينة سمورة هي من بناء عجم طليطلة[3].

ومن إحدى الوثائق المتعلقة بالعمارة بطليطلة تتضح خاصية متواجدة في عمران طليطلة ، وهي اشتراك بعض منازل سكانها في جدار واحد[4]. وهذه الخاصية توحي بتقارب البنيان داخل طليطلة وكثافة المعمار بها.

---

(١) سيتضح هذا في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٦١-٩٢، ج٢، ص٤٨٩.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص١٢٤.

(٤) ابي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي: وثائق في شئون العمران في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، ط١، ١٩٨٣م، المركز العربي الدولي للإعلام ، القاهرة، ص٩٢-٩٣.

وكمـــا أشير سابقاً فإن إبداع وإتقان أهل طليطلة لم يقتصر على القصور والمباني الضـــخمة بـــل تجاوزها إلى البساتين وتنظيم المواضع والأحياء والأسواق، وكذلك ظهر إبداعهم في المباني العامة التي تخص المجتمع كله كالحمامات العامة.

ومن هذه الحمامات لم يبق سوى أثر لحمامين فقط.

الحمام الأول : يسمى بحمام يعيش وهو قرب البئر المرة. ويتكون الحمام من ثلاثة أروقة متوازية ورابع عرضي هو مدخل الحمام.

وقبوة هذا الرواق الرابع على شكل حدوة الفرس منقسمة إلى اسطوانتين بتقاطع الأشـــرطة. أما بقية الأروقة فقبواها نصف اسطوانية بها طاقات مربعة لدخول الضوء من خلالها. وطول هذه الأروقة المتوازية عشرة أمتار. أما عقود الأبواب فهي أقل من نصف دائـــرة مبنـــية مـــن الآجر، ومناكبها من الحجر، وحليتها قطع حجرية غير مهذبة. أما أرضيتها فهي من قوالب القرميد. هذا عما بقي من هذا الحمام.

أمـــا الحمام الثاني : فيسمى بحمام زيد، وموقعه بالحي القديم لليهود. وهذا الحمام مكون من رواقين بالإضافة لرواق المدخل.

ورغـــم صـــغر الحمـــام إلا أن عقوده على شكلين : حدوة الفرس ومزدوج . وبالنســـبة لقـــبوات الحمـــام فهي نصف اسطوانية بها طاقات لدخول الضوء. وبالحمام مواضى تقليدية[1].

ويمـــتاز هـــذان الحمامان بصلابة البناء ولذلك داما فترة زمنية طويلة. ومن قمة الإبـــداع المعمـــاري بطليطلة حوضي طليطلة والتي عرفت بالبيلتين[2]. وقد أقيم هذان الحوضان في بيت مجوف في جوف نهر تاجة بموضع باب الدباغين.

---

(١) السـيد عـبد العزيـز : في تـاريخ وحضارة ، ص٢١٤. دائرة معارف الشعب : حمامات طليطلة ، ج٦١، ص١٤٢. السـيد عـبد العزيـز : طلـيطلة ، بحـوث إسلامية، ج١، ص٥٣٤. مانويل : الفن الإسلامي ، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) البيلة Pila : لفظ أسباني ومعناها الحوض . انظر حسين مؤنس : موسوعة تاريخ ، ج١، ص٤٨٠.

وعجيب هذان الحوضان أنَّ لهما علاقة بالقمر فمع زيادته تزدادان من الماء وحين ينقص القمر تنقصان. ومقدار الزيادة والنقصان نصف سبع في اليوم والليلة. فبعد سبعة أيـــام من بداية الشهر يكون بهما نصف الحوض ماء. وفي اليوم الخامس عشر تمتلئان من الماء. ثم تبدأ بالنقصان إلى نهاية الشهر، فينعدم الماء بها في اليوم التاسع والعشرين.

وقمـــة إتقـــان هذين الحوضين عدم تأثرها بأي تدخل خارجي في إضافة ماء أو إنقاصه، حيث تبقى الكمية على قدرها الأساسي.

ولكن هذان الحوضان خربا من قبل حنين اليهودي في سنة ٥٢٨هـــ-١١٣٣م. حين رغبته في علم سر هذين الحوضين بعد أن قام بخلعهما[١].

٢- العمارة الحربية أو العسكرية:

تمـــتاز مديـــنة طليطلة بمناعتها الطبيعية بالإضافة لمناعة سورها الممتد من الناحية الشمالية حيث تكمل الجبال ونهر تاجة الجهات الثلاث الأخرى[٢].

وقـــد أهـــتم حكام الأندلس وطليطلة بصفة خاصة بتأمين مدينة طليطلة وزيادة مناعتها.

فقد قام الأمير محمد بن عبد الرحمن ببناء ثلاثة حصون لمنع تقدم قوات النصارى، وهذه الحصون هي حصن طلمنكة وحصن مجريط وحصن فراطة[٣].

كما أن الخليفة المستنصر بالله أمر في عام ٣٥٣هـــ-٩٦٤م أحمد بن نصر ببنيان مدينة بثغر طليطلة ، وتشديد حصانتها[٤]. ولما لهذه الحصـــون والثغور من أهمية فقد أقيم

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج١، ص١٩١-١٩٢-١٩٣.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض، ص١٠٦-١١١. أبو محمد الرشاطي : الأندلس في اقتباس ، ص١٥١. الأدريسي: نـــزهة المشـــتاق ، ج٢، ص٥٥١. الســـيد عبد العزيز : بحث مالا يعرفه، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ج١، ط١، ١٩٩٢م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص٥٢٨.

(٣) رجب محمد : العلاقات بين الأندلس ، ص١٤٦.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٦.

للصرف عليها أحباس من أراضي زراعية وفنادق[1].

وبطلـيطلة العديـد من الأبواب والفتحات النافذة – يجب أن يلاحظ في جانب الأبواب أن الباب لا يقصد به أبواب الأسوار فقط بل حتى أبواب الدروب داخل المدينة نفسـها[2] – فهنالك باب القنطرة ، وباب شاقرة، وباب أشبيلية، وباب المخاضة، وباب الحديـد، وبـاب السويقة، وباب الدباغين، وباب الطفالين، وأيضاً باب الفرج ، وباب المردوم، وباب التفالين.

وعن هذه الأبواب ما يلي :

١- باب القنطرة : سمى بهذا لأنه ينفذ إلى قنطرة طليطلة ، وبناءً على نقش فوق الـباب فقـد كـان بناء هذا الباب على يد خلف بن محمد العامري قائد طليطلة سنة ٣٨٧هـ-٩٩٧م[3].

٢- بـاب شـاقرة : سمى باسم منطقة شاقرة الخصبة التي يشرف عليها، وهذا الباب قائم منذ زمن الخلافة[4]. (انظر صورة ٧) .

٣- باب السويقة : وهو نسبة للحي الذي كان يتاجر به بالمواد الغذائية[5].

٤- بـاب الفـرج: هـو مـن الأبواب النادرة التي تشير إلى مناسبة أو حدث اجتماعي[6].

٥- باب الطفالين : نسبة لباب حي الطفالين وهم محضري الطفل[7].

---

(١) كمال السيد : بحوث في تاريخ ، ص٢٠١.

(٢) ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب، ص٧١-٧٢.

(٣) ابـن حيان : المقتبس ، ج٥، ص٣١٩-٣٢٠. أحمد الناصري : الاستقصا، ج٢، ص٦٣. السيد عبد العزيز : مسجد المدجنين ، ص٧٧. السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة، ص٥٤.

(٤) ابـن بشـكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٢٧-٢٨. السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة، ص٥٤. السيد عبد العزيز : مسجد المدجنين ، ص٧٧.

(٥) التهامي الراجي : الأبواب في الأندلس، ص٢٧٠. ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب، ص٦٤-٦٥.

(٦) ليفي بروفنسال : المصدر السابق ، ص٦٨.

(٧) ليفي بروفنسال : المصدر السابق ، ص٦٥-٦٦.

٦- باب الدباغين : نسبة لباب حي الدباغين، وهم المختصون في دباغة الجلود. وهـــذا الـــباب بقي تحت مسماه حتى بعد إلغاء الأسماء العربية إلى فترة قريبة حيث كان يقال له بالقشتالية **Puerta de Adebaquin**[(١)].

٧- بـــاب الحديـــد : ويظهر أنه نسبة لبيع الحديد أو لصناعته، وهذا الباب في جنوب طليطلة مشرف على نهر تاجة[(٢)].

٨- باب اشبيلية : نسبة لمدينة اشبيلية،[(٣)] ويرى أنه قد يكون آخر باب للمتجه إلى اشبيلية.

٩- بـــاب المخاضة : وهو فتحة بحي ليس باباً بسور، وهو واقع قرب البساتين وأراضي الري والقصور[(٤)].

١٠- الباب المردوم : وهو الباب الذي ينسب إليه مسجد الباب المردوم[(٥)].

١١- باب التفالين : بجوار هذا الباب منية الملك[(٦)].

ومـــن خـــلال مـــا سبق يظهر مدى ما وصلت إليه طليطلة في الجانب المعماري الزخـــرفي من تميز وبروز. فطليطلة استقلت منذ وقت مبكر عن الفن الأندلسي إلى فن آخر أغني وأثرى[(٧)]. وهذا الاستقلال حدث بعد ورث واقتباس.

---

(١) التهامي الراجي : الأبواب في الأندلس ، ص٢٥٧.

(٢) السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة ، ص٥٨.

(٣) التهامي الراجي : الأبواب في الأندلس ، ص٢٣٦.

(٤) التهامي الراجي : المصدر السابق، ص٢٤٦ – ٢٤٧. ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب ، ص٧١-٧٢.

(٥) السيد عبد العزيز : المساجد والقصور ، ص٣٣.

(٦) التهامي الراجي : الأبواب في الأندلس، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٧) مانويل : الفن الإسلامي ، ص١٤ .

الورث مما سبقها من حضارات فائتة كالأسلوب القوطي الغربي المتعلق بالعناصر الزخرفـــية[1]. أمـــا الاقتباس فهو ما أخذته وتأثرت به من غير أرضها، كتأثرها بالعراق وفارس في استخدام الآجر كمادة بناء، وفكرة الضلوع البارزة المتقاطعة في القباب[2].

ولم تكـــتف طلـــيطلة بهـــذا بل أخذت تطور عناصرها المعمارية الزخرفية، ويمثل مسجد الباب المردوم ومسجد الدباغين غاية هذا التطور[3].

وعـــن العناصر المعمارية الزخرفية ولما بها من تميز وبروز كما ذكر سابقاً، سيفرد كل منها على حدة كما يأتي :

فمـــادة البناء في طليطلة تتناوب فيها صفوف الحجارة وصفوف الآجر. وحجارة البناء في طليطلة هي من حجر الصلد أو الجرانيت المستخرجة من أرضها[4].

وهـــذا العنصـــر المعمـــاري الزخـــرفي ظهر سابقاً في مسجد الباب المردوم في وصف بنائه.

وعـــن القبوات بطليطلة فقد أخذت اتجاهاً زخرفياً هندسياً بشكل كبير بعيداً عن الاتجاه المعماري.

وهذه القبوات اعتمدت على طريقة واحدة أساسية في الشكل مختلفة في التنفيذ، فالشكل الأساسي هي القبوات ذات الضلوع المتقاطعة، أما تنفيذها فأتى على العديد من الصـــور مـــنها شـــكل رباعي منحرف ذو أقطار كأنه قبوتان داخل بعضهما من الطراز القوطـــي، وشكل مثمن، وآخر منقسم إلى تسعة أقسام عن طريق أربعة ضلوع، تتعاقد فـــيما بيـــنها اثـــنين ، بحيث الفراغ الناتج من التقاطع في كل قسم منها يشغله ضلعان

---

(١) مانويل : المصدر السابق، ص١٨.

(٢) السيد عبد العزيز : التأثيرات العراقية ، بحوث إسلامية، ج١، ص٤٥٩.

(٣) الســـيد عـــبد العزيز : القيم البنائية في التراث المعماري الأندلسي وارتباطها الوثيق بالأوضاع السياسية، بحوث نـــدوة الأندلـــس الدرس والتاريخ، تقديم عبد الله بن عبد المحسن التركي وفتحي محمد أبو عيانة ، كلية الآداب جامعـــة الإسكندرية، ورابطة الجامعات الإسلامية ، ٢-٤ ذو القعدة ١٤١٤هـــ ، ١٣-١٥ أبريل ١٩٩٤م، دار المعرفة الجامعية ، ص١٤٧.

(٤) السيد عبدالعزيز : القصور الإسلامية ، بحوث إسلامية ، ج٢، ص٤٥٦. مانويل : الفن الإسلامي، ص٢٣٧-٢٣٨.

صغيران متقاطعان . وهذا التنوع في القباب أخرج لنا شكلاً جديداً وهو شكل سداسي مخطط داخل شكل آخر رباعي متطاول. وكان هذا الشكل الهندسي لملء فراغات أركان القبة نفسها.

وتبرز هذه العناصر في مسجدي الباب المردوم والدباغين[1]. وكما هو بروز الجانب الزخرفي في القبوات فهو موجود أيضاً في العقود. وظاهر بشكل بارز في النقش والنحت .

فالعقود المخصصة الخماسي والثلاثي منها موجودة بمنشآت طليطلة، والعقد المتجاوز المنفوخ وعقود حدوة الفرس المسنجة المركز وغيرها من أشكال العقود موجودة أيضاً.

فهذه العقود ظاهرة في مسجدي الباب المردوم والدباغين، أما عقود حدوة الفرس فهي ظاهرة بشكل كبير ومتعدد على واجهة ممر قنطرة طليطلة[2].

وعن النقش والنحت فقد ظهر سابقاً مدى براعة هذا الفن عند أهل طليطلة والذي برز إثناء وصف مساجدهم وقصور حكامهم . ومن خلال عدد من القطع المحفوظة من تلك الفترة يتأكد مدى هذه البراعة (انظر صورة ٨).

فالقطعة الأولى من عصر الخلافة يظهر بها مدى براعة الزخرفة بالتوريق [3]، وهناك لوح ثانٍ يظهر به رسومات الأزهار[4].

ومن عصر ملوك بني ذي النون يوجد ضفيرة ذات فروع ثلاثة بين نقش كوفى فيه زخرفة من وريقات ، وهذه المجموعة توجد في فوهة جُبّين أقامهما الملك إسماعيل بن ذي النون في مسجده الجامع. وكان لهذه الضفيرة تواجد آخر على شاهد قبر مؤرخ بعام

(١) السيد عبد العزيز : العمارة الإسلامية في الأندلس، بحوث إسلامية، ج٢، ص٧٧. السيد عبد العزيز: طليطلة، بحوث إسلامية، ج١، ص٣٨. مانويل : الفن الإسلامي ، ص١٤٥.

(٢) السيد عبد العزيز : العمارة الإسلامية ، ج٢، ص٥٥-٥٩. السيد عبد العزيز: التأثيرات العراقية، ج١، ص٤٥٩. مانويل : الفن الإسلامي ، ص٢٣٥.

(٣) مانويل : المصدر السابق، ص٢١٢.

(٤) مانويل : المصدر السابق، ص٢٥٤-٢٥٩.

٤٤٣هـ-١٠٥١م. وعلى شاهد قبر ثاني تواجدت هذه الضفيرة ولكن تميزت بتداخل الفروع على طول الكتابات الكوفية ووجود آيات من القرآن الكريم[1] (انظر صورة ٩).

ولم تقتصر هذه النقوش على الجدران والشواهد بل وصلت إلى استخدامات الإنسان. وخير دليل على هذا تاج الملك المأمون بن ذي النون، ذلك التاج الذي ظهر به النقش المركب، فبه ورقة شوكة اليهود مع براعم أزهار صغيرة، وبروز لزهرة الدلبند عليه[2].

والجدير بالذكر أنه لا يزال لدينا بعض بقايا آثار طليطلة الإسلامية، رغم كل محاولات المسيحيين الهادفة إلى محو الطابع الإسلامي للمدينة (انظر صورة ١٠).

ومن هذه الآثار ما كان يحيط بطليطلة من حصونها وأبراجها، بالإضافة لجزء من سورها الإسلامي[3] (انظر صورة ١١).

وكذلك لازال بها باحة سوق الدواب وباب شاقرة الذي يعرف الآن بباب بيزاغرة، وبها مسجد الباب المردوم الذي حُول إلى كنيسة مسيح النور، كما بها أيضاً مقابر المسلمين[4].

وبها ما كان موجوداً قبل المسلمين وقام المسلمون بالمحافظة عليه والزيادة به كالقصر وباب الشمس الذي تزينه أقواس وزخارف من الطراز الإسلامي[5].

وبعيداً عن هذا فالمدينة لازالت ذات طابع إسلامي، وقد يكون لوجود العاصمة مدريد بجوارها دور في ابتعاد السكان عنها. مما أضعف تأثرها بالحضارة الأسبانية وحافظ على شيءٍ من الطابع الإسلامي.

---

(١) مانويل : المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٢) مانويل : المصدر السابق، ص٢٥٤.

(٣) زكي محمد حسن : فنون الإسلام، دار الفكر العربي ، ص١٢٠. غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٢٩٠.

(٤) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ص٨٨-٨٩-٩٠. السيد عبد العزيز : التخطيط ومظاهر العمران، بحوث إسلامية، ج٢، ص١٢. شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج١، ص٤٦٤. غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٢٩٠.

(٥) محمد عنان: الآثار الإسلامية ، ص٩٠. زكي محمد حسن : فنون الإسلام، ص١٢٠. غوستاف لوبون: حضارة العرب ، ص٢٩٠.

المبحث الأول :
الأحوال الاقتصادية :

الأحـــوال الاقتصـــادية في تاريخ أي أمة من الأمم ذات دلالات حضارية مهمة وبالـــتالي لا يمكـــن تجاهلها عند الحديث عن التاريخ الحضاري لمدينة طليطلة. والنشاط الاقتصـــادي بطلـــيطلة يمـــتد إلى جوانب مختلفة فهنالك الزراعة وتربية الماشية والمعادن واستخراجها والصناعة والتجارة.

كمـــا أن اقتصادها مرتبط بالأندلس وخارج الأندلس مع بلاد المغرب والمشرق الإسلامي وأوربا أيضاً.

وبالإضافة لهذا فطليـــطلة قد شملت في الغالـــب جل مظاهر الاقتصاد.

ولقد كانت الأحوال الاقتصادية بطليطلة متصفة بالرخاء والثراء الاقتصادي قبل الحكـــم الإسلامي خاصة وهي حاضرة الدولة القوطية. ويبرز ذلك من خلال ما وجده المســـلمون بهـــا حـــين فَتحَهَا من غنائم ومجوهرات وأواني الذهب والفضة وأشياء ثمينة ونفيسة(١).

وعن الجوانب الاقتصادية بطليطلة فهي :

١- الزراعـــــة :

طلـــيطلة ذات طبـــيعة نباتـــية متميزة حيث تحيط بها الأشجار والبساتين كما بها الحدائق والجنان(٢).

ومما ساعد على ازدهار الزراعة في طليطلة عوامـــل مختلفة وهي : التربة الخصبة

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥١-٥٥٢. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص١٥٢-١٥٣-٢٧٠.

(٢) الإدريســـي : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٨-٩. أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص١٧٧. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢.

والماء الوفير والمناخ الملائم[1].

ولاكتمال هذه المقومات وشمولها على العناصر المهمة فقد أصبح نبات طليطلة ذا نوعية متميزة وله قدرة على البقاء بشكل كبير، فغلات القمح بها صارت تبقى لأكثر من سبعين سنة في حال التخزين لا يتغير لونها ولا رائحتها ولا طعمها[2].

وعـــن العنصر الثاني من مقومات النبات بطليطلة والمتمثل في مائها الوفير، فيمثله بشكل كبير نهر تاجة.

ونهـــر تاجـــة نهـــر كبير يمر بطليطلة قادماً من بلاد الجلالقة ومتجهاً إلى المحيط الأطلسي[3].

وكـــان أهل طليطلة يعتمدون على نهر تاجة في زراعتهم بشكل كبير، فأقيم منه قـــنوات لمزارعهم وأقيم عليه دواليب ترفع الماء، ومن أدلة استخدام ماءه تلك النافورة الـــتي عـــلى قنطرتها حيث أنه بعد ارتفاع الماء منها فإنه يجرى على ظهرها إلى أن يدخل للمدينة[4].

ولمـــا لنهر تاجة من أهمية في المجتمع الطليطلي فقد ذكر في الشعر، فقد قال أحد الشعراء :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضارة ونعيـــم

الله زينه فوشـــح خصـــــره نهر المجرة والقصور نجوم[5]

وهـــذا الاعتماد على نهر تاجة لمائه الوفير والمتدفق طوال العام، بالإضافة لموقعه بالنسبة لطليطلة.

---

(1) زكريا القزويني : آثار البلاد، ص٥٤٥-٥٤٦.

(2) ابـــن غالب : فرحة الأنفس ، ص٢٨٨. الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٥. زكريا القزويني: آثار البلاد، ص٥٤٥-٥٤٦. الحمـــيري : صـــفة جزيـــرة الأندلـــس، ص١٣٣. المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص١٣٩. كمـــال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، ص١٦١.

(3) الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص٦٢.

(4) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج٢، ص٥٥١. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٢.

(5) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج٢، ص٨-٩.

وبتوفر المقومات المتكاملة آنفة الذكر فاقت طليطلة مثيلاتها في بعض محاصيلها الزراعية وحازت شهرة واسعة. ومن هذه المنتجات الزعفران[1].

ولم تكن جودة المنتج في نوعه فقط بل في حجمه أيضاً حيث أن ثمرة الجلنار[2] أصبح حجمها مقارب لثمرة الرمان وقد تصل لحجمها[3].

ولما وصلت إليه ثمار وحبوب طليطلة ونباتها أيضاً من حسن وجودة فقد وصفت بأنها عديمة المثال مختلفة الطعم واللون[4].

ومن حبوب طليطلة ما يلي :

١- الحبربان : من جنس الكفوف، وهو من أنواع البَقْل[5].

٢- الإجطالة : وهو من نوع الحماض، ويقال له جطيره. ولهذا النبات سنابل صغيرة حمراء، وغالب النبات أحمر، في طعمه مزازة مستلذة. ولا ينبت هذا النبات منفرداً[6].

٣- السنبل الجبلي : ينبت في الجبال الرطبة. وله فوائد علاجية كإدرار البول والطمث وينفع في الآم المفاصل وتقوية المعدة وغيرها من الأمراض.

ومن هذا السنبل نوع آخر بطليطلة كالنوع السابق إلا أنه رخو، ورائحته عطرية أكثر من الأول[7].

---

(١) ابن غالب : فرحة الأنفس، ص٢٨٨. الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٥.

(٢) الجلنار : هو ذكر الرمان وشجره كشجره. انظر أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطابي، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان ، ص٧١.

(٣) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٨-٩. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٧٧.

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢. الحميري : صفة جزيرة الإندلس ، ص١٣٢. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص١٥٣.

(٥) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب في معرفة النبات، ج١، تحقيق محمد العرابي الخطابي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، ص١٩٧.

(٦) أبي الخير الأشبيلي : المصدر السابق ، ج٢، ص٢٢٥.

(٧) أبي الخير الأشبيلي : المصدر السابق ، ج٢، ص٧٩٢.

٤- شـــبث : النوع المتواجد بطليطلة يتميز بأن بزره عدسي الشكل. وله تعريق ظاهر، ولونه بين الخضرة والصفرة ، والشبث من نوع البقل[١].

أما ثمار طليطلة فمنها :

١- التفاح : من أنواع الفاكهة، وهو معروف ، وله أصناف كثيرة[٢].

٢- التين : من أنواع الفاكهة ، وهو معروف أيضاً. النوع الموجود بطليطلة منه نصـــف أخضـــر ونصـــف أبيض، وهو في غاية الحلاوة. والتين الأبيض هو أجود أنواع التين[٣].

٣- جـــوز ماثل : هو نبات يزرع في البساتين لما يتميز به من جمال ثمره وحسن منظره ونضارة ورقه[٤].

٤- عـــناب : لـــه عدة أنواع المتواجد بطليطلة يسمى الشوطي . وعن وصفه فـــثمرته في حجم الحمص الكبير، ونواه أيضاً كبير ، وهو قليل اللحم ، ينبت هذا النوع في الغياض.

٥- عنـــب : من أنواع الفاكهة وهو ثمر الكرم، وله أنواع العسلي الأسود المائل للحمرة منها موجود بطليطلة[٥].

٦- اليبروح : يزرع في البساتين لحسن شجرة وجمال منظره وطيب رائحة ثمره. وهذا النبات جلبه ابن بصال من الشام وزرعه بطليطلة. ومن اليبروح نوع بري[٦].

وعن أنواع النبات العطري والطبي بطليطلة فمنه :

---

(١) أبي الخير الأشبيلي : المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٥. الغساني : حديقة الأزهار، ص٣٤٢.

(٢) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص١٤٣. الغساني : حديقة الأزهار، ص٢٩٥.

(٣) ابـــن ســـعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩. الغساني : حديقة الأزهار، ص٢٩٦. أحمد قدامة : قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار النفائس ، بيروت ، ص١٢٥.

(٤) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص١٨٢-١٨٣.

(٥) ابن الخير الأشبيلي : المصدر السابق ، ج٢، ص٥٧٥. الغساني : حديقة الأزهار، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٦) مجهـــول مـــن القرن الثامن الهجري : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية وإحسان صدقي العمـــد، ط١، ١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م، السلسلة التراثية (٩)، الكويت ، ص٢٤٠. الغساني : حديقة الأزهار ، ص١٣٣.

١- البابونج الطليطلي : نبات عطري وهو الأقحوان. وهو ذو ورق مهدب، طيب الرائحة، ذو ساق رقيقة مجوفة، وأغصانه نحو الذراع، ورأس الأغصان صغير عليه زهر أبيض دقيق في وسطه لمعة صفراء. ومنبت هذا النوع في القيعان. وبطليطلة نوع آخر من البابونج له زهر أزرق، وهو من نوع البقل[١].

٢- حبق الراعي : نبات ورقة كورق الصعتر إلا أنها أعرض، وينبت هذا النبات في زمن الخريف، وخضرته مائلة إلى السواد، وهو عطر الرائحة[٢].

٣- زعفران : اسم عجمي مشترك ويقع على نبات الكُرْكُم. وأجود أنواعه في الأندلس الذي بطليطلة لأنه غلط الشعر ولونه أحمر وليس به صفرة ولا بياض[٣].

٤- صفصاف : النوع المتواجد بطليطلة يتميز بأنَّ ورقة إذا طال ينحني إلى الأصل، بالإضافة لأن ورقه عريض. وهذا النوع يصنع منه أشياء كثيرة، فالفراشون يستخدمونه في ربط القصب مكان الحزم، كما يصنع منه مقابض البطط التي يحمل فيها الأنبذة[٤].

وبطليطلة الكثير من الثمار والنباتات من غير ما سبق. ومن هذه الثمار والنباتات وغيرها ماله تواجد كبير في طليطلة، فمن الثمار : التفاح والجوز الماثل والسنبل الجبلي والعناب.

ومن النبات : الحبربان وحبق الراعي والرغل والشبث والصفصاف والشيح والكرويا[٥] واليربطورة[٦].

---

(١) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص٧٨. الغساني : حديقة الأزهار، ص١٧-٤٨.

(٢) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص٢٠٥.

(٣) ابن غالب : فرحة الأنفس، ص٢٨٨. أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب، ج١، ص٣٦١. الحموي: معجم البلدان ، ج٤، ص٤٥. الغساني : حديقة الأزهار، ص١٠٨.

(٤) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص٥٤١.

(٥) الكرويا : من التوابل وهو من جنس الهدبات. انظر الغساني: حديقة الأزهار، ص١٤١.

(٦) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص١٤٣-١٨٢-١٨٣-١٩٧-٢٠٥-٢٢٩-٤١٨-٥٤١، ج٢، ص٥٧٥-٧٥٥-٧٩٢-٨٠٢-٨٠٣-٨٤٨-٨٤٩.

وتعــود هذه الوفرة أو الكثرة لما بطليطلة من عوامل مناسبة لنمو النبات بشكل كبير ، كما أن هذا الأمر يدل على أن المناطق الزراعية بطليطلة شاسعة المساحة. ويبدو أن تمــيز طلــيطلة في جانــب الزراعة عن غيرها وصل إلى درجة أن كثيراً من النباتات الموجودة بها له اسم خاص فيها- وقد تعود هذه الأسماء للغة أهل البلد الأصليين .

فنبات البطريون يسمى شجرة الفرس، ونبتة السوسن تسمى أشباطه، والعبيثران يسمى منسنيله ، والفاونيا تسمى النغيرولة ، كما تدعى الكبوة بقلطانة، ويدعى الكتان بقنمالة[1]. وهنالك العديد من النباتات التي لها مسميات خاصة بطليطلة.

وعن المردود الاقتصادي للزراعة بطليطلة، فنباتات طليطلة ذات مردود اقتصادي كبير ويعود هذا إلى عدد من العوامل :

١- أن إنــتاج هــذه النباتات من ثمار هو في غاية الجودة مما يجعلها محط اهتمام التجار والمستهلكين كما هو ظاهر على زعفران طليطلة الذي يعم البلدان[2].

٢- بعض نباتات طليطلة الكثيرة العدد تستخدم على شكل دواء لعلاج الأمراض كالسنبل الجبلي[3].

٣- وبعضها يستخدم أجزاءٌ منه لبعض الصناعات كالصفصاف[4].

٤- أن العــدد الوفــير والكــثير من نباتات طليطلة والتي يستفاد من ثمارها أو يســتخدم أجــزاءً مــنها في الصناعة أو العلاج، لا يرى أنه يستهلك جميعه بطليطلة دون أن يكون هنالك فائض منها أو من بعض أنواعها يصدر للمدن أو المناطق الأخرى.

---

(١) أبي الخير الأشبيلي : المصدر السابق، ج١، ص١٠١-٣٩٨، ج٢، ص٥٥٣-٥٥٤-٦٢٣-٧٤٤.

(٢) الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص١٣٩.

(٣) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج٢، ص٧٩٢.

(٤) أبي الخير الأشبيلي : المصدر السابق، ج١، ص٥٤١.

ونتج عن هذه العوامل ثراء أهل طليطلة العاملين في الزراعة في القرن الثالث الهجري[1].

وكان يدعم هذا التفوق الزراعي دعم حكام طليطلة وأبرزهم المأمون، الذي شـــكلت الزراعة لديه جزء كبير من اهتماماته. ومن أجل الزراعة ولاهتمامه بها أقام حديقـــة جامعة لأنواع النباتات الموجودة في العالم، حيث أخذ كل من العالم ابن وافد وابن بصال – بعد تكليفهم من قبل المأمون – يجمعون النباتات ويجلبونها إلى طليطلة، ومن هذه النباتات كمثال اليبروح الذي جلب من الشام.

وهـــذه الحديقـــة بمثابة مختبر لمعرفة النباتات الصالحة للنمو في المدينة ولمعرفة فوائدهـــا الاقتصـــادية والطبية[2]. وبالإضافة لهذه الحديقة كان للمأمون بستان كبير أوكله أيضاً لابن بصال وابن وافد للاهتمام به[3].

ومما سبق يتضح أن الجانب الزراعي بطليطلة قد وصل إلى ذروة مجده. ولكن إذا عدنا للجانب السياسي وعلمنا أن الحملات والغارات المتتابعة على طليطلة كانت تواظب على تخريب بساتينها وحقولها لكان علينا أن نصف الجانب الزراعي بطليطلة على أنه وصل إلى غاية ذروة المجد.

٢- الثروة الحيوانية :

امـــتد اهتمام أهل طليطلة إلى النشاط الرعوي وكان لخصوبة تربة طليطلة وتوفر المراعي الواسعة أثر في ازدهار النشاط الرعوي ومن ثم ازدياد الثروة الحيوانية.

وهـــنا فماشية طليطلة من غنم وبقر كانت في غاية السمنة، لا تشابهها ماشية من ماشية الأندلس حيث كان المثل يضرب بها.

ولذلك كان المتاجرين في الماشية يأخذون من ماشية طليطلة لسائر البلاد.

---

(١) عبادة كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس، ط١، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م، ص١٠٧.

(٢) مجهول : مفتاح الراحة، ص٢٠٤. عادل محمد علي : علم الزراعة والنبات ، ص٢٠٤.

(٣) عادل محمد علي : المرجع السابق ، ص٢٠٥.

وعن مراعي هذه الماشية فهي تتركز في شمال طليطلة في الجبل المعروف بالشارات[1].

٣- الثروة المعدنية :

لم يقتصر غني أرض طليطلة بظاهرها بل حتى باطنها فهو غني بالثروات المعدنية. فيستخرج من جبل طليطلة معدني النحاس والحديد[2].

وقد كانت الأندلس غنية بمعدن الحديد والكثير من المعادن ولذلك تواجدت المناجم والمعامل بها. فلطليطلة مناجم في جبال الشارات، وبها معامل الحديد والصلب[3].

كما يستخرج من جبل طليطلة مادة الطفل – الطين اليابس- التي هي أفضل من أي نوع آخر في الأندلس وخارج الأندلس من مغرب ومشرق.

وطفل طليطلة كزعفرانها يجهز منها إلى المدن والبلدان[4].

وتتميز قرية من قرى طليطلة القريبة منها بتربتها التي تستخدم كدواء. حيث لها خاصية علاج بعض الأمراض عن طريق أكلها، ولها خاصية علاج الشعر.

وهذا التراب لا يستخدم كحاله بل يجهز ويحضر في طليطلة أولاً. ولما لهذا التراب من مميزات طبية فهو يصدر إلى الكثير من البلدان كمصر والشام والعراق وبلاد الأتراك[5].

ويرى بأن هذا التراب نوع من أنواع الطفل السابق الذكر، أو هو نفسه على صورة أخرى.

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢-١٣٣.

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٢. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

(٣) كمال السيد : تاريخ الأندلس ، ص٢٠٩. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الفكر، دمشق، سوريا ، ص٣٨٢.

(٤) المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص١٨٦-١٨٧.

(٥) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص٢٢٤.

٤- الصناعة :

توفر الأيدي العاملة ورؤوس الأموال وتواجد المواد الخام نباتية وحيوانية ومعدنية كونت مقومات الصناعة بطليطلة، تلك الصناعة التي اختلفت جوانبها ومجالات نشاطها، ومنها:

أ- المصنوعات النباتية :

المصنوعات المعتمدة على النبات موجودة بطليطلة بشكل بارز وواضح. ومن هذه المصنوعات المعتمدة على النبات، صناعة شباك صيد حيوان القنلية[1]. وهذه الشباك تصنع من نبات بطليطلة بعد أن ينقع في الماء ثم يدق ومن بعد ذلك يغزل[2].

كما بها صناعة الورق الذي يعتمد على أوراق النبات ولحائها . ولوفرت النباتات والأشجار بطليطلة أصبحت مركز صناعة الورق في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بعد أن انتزعت هذا المركز من مدينة شاطبة التي كانت تحتوي مصانع كبيرة للورق[3].

ب- المصنوعات الحيوانية :

وعن المصانع فقد أدى ارتقاء صناعة الصوف بطليطلة إلى وجود خمسين مصنعاً للصوف بها، وهذا العدد الكبير من المصانع ساعده توفر الثروة الحيوانية.

وبالإضافة للصوف فهنالك الحرير الذي كان له مصانع تقوم بنسجه وحياكته[4].

---

(١) حيوان القنلية : يشبه الأرنب إلا أنه أدق منه وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما يلبس فراؤه في الأندلس. انظر كمال السيد : تاريخ الأندلس، ص١٢٧.

(٢) كمال السيد : المرجع السابق ، ص١٢٧.

(٣) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٥٥٧-٥٥٨.

(٤) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٥٨٤.

وإلى جـوار الصوف كانت هنالك الجلود ودباغتها. ولما لهذه الحرفة من رائحة كـريهة فقـد أقـيم لها مكان خاص خارج المدينة يخرج إليه عن طريق باب يحمل اسم الدباغين أصحاب الحرفة.

ولجودة جلود طليطلة فقد كانت مطلباً لمن يريد الجلود، ويؤكد ذلك قصة ذلك الخراز المتواجد بمدينة دانية[١] والذي توفى عن كمية كبيرة من جلود طليطلة[٢].

وأبرز صناعة اعتمدت على الحيوانات وكان لها اهتمام خاص هي صناعة التحف العاجـية. وعـن بداية هذه الصناعة فقد كانت في القرن الخامس الهجري بعد حدوث الفتـنة في قرطبة. وملجأ مجموعة من النقاشين والصناع إلى مملكة طليطلة. حيث اهتمام حكامها والأجواء الصناعية المناسبة والتنظيم التجاري الخاص بمملكة طليطلة.

وقـد كـان نصـيب التحف العاجية أن أقيمت في قرية قونكة[٣] التابعة لمملكة طلـيطلة تحت حمى حكام بني ذي النون. ولكنها سبقت ملوك بني ذي النون حيث كان أول إنتاج لها في عام ٤١٧هـ-١٠٢٦م.

وقد كان إنشاء المصنع تحت إشراف رجل يدعى محمد بن زيان ويبدو أنه أكمل تواجـده بعد ذلك في المصنع بإشرافه على الإنتاج. ذلك الإنتاج الذي أتضح من خلاله أنه كان في بداية الأمر مخصص لملوك طليطلة وخاصة إسماعيل وابنه المأمون[٤].

ولقد مرت صناعة التحف العاجية بمملكة طليطلة بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : خصص الإنتاج بها لملوك طليطلة.

---

(١) دانية : مدينة من أعمال بلنسية. انظر الحموي : معجم البلدان ، ج٢، ص٤٩٤. وتقع شرقي طليطلة.

(٢) أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج٦، أخـرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية، ص٥٠٣. كمال السيد : تاريخ الأندلس، ص٢٥٠.

(٣) قونكة : مدينة من أعمال شنتبرية. انظر الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤١٧. وتقع شرقي طليطلة.

(٤) السـيد عبد العزيز سالم : تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، ص١٨-٣٥-٣٦. مانويل : الفن الإسلامي، ص٣٦٨.

المرحلة الثانية : خصص الإنتاج لملوك طليطلة والحجاب وكبار رجال الدولة.

المرحلة الثالثة: أصبح إنتاج التحف العاجية في الأسواق كسلعة مترفة تحق لكل مشتري. ولكن هذه المرحلة فقدت بها التحف العاجية كثيراً من مظاهر الأصالة والقيم الفنية.

وقد كانت بداية هذه المرحلة مع حالة الضعف التي سادت طليطلة[1].

ومـــن صـــور الـــتحف العاجية صندوق من العاج محفوظ بمتحف برغش، وهذا الصـــندوق عليه رسم مكون من صور صيد وحيوانات تتصارع مع بعضها، وهذا كله موزع على ثلاث صفوف أفقية.

وفي أعلى الصندوق نقش بخط كوفي، ونص النقش: "... باقية لصاحبه أطال الله بقـــاءه، ممـــا عمل بمدينة قونكة، سنة سبع عشرة وأربعمائة ، عمل محمد بن زيان عبده أعزه الله"[2] (انظر صورة ١٢).

والصورة الثانية : تمثلت في صندوق صغير محفوظ في متحف الآثار بمدريد. وهذا الصندوق على جانب غطائه كتابة بخط كوفي ، ونص هذا الخط "بسم الله الرحمن الرحيم بـــركة دائمـــة ونعمة شاملة وعافية باقية وغبطة طائلة وآلاء متتابعة وعز وإقبال وإنعام واتصـــال وبلـــوغ آمـــال لصاحبه أطال الله بقاءه مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدين أبو محمد إسماعيل بن المأمون ذي المجدين ابن الظافر ذي الرئاستين ابن محمد بـــن ذي النون أعزه الله في سنة إحدى وأربعين وأربع مائة عمل عبد الرحمن بن زيان". والأمير المقصود هنا هو إسماعيل ابن يحيى المأمون أمير طليطلة[3]. (انظر صورة ١٣).

ويـــبدو مـــن خـــلال الصندوقين السابقين أنها كانت تمثل خط صناعة التحف المخصصة لأشخاص معينين .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تحف العاج ، ص١٨–٧٠. مانويل : الفن الإسلامي، ص٣٥٥.

(٢) السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة، ص٢٦٥–٢٦٦. جاسم القاسمي : تاريخ الحضارة، ص٨٤. محمد محمد الكحـــلاوي : دراســـة للحياة الفنية في الأندلس من واقع توقيعات الصناع والفنانين الأندلسيين على أعمالهم الفنية، ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، ص٥٦٢.

(٣) زكي محمد حسن : فنون الإسلام، دار الفكر العربي، ص٤٩٧.

كما يظهر أن بها جانباً كبيراً من الاهتمام بالزخرفة والنقش.

جـ- المصنوعات المعدنية :

ولم تكن طبيعة طليطلة وأحوالها بعيدة عن التأثير في صناعتها. فوفرت الحديد وحال الحرب المستمر في طليطلة أنتج صناعة الأسلحة.

ومن تلك الأسلحة السيوف والدروع ورؤوس الرماح والأسهم والخوذات وغيرها من الأسلحة.

وقد وصلت صناعة الأسلحة إلى مستوى مرتفع حتى أن أسلحتها وصفت بالآت الحرب العجيبة[1].

ويرى بأنَّ هذه الصناعة كانت مزدهرة في طليطلة بشكل كبير للحاجة إليها بشكل مستمر.

كما ازدهرت بطليطلة صناعة الآلات الفلكية بجميع أشكالها وخاصة آلة الاسطرلاب.

ويوجد بمتحف بلنسية الأثري اسطرلاب مما صنع بطليطلة. وهذا الاسطرلاب من صنع إبراهيم بن محمد سعيد السهلي، وقد سجل ذلك تحت الحلقة التي يعلق منها الاسطرلاب ما نصه: "في شعبان مما أحكم صنعه إبراهيم بن محمد سعيد الموازيني السهلي بطليطلة سنة تنط للهجرة" . وتساوى كلمة تنط بحساب الجمل ٤٥٩هـ[2].

وبهذا فإن بطليطلة صناعة كل ما يحتاجه المجتمع الطليطلي وذلك مما تقتضيه الحاجة أمام ما تواجهه طليطلة من حصار متكرر ولفترات طويلة.

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩. أحمد العبادي : صور من حياة، ص٤٢. خالد البكر: النشاط الاقتصادي ، ص١٧٥.

(٢) محمد الكحلاوي : دراسة للحياة الفنية ، ص ٤٩٥ – ٥٥٠ – ٥٥١ .

كمـــا أن الطليطلـــيين وصـــلوا في إتقان المصنوعات إلى درجة كبيرة، حتى أنّ الفونسو كان يستخدم عدد منهم لديه[1].

وهـــنا يتضح مهارة أهلها وإتقافم لبعض الصناعات وعظم الحاجة لهم حتى من جانب خصومهم. كما أن صناعاقما كانت تعتمد على طاقاقما وخاماقما المحلية.

٥- النشاط التجاري :

أ- العمــلات : كانـــت بداية عملة طليطلة عندما استقر القائد موسى بن نصير بطليطلة ، حيث قام بسلك عملتين ذهبيتين وعملة برونزية ، للحاجة لعملة يصرف منها رواتب الجند ويسير الفاتحون أمورهم بها.

وقـــد ســـكت هـــذه العملات في دار السكة بطليطلة نفسها. وعن أولى هذه العمــلات فهي عملة ذهبية خرجت كتابتها كلها باللاتينية حتى شهادة الإسلام التي بها. وذلك يعود إلى عدم وجود من له خبرة في سك العملة ضمن الفاتحين وإكال الأمر بذلك إلى النصارى بدار السكة بطليطلة.

ففي الوجه الأول كتب :

IN NOMINE DEI : NON DEUS NISI DEUS SDLUS NON DEUS ALIVS.

وعلى الوجه الثاني :

HIC SOLIDUS FERITUS FERITUS IN SPANTA ANNO 714.[2]

وعـــن العملة الذهبية الثانية فهي على شكل العملة الأفريقية وتعتبر مرحلة ثانية للعملة الأولى حيث شمل نقشها على صيغتين عربية ولاتينية.

ففـــي أحـــد وجوه العملة كتب محمد رسول الله يحيط به نص لاتيني على شكل دائري هو :

---

(١) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٦ .

(٢) حسين مؤنس : موسوعة تاريخ ، ج١، ص٢١-٢٢.

In nomine Domini.non Deus nisi Deus. Solus Sapiens. non similes Alius

وفي الوجه الثاني نجمة ثمانية الأذرع يحيطها نص لاتيني هو :

Solidus feritus in spania.

وبالإضـــافة لهاتين العملتين هنالك عملة برونزية صغيرة الحجم سكها موسى بن نصـــير، وعلـــيها كتابة باللاتينية أيضاً[1]. ويستغرب هنا في شأن الكتابة باللاتينية إلا أنه يـــرى بأن ذلك ربما مراعاة للنصارى ولجلب قلوبهم للإسلام ،بالإضافة لعدم وجود من لهم خبرة بسك العملة .

وعن عملة طليطلة فيما بعد هذه الفترة لا يرد ذكر لسك عملة بها، وقد يعود إلى اعـــتماد سك العملة بالعاصمة قرطبة فقط في حقبتي الإمارة والخلافة الأموية، أما حقبة ملـــوك الطوائف فقد سكة عملات بأسماء حكامها : الأولى منها باسم إسماعيل الظافر في عـــام ٤٣٤هـــــ-١٠٤٢م وعـــام ٤٣٥هـــ-١٠٤٣م، والثانية في عهد المأمون سنة ٤٣٥هـــ-١٠٤٣م.

وقـــد لاقـــت الجوانب الاقتصادية اهتماماً كبيراً في طليطلة وخاصة في الجوانب المالـــية. ويتضـــح ذلـــك من أن قضاة طليطلة كانوا يحكمون في قضايا تعد من تفاصيل الشـــؤون الاقتصـــادية ، وعلماؤها يفتون فيما يكون به لبس أو اختلاف من المعاملات الاقتصـــادية والتجارية . ومن هذا شؤون الاكتراء، والتقبيل. ففي معاملات التقبيل منع التقبـــيل في احباس المساجد والمساكين والمرضى والموصى لهم لأكثر من أربعة أعوام[2]، وهذا مثال من كثير من المعاملات الاقتصادية بطليطلة.

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص١٠١.

(٢) الونشريســـي : المعيار المعرب، ج٧، ص٤٧٧. أحمد بن مغيث الطليطلي : المقنع في علم الشروط، تقديم وتحقيق فرانثيســـكو خابـــيير أغيري سادابا، ١٩٩٤م، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ، ص٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥.

ب- الـــتجارة المحلية : بعد انتهاء كل حصار لطليطلة يبدأ أهلها بالتزود بما كان ينقصهم من الخارج مما ليس لديهم. وما بطليطلة من مواد وبضائع متميزة فيقدم إليها من يبحـــث عـــنها، أو أن أهلها سيخرج بعضهم ببضائعهم المتميزة لكي يبيعوها بعيداً عنها بأثمان غالية.

ويرى بأن تميز منتجات طليطلة وانحصارها لفترات عن المدن والبلدان الأخرى مما يؤدي إلى ارتفاع أثمان منتجات طليطلة ، وينعش الحركة التجارية داخل طليطلة. ويظهر هـــذا الانـــتعاش الاقتصادي من خلال مشاركة بعض علماء طليطلة في التجارة وعمارة المال[1]. ومن خلال التجار اليهود – أصحاب الاهتمامات الاقتصادية – الذين يقدمون إلى هذا المدينة من حين لآخر بأنواع السلع[2]، بالإضافة لمن بالمدينة من يهود من أهلها .

وهـــذا الانـــتعاش ما يلبث أن يصل لمستويات عليا في حال الهدوء والاستقرار بالمدينة وخارجها.

ولقـــد شكلت طليطلة من طرق التجارة مركزاً مهماً ونقطة بداية ونهاية. وترتبط طليطلة بعدة طرق تجارية : منها طريق يبدأ من قرطاجنة ثم مرسية ثم إلى طليطلة.

وطـــريق مـــن قرطبة فطليطلة فسرقسطة ثم لاردة[3]. وهذا الطريق قديم ، يلتقي برصيف أغسطس فيصبح الطريق يمتد من لاردة إلى قادس[4][5].

ويـــرى بأنّ هذه الطرق تمزج بين الطرق الداخلية لبلاد الأندلس الجالبة لتجارة الأندلـــس وللـــتجارة القادمة من خارج الأندلس ، بالإضافة لأنه من خلال هذه الطرق

---

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط١-٢، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص٣٤٩.

(٢) خالد البكر: النشاط الاقتصادي ، ص٩٦.

(٣) لاردة : مديـــنة مشـــهورة بالأندلس، تقع شرق قرطبة وتتصل أعمالها بأعمال طركونة . انظر الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٧. وتقع شمال شرق طليطلة.

(٤) قادس : جزيرة في غربي الأندلس ، تقارب أعمال شذونة. انظر الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٠. وهي جنوب طليطلة.

(٥) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، ١٩٨٦م، مكتبة مدبولي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص٢٨٧-٢٨٨. كمال السيد: تاريخ الأندلس، ص٢٨٢-٢٨٤.

تـــنقل بضائع المدن وخاصة طليطلة إلى خارج الأندلس. هذا بالإضافة للطرق التجارية الفرعية من طليطلة لقراها والعكس كذلك.

وعن الطرق القادمة لطليطلة فهي تبحث عن الأسواق المختلفة الأنشطة بطليطلة.

فهـــنالك ســـوق الماشـــية الذي به أفضل ماشية بالأندلس لا يخالطها هزل ولا ضعف(١).

وقـــد وصـــل التنظيم بهذا السوق إلى تخصيص أطباء بيطريون في هذا السوق، للإشراف على الماشية من متابعة الحالة الصحية ومن إعانة لأهل الحسبة على منع الغش. وهـــذا مما ظهر من قصة الرجل الذي اشترى بغلة من طليطلة وسار بها إلى بلنسية، وبعد فـــترة وجـــد بهـــا بعض العيوب. فقدم شكواه إلى قاضي بلده الذي رفع الأمر لقاضي طلـــيطلة. وبعـــد استدعاء البائع أثبت بأن العيوب لم تكن موجودة حال البيع بإحضار بيطريين حضرا المبايعة(٢).

وبالإضـــافة لسوق الدواب فهنالك أسواق أخرى مخصصة لكل مهنة. فلكل من العطارين ، والكمادين، والصرافيين، والحصارين، سوق خاصة يزاولون تجارهم بها. كما أن هنالك سوق خاصة لصغار التجار يعرف باسم السويقة(٣).

وحتى النخاسة أو الخراصة وهي بيع الرقيق فلها سوق بطليطلة. واتضح ذلك من قصة الفتى الذي استغاث على أنه حر يستعبده يهودي. لكن اليهودي الذي عليه ذكـــر

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج٢، ص٥٥٢. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٢-١٣٣.

(٢) أبي الاصـــبغ عيســـى بـــن ســـهل الأندلسي: وثائق في الطب الإسلامي ووظيفته في معاونة القضاء في الأندلس مســـتخرجة مـــن مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم محمود علي مكي ومصـــطفى كامل إسماعيل، ط١، ١٩٨٢م، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، ص٣٦. الونشريسي: المعيار المعرب ، ج٦، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٣) السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة ، ص٥٨. كمال السيد: تاريخ الأندلس ، ص٣٠٢.

بأنه عبد لديه اشتراه من طليطلة[1].

ولم يكن تميز طليطلة باختلاف أسواقها وأنشطتها التجارية بل لجودة بضائعها التي وصلت لمختلف البلدان كمطلب للمستهلكين. ومن هذه البضائع: الزغفران والصبغ السماوي والنصال والطين[2].

جـ- التجارة الخارجية : شكلت بضائع ومنتجات طليطلة مطلباً للعديد من البلدان ، مما كون تجارة خارجية لطليطلة. ومن تلك البلدان : مصر والشام والعراق وبلاد الترك والموانئ الأفريقية والأوروبية[3].

ويبرز هنا أن التجارة لم تقتصر على البلدان الإسلامية فقط بل وصلت إلى المناطق الأوروبية ، مما يدعم كون منتجات طليطلة مطلب للعديد من المستهلكين.

التأثير السياسي على الاقتصاد :

لقد ظهر مدى ما كان اقتصاد طليطلة يتأثر بحالها السياسي. وقد سجل التاريخ بعض تلك التأثيرات ، ومن ذلك ما حدث في عام ٣٢٠هـ وذلك بعدما حاصر الخليفة عبد الرحمن الناصر طليطلة، ومن ثم حصل أهلها بعد هذا على الأمان، فظهر لنا مدى تأثر طليطلة بهذا الحصار.

فما أن حصل الأمان حتى خرج أهل طليطلة إلى عسكر الخليفة وحصلوا على المرافق فيه ، واشتروا ما يريدون من طعام وشراب حرموا منه بهذا الحصار[4].

---

(١) أبي الأصبغ عيسى بن سهل : وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للدول للإعلام، القاهرة، ص٢٠. الونشريسي: المعيار المعرب، ج٦، ص٢٨٦-٢٨٧، ج٩، ص٢٢٤.

(٢) البكري : جغرافية الأندلس، ص٨٨. المقرى : نفح الطيب، ج١، ص١٨٦-١٨٧. غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٥٥٨-٥٥٩. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج٢، ترجمة محمد عبدالهادي أبو زيد، ط٤، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، مكتبة الخانجي ، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ، ص٣١٣.

(٣) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٥٥٨-٥٥٩. آدم متز: الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص٣١٣.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٧.

كمـــا أن هـــنالك إشارة بضياع أموال أهل طليطلة بسبب تكرر الغارات عليهم ودوام الحرب بهم[1]. لما يحتاجون من صرف أموال لحماية بلدهم وما يحدث لهم ولبلدهم من خراب ودمار.

ولم يكن هذا التأثير دائماً للأسوأ بل أدى إلى تطور كبير في صناعات طليطلة من حيث الكم والنوع[2]، كما أدى لتطور طرق التخزين ، وارتفاع لأثمان سلع طليطلة بعد الحصار أو الحرب .

ويرى بأن بعض الأسواق التي جعل مكانها خارج المدينة تنتقل في حال الحرب إلى داخل المدينة لفترة مؤقتة على نطاق أقل من حال السلم.

ولقد كان بروز الحالة الاقتصادية وارتفاع مستواها بشكل كبير في عهد بني ذي الـــنون لما حصلت عليه طليطلة من أمن واستقرار داخلي، وقد امتد أثره إلى نهاية عهد القادر بن ذي النون آخر حاكم مسلم لمدينة طليطلة.

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٠.

(٢) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص٢٢٣.

المبحث الثاني

الأحوال الاجتماعية :

تشـــكلت الأحـــوال الاجتماعية من عدد من المظاهر والعناصر المختصة بالمجتمع الطليطلي .

وكمـــا تشـــكلت الأحوال الاجتماعية من مزيج من العناصر فالمجتمع الطليطلي متشكل من مزيج أيضاً، حيث به العرب والبربر والنصارى واليهود والمولدين.

وكـــان الـــتواجد العـــربي بطليطلة بفرعية العدناني والقحطاني . ومن العدنانيين بطلـــيطلة باهلـــة ومنهم قوم ينتسبون إلى قتيبة بن مسلم وهم من بني مالك بن أعصر، وبالإضـــافة لباهلة هنالك تميم وكنانة التي كان عددها بالأندلس كثير ، وغالبها بطليطلة وأعمالها.

أما قحطان فقد كان الأنصار وقبائل اليمن هم الممثلين للقحطانية بطليطلة[١].

وبالإضافة للعرب هنالك قبائل البربر.وقد أستقر بها منهم قبيلة مغيلة [٢].

ولم يكـــن الوجـــود الإســـلامي الوحيد بطليطلة بل كان بها النصارى واليهود. فالنصـــارى كان تواجدهم قبل فتح طليطلة ولازال بعده بفضل تسامح المسلمين معهم. فقد حفظت لهم بها كنائسهم وأديرتهم ، كما كان لهم بها أساقفة.

وللنصـــارى بهـــا حرية دينية واجتماعية. فلهم قاضي منهم يهتم بقضاياهم. وقد دفعتهم تلك الحرية إلى الاختلاط بالمسلمين، فأصبح منهم من هو عربي اللسان والـــزي

---

(١) أبـــو محمـــد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، راجعها وضبطها لجنة من العلماء بإشـــراف الناشر، ط١، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ص٢٤٦. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣٨. المقري : نفح الطيب، ج١، ص٢٧٢-٢٧٥. حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص٣٧٣. محمد عنان : دولة الإسلام ، ج١-١، ص٧٠.

(٢) خالد البكر : النشاط الاقتصادي ، ص٥٤-٥٧.

حتى أن أحد مطراني طليطلة تسمى باسم عبيد الله بن قاسم[1].

وعــن اليهود فقد كان عددهم كبير بطليطلة[2]، وذلك يعود إلى أمرين : الأول مــنها هو تسامح المسلمين مع اليهود، والثاني منها أنَّ اقتصاد طليطلة ذو مستوى عالي، ومعلوم أن اليهود منذ القدم هم أصحاب تجارة وحب للمال.

وقد كان تواجد اليهود بطليطلة من ناحيتين : منهم من هو مستقر بها، ومنهم من يقدم إليها ثم ما يلبث أن يغادرها طلباً للتجارة، وهذا ما هو متضح من قصة الفتى الذي بيع على اليهودي[3].

وهذا التنوع في عناصر المجتمع لا يعني تقسم المجتمع الطليطلي إلى أقسام منفصلة ومتــباعدة عن بعضها، بل إن هذا المجتمع وصل لدرجة من التمازج بشكل كبير. فعند الــنظر على العديد من الأسماء لتجدها مختلطة بين اسم عربي وآخر ايبرى . وهذا النص يظهر ذلك :

"بــاع القائد دون شبيب بن عبد الرحمن دون دُمنقة مرزالة الدليل، ومن زوجة يُشتة بنت مرتين الخ. والشهود يحي بن خليل ورفاعة بن يحيى القنترى وإبراهيم بن خليل وعبد الله بن عمر وحسين بن جعفر بن حسين وميقائيل بن شبيب ابن عبد الرحمن"[4].

كمــا أن هــذا الــتمازج تولد عنه عنصر جديد في المجتمع كان له دور كبير في شؤون المدينة ألا وهو عنصر المولدين.

---

(١) المقــرى : نفــح الطيب، ج١، ص٣٦٦. شكيب ارسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائــر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص١١٩–١٢٠. حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص٤٨٦. إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، ط٥، ١٩٧٨م، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، ص١٣.

(٢) خــالد البكر : النشاط الاقتصادي ، ص٩٦. مريم قاسم طويل : مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، ط١، ١٤١٤هــ–١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص٢٥٠.

(٣) الونشريســي : المعيار المعرب ، ج٦، ص٢٨٦–٢٨٧، ج٩، ص٢٢٤. أبي الأصبغ عيسى : وثائق في أحكام ، ص٢٠.

(٤) شكيب إرسلان : الحلل السندسية ، ج١، ص٣٨٣.

ويقصد بالمولدين هم أبناء أب أيبرى مسلم وأم عربية أو بربرية . ولم يكن عدد هؤلاء بقليل بل هم كثر، وقد تزعموا كثيراً من الحركات الثورية بطليطلة ضد الحكومة المركزية بقرطبة[1].

وهذه الكثرة هي صفة سائدة في سكان طليطلة بصفة عامة. وقد تعرض مؤشر نسبة السكان لارتفاع كبير أحياناً، وذلك بفضل نزوح أعداد من المهاجرين إليها. ومن ذلك ما حدث بعد حادثة الربض بقرطبة حين خرج عدد منهم إلى طليطلة قدر بالألوف[2].

كما أن أهالي الضياع والقرى المجاورة كانوا ينتقلون إلى طليطلة هروباً من الحروب والغارات المستمرة عليها[3].

وللمجتمع الطليطلي صفات يتصف بها قد تكون مميزة له عن غيره من المجتمعات ومن هذه الصفات :

- اتصافهم بالصلابة والشدة، ويدعمهم في ذلك حصانة مدينتهم. ويرى بأنَّ هذه الصفة دعمها استمرار أهلها في مدينة على حال الحرب والغارات بشكل شبه مستمر. وهذه الصفة تظهر جلية في تكرر ثورات وخروج أهل طليطلة على الحكم منذ قديم الزمن سواء على حاكم طليطلة نفسها - إن لم يرق لهم - أو حاكم الدولة التي تتبع لها.

كما أن هذه الصفة تبرز في مشاركات الطليطليين في العديد من المعارك[4].

(١) خالد البكر : النشاط الاقتصادي ، ص٦٣.

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج٢، ص٥٥١. الذهبي : سير إعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٧. الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص١٣٠.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠.

(٤) ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢، ص٣٦٩. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٩. ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، ج٤، ص١٢٦.

- اهتمام أهل طليطلة بمدينتهم بشكل كبير ، والإشراف عليها مباشرة وكأنه يوجد للمدينة مجلس يهتم بأمورها دون الحاكم.

ومن ذلك تدخلاهم في الشؤون السياسية كمباحثتهم لسليمان بن هود في عهد المأمون على المصالحة والمهادنة. ومن ذلك أيضاً استجلاهم لأكثر من قاضي لمدينتهم[1].

وكلتا الصفتين تظهر نفسية راقية لأهل طليطلة ، تساهم في إجلاء صور كل ما كان يقوم به الطليطليون في الجانب السياسي والحضاري.

ومن المظاهر الاجتماعية البارزة مظهر الزواج. وإن كانت الإشارات التاريخية قليلة أو نادرة حول كيفية الاحتفال بذلك.

فالمأذون الشرعي ممن يعقد الأنكحة هو من فقهاء المدينة، ولكن عقد الأنكحة ليس حكراً على الفقهاء بل حتى للنبهاء من أهل المدينة. ومن هؤلاء الفقهاء إبراهيم بن أحمد بن محمد الصوفي.

وقد يشترك في عقد القران أكثر من عاقد له. ومن ذلك ما قام به المأمون بن ذي النون حين عقد قران ابنته على المظفر عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر حاكم بلنسية[2].

وبما أن علية القوم هم مظهر تقليد، فلابد أن أهل طليطلة كانوا يحاكون أعيانهم في أفراحهم ومناسباهم، فأصبحت صورة شائعة بها.

وأبرز مظهر اجتماعي يظهر فيه اهتمام الطليطليين بمدينتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والوظائف الإرشادية من تعليم وإفتاء ووعظ وقضاء وحسبة . ويظهر أن حركة الدعوة والإرشاد نابعة من أهل طليطلة أنفسهم. فالتدريس لأمور الدين والوعظ والدعوة لأعمال الخير كان يقوم بها البعض في جامع طليطلة وفي أماكن تجمع

---

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٤، ص٨١٢. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠.

(٢) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٣٧.

النـــاس. ومـــن هـــؤلاء المعلمين عبد الله بن موسى الأنصاري وتمام بن عفيف الصدفي وابن البيرولة عبد الرحمن بن محمد(١).

أمـــا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فله من التزم به بطليطلة من رغبة ودافع شخصي. وقد وصل الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أنْ قام أحد المهتمين به إلى تأليف كتاب يختص بهذا الجانب وقد سماه كتاب الأمر والنهي (٢).

كمـــا أنهـــم أقاموا من يهتم بقضية الإفتاء وشؤونها ببلدهم ممن هم جديرين بهذا الشأن(٣).

وهـــذا لا يعني عدم وجود دور للدولة في هذا الجانب، فهنالك وظيفتي الحسبة وأحكام السوق.

وقـــد كـــان لكلا الوظيفتين اهتمام من جانب الدولة في أمر من يعين عليها ومن يـــزال منها إن لم يكن مناسباً لها(٤). وفي جانب التخير لهذين المنصبين لم يقتصر على أهل طليطلة، بل جلب لهما من المدن الأخرى من هو خير لهذه المناصب(٥).

وهذا ما يبرز مدى اهتـــمام الطيطليين بأهـــم منصبين اجتماعيين بمدينتهم.

ولم يكـــن تقويم المجتمع الطليطلي بمجرد الدعوة والنصح ، فقد خصصت أماكن لعقاب المخالفين. ومن تلك الأماكن مطبق بحصن وبذة أتخذ سجناً(٦).

غـــير أنـــه لم يكـــن الحال الجدى أو جانب التشديد هو المظهر السائد بطليطلة، فـــلمظاهر الـــترويح النفسي والاحتفالات حيز بها . فهنالك الاحتفالات التي تقدم فيها

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص١٢٣-٢٦٩. الذهبي : تاريخ الإسلام، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٢٥٨.

(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج٤، ص٤٦٢.

(٤) ابـــن بشـــكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص١٦٣. أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي: ثلاث وثائق في محاربة الأهـــواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، ط١، ١٩٨١م، توزيع المركز العربي الدولي للأعلام، القاهرة، ص١٠٣.

(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٣٤٥-٣٥٨-٣٦٣-٣٦٤. الضبي : بغية الملتمس ، ص٢٣٦.

(٦) إحسان عباس : تاريخ الأدب ، ص٢٠.

مختلف الأطعمة وصور من الغناء والطرب، كما أنَّ بعض هذه الاحتفالات وصل لدرجة كـــبيرة من الترف والإسراف كالاحتفال الذي أقيم لختان القادر بن ذي النون وعرف بـــإعذار بني ذي النون. ويرى في هذا الإعذار أنه أحدث تأثير على السلوك والعادات الاجتماعـــية بطليطلة، من حيث محاكاة هذا الاحتفال، ومن حيث خروج حركة الدعوة للزهد المضادة لهذا السرف والترف[1].

وبالإضافة لهذه الاحتفالات فهنالك هواية الصيد التي كان لها أماكن خاصة تكثر بها الطرائد.

كما هنالك المخيمات التي يُبتعد بها عن مشقة العمل، ومجالس السمر والشعر[2]. وبالإضـــافة لاهـــتمام المجـــتمع الطليطـــلي بالترويح النفسي فقد اهتموا أيضاً بمظهرهم الخارجي.

ويـــبرز ذلك في ملابسهم وطيبهم. ففي الملابس قد وصف وفد من أهل طليطلة عدده ١٧٠٠ رجل بأنه ذو زي جميل وشكل تام.

وعن ملابس المجتمع الطليطلي فلم يرد سوى إشارات لبعض ملابس الرجال دون ملابس النساء التي لم تكن لتوصف في ذلك العصر. ومن ملابس الرجال الاقبية البيض- البرانس – والغفارة والثياب التي منها ثياب الحرير[3].

---

(١) ابـــن بســـام : الذخـــيرة، ج١-٤، ص١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢. أبـــو عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونـــس ، ص٧٥٠. المقـــرى : نفـــح الطيب، ج١، ص٤١٥. فايز عبد النبي فلاح القيسي : أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، ط١، ١٤٠٩هـــ-١٩٨٩م، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص٤٦. سحر السيد عبد العزيز سالم : بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية ، ج١، ١٩٩٧م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص٨٨-٨٩.

(٢) الطرطوشـــي : ســـراج الملـــوك ، ص٢٣٠. المقـــرى : نفح الطيب، ج٤، ص١٠٨-١٠٩، ج٥، ص٢٧٠. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص١٦٤.

(٣) ابـــن حـــيان : المقتبس، ص١١٧-١١٨. ابن بسام : الذخيرة، ج٢-٣، ص٨٥٠. سحر السيد عبد العزيز: ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ ، ص٢٥٦.

أمـــا طيب أهل طليطلة فبها العديد من أنواع الطيب والروائح الزكية، من بخور العـــود الهندي والعنبر الفستقي والعنبر المغربي وماء الورد الجوري والمسك التبتي واللبان البرمكي. وقد استخدم كل أنواع هذا الطيب في حفل واحد[1].

وعن أثاث منازل طليطلة الثابت وروده عنها، فبها بسط الصوف المبطن ووسائد الصوف. كما أنّ هنالك استخدام لمادة اللباد على الجدران كمادة زينة، وفي جانب زينة الجـــدران فإنـــه يعلق عليها في بعض المنازل الصور. أما الزخارف والنقوش فإنه لا يغفل مدى استخدامها لزينة الجدران كما هو بارز في قصور بني ذي النون.

أمـــا الأواني المـــتواجدة بهـــذه المنازل فقد ذكر منها المقالي والأقداح والأباريق والطسوس والجامر وكوانين الفحم، بالإضافة لكل ما هو معتاد من الأواني المترلية.

وتخـــتلف هذه الأواني من حيث مادة الصنع فبعضها مصنوع من الحديد والبعض من الفخار وبعضها من الفضة[2].

وكمـــا هـــي شهرة طليطلة فبها أطعمة اشتهرت كشهرتها حتى أنَّ بعضها اقترن باسمها، ومن ذلك المجبنة الطليطلية.

والمجبنة هذه مكونة من دقيق وجبنة مخلوطة بالأنيسون وماء النعناع وماء الكزبرة الخضراء، ذات طريقة خاصة في الطهي. وهذه المجبنة مفضلة في أرجاء الأندلس[3].

ومـــن الأطعمـــة بطليطلة حلوي آذان القاضي وفاكهة عيون البقر والطين وزهر الزعفران والثرائد بأنواعها وغير ذلك الكثير[4].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة، ج١-٤،ص١٣١-١٣٢.

(٢) ابـــن بســـام : الذخيرة، ج١-٤، ص١٣١-١٣٢. القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٣، ص١٦٠-١٦١. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٤١.

(٣) ابـــن رزيـــن التجيبي : فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، ط٢، ١٩٨٤م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٨٥-٨٦. مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، دراسة أمبروزيو أويثي ميراندا ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مج٩-١٠، ١٩٦١-١٩٦٢م، مدريد، أسبانيا، ص٢٠١. دايفـــد ويـــتز: فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج٢، ص١٠٣٠-١٠٣٢.

(٤) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٤١. ابي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج١، ص٣٦٢. المقرى: نفح الطيب، ج٥، ص٢٧٣. مجهول : كتاب الطبيخ ، ص١٨١. آدم متز: الحضارة الإسلامية ، ج٢،ص٣١٣.

وفي جانب الأطعمة يرى بأنها كانت على أشكال وأصناف مختلفة ومتميزة، وذلك يعود إلى أنَّ مصدرها النباتي والحيواني بطليطلة كان متميزاً.

وكــل هــذه المظاهــر كانت تحت مظلة أحوال صحية جيدة. فبطليطلة رباط للجذامي يعزلون به عن الأصحاء وينالون به العلاج[1].

كما أنها شهدت اهتماماً بالوصفات العلاجية، وقد أعانها على ذلك وجود نباتات بأرض طليطلة ذات خصائص علاجية كالسنبل الجبلي[2].

هــذا عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وسيتبعها بمشيئة الله الحياة العلمية بطليطلة بمختلف فروعها .

---

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٤، ص٨٢٣.

(٢) أبي الخـير الاشبيلي : عمدة الطيب ، ج٢، ص٧٩٢. حكمة علي الأوسي: كتاب الوساد لابن وافد الطليطلي، مـلخص لرسالة دكتوراه، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث عشر، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد ، العراق، ص١٨٦.

الفصل الثالث

الحياة العلمية في طليطلة :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "طلب العلم فريضة"(1) من هذا الحديث وغيره من الأحاديث يتضح أهمية العلم وطلبه في الإسلام، وهذا ما ظهر من خلال الحضارة الإسلامية على مر العصور. وبدخول أهل الأندلس في الإسلام اهتموا بالعلم كبقية المسلمين، وكان تركيزهم في بداية الأمر على العلوم الشرعية واللغوية ثم اقبلوا بعد ذلك على بقية حقول العلم كالدراسات الإنسانية والتطبيقية.

وضمن الأندلس مدينة طليطلة التي وصلت في حقول العلم إلى درجة الريادة. وهذه الريادة لما كان عليه علماء طليطلة من شغف بالعلم وصبر على مشاقه ، ويظهر ذلك في رحلاهم العلمية وأماكن تعلمهم وكتبهم ومكتباهم.

فرحلاهم العلمية أو التبادل العلمي المشترك مع مدن العالم الإسلامي كان إطارها متسع بشكل كبير مما أدى لإثراء علوم العلماء واكتساهم لعلوم الآخرين.

وهذه المدن متوزعة بين الأندلس وبلاد المغرب والشمال الأفريقي ومصر وبلاد الشام والعراق والحجاز(2).

---

(1) محمد بن يزيد الربعي : سنن ابن ماجه ، ج1، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط1، 1416هـ-1996م، دار المعرفة، بيروت ، حديث 224.

(2) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص127-342-344. الحميدي : جذوة المقتبس، ص364. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج2، ص453. المقري : نفح الطيب، ج6، ص312-318-319. ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م، بيروت ، لبنان ، ص165. محمد أحمد أبو الفضل : أضواء على النشاط العلمي في الأندلس، بحوث ندوة الدرس والتاريخ، ص435.

ولهـــذا – وغـــيره – وفي فترة وجيزة أصبحت طليطلة مركزاً للعلم يقدم إليها الطـــلاب والعلماء. كما أنها اعتبرت مركزاً للثقافة العربية التي انتشرت في قارة أوروبا بأكملها[1].

ولطلـــيطلة مراكـــزها العلمـــية – أماكن التعليم – وهذه المراكز تواجدت في كتاتيبها ومكتباتها ودور علمائها ومساجدها وخاصة جامع طليطلة الذي يعد منارة للعلم بشتى حقوله العلمية سواء العلوم الشرعية أو العلوم الأخرى[2].

وللاهـــتمام بالعلم فقد توفر بطليطلة العديد من الكتب سواء التي صنفها علماء طليطلة أو جلبوها معهم من رحلاتهم.

وقـــد شكلت مجموعة هذه الكتب العديد من المكتبات العامة والخاصة بطليطلة. وقـــيام حركة ترجمة الكتب العربية بعد سقوط طليطلة من أكبر الأدلة على توافر أعداد هائلـــة مـــن الكتب بطليطلة غالباً ما كانت متواجدة على شكل مكتبات . وإن كانت الكتـــب ربما جُلبت من مدن الأندلس المجاورة فلابد أن الفكرة – للترجمة – نبعث من طليطلة ومن كتبها المتواجدة أولاً.

وقد ساعد على تواجد المكتبات اهتمام بعض أهل طليطلة بجمع الكتب من داخل الأندلس ومن خارجها، كما كان لناسخي الكتب دور آخر.

وعـــن الكتـــب فقد اهتم في أمرها بشكل كبير،وأوضح صورتين يظهر فيها هذا الاهتمام:شغف حكام طليطلة من بني ذا النون بجمع الكتب لدرجة استيلائهم على مكتبة

---

(١) ابـــن القوطـــية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٠. محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام، ط٦، ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م؛ مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص٢١٣.

(٢) ســـعد عـــبد الله البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، ١٤١٧هـــ-١٩٩٧م، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ص١٤٦-١٤٧. محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلـــس ، ط١، ١٩٨٢م، دار الفكـــر العـــربي، ص٣٨٥. محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ص٨٣. محمد عنان : دولة الإسلام، ج١-١، ص٦٤.

لأحد علماء طليطلة. والصورة الثانية: وجود نظام الإعارة لدى عدد من مقتنى الكتب، وأبرز شرط للإعارة هو أمانة المستعير للكتاب[1].

ومما دعم تصنيف الكتب ونسخها وجود مصنع لصناعة الورق بطليطلة[2]. كما دعم التصنيف والجوانب العلمية بصفة عامة اهتمام عدد من حكام طليطلة بالعلم والعلماء. ويأتي على قمة هؤلاء الحكام المأمون بن ذي النون الذي يرى بأنه عامل أساسي في إرتقاء وتطور الجانب العلمي بطليطلة .

ولقد برز بطليطلة عدد كبير من العلماء الذين شكلوا عناصر مهمة بين علماء الأندلس كصاعد وابن الزرقيال .

وسيظهر كل ما سبق وغيره من أمور الحياة العلمية بطليطلة في هذا الفصل بمشيئة الله.

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٠-٦١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٣١٥. البير حبيب مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ١٩٦٧م، المكتبة العصرية، صيدا؛ بيروت ، ص٢٦٧. إحسان عباس: تاريخ الأدب ، ص٣٩. سعد البشري: الحياة العلمية عصر الخلافة، ص١١٦-١٣١-١٣٢. سعد البشري: الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص١٩٢. خوليان ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، القسم الأول، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، شوال ١٣٧٧هـ-مايو ١٩٥٨م، ص٩١-٩٤-٩٥، القسم الثاني ، مجلة المخطوطات العربية، مج٥، ج١، ذي القعدة ١٣٧٨هـ-مايو ١٩٥٩م، جامعة الدول العربية، ص٨٢-٨٣-٨٥.

(٢) فايز القيسي : أدب الرسائل ، ص٦٤. خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة ، ص٨٥.

المبحث الأول

العلوم الشرعية :

كانـــت العلـــوم الشرعية في العهود الأولى بالأندلس هي العلوم المتسيدة للعلوم الأخـــرى ، وذلـــك عائد لحاجة الناس في تلك الفترة إلى معرفة الدين وتشريعاته . وهنا فالعلم الشرعي كان يسير جنباً إلى جنب مع حركة الفتح ابتداءً ، ثم تفرد بعد الاستقرار وأصبح يهتم به كثير من الرجال الذين أصبحوا فيما بعد هم علماء الأندلس.

وخلال القرون الإسلامية الأولى كان لعلماء الشريعة بطليطلة مكانة كبيرة ليس بمدينتهم بل في كامل الأندلس. وذلك عائد لما كان عليه علماء طليطلة من اهتمام بالعلم الشـــرعي وحفظـــه والإكـــثار مـــن دراســـته وبحثهم عنه من خلال رحلاتهم للبلدان الإسلامية[1].

وقـــد تواجدت العلوم الشرعية في طليطلة بكامل فروعها، وكان لعلماء طليطلة احتواء لغالب هذه العلوم الشرعية وغيرها، مع نبوغ وبروز في أحدها أو أغلبها. فتجد عالماً– ليس من باب الحصر– له دراية بالفقه والحديث واللغة والأدب وأصول الديانات، لكنه يبرز ويظهر في علم الحديث بشكل كبير عن العلوم الأخرى[2].

وتتجـــلى مكانة علماء طليطلة فيما ذكر عنهم سواء من علماء الأندلس أو من خارجهـــا، ومـــن ذلـــك مقولـــة "لـــيس بالأندلس أبصر من محمد بن محمد بن مغيث بالأحكام"[3].

ومقولة : "كان عالماً بوجوه القراءات ضابطاً لها متقناً لمعانيها، إماماً ديناً ، أخبرنا

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٣٥، ج٢، ص٥٠٣-٥١١-٥١٨-٦٤٩.

(٢) القاضـــي عياض : ترتيب المدارك ، ج٣، ص١٦١. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٦٣-٦٧-٢٧٦، ج٢، ص٦٤٣.

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٤.

عنه غير واحد من شيوخنا ووصفوه بالتجويد والمعرفة"[1]. هذا بغض النظر عن الالقاب التي أطلقت عليهم، والتي منها تسمية سعيد بن أبي هند من قبل الإمام مالك بحكيم الأندلس ، وتسمية عبد الملك بن حبيب السلمي بعالم الأندلس[2].

ولم يكن الاهتمام بالعلم الشرعي وتبنيه مقتصراً على الأفراد، بل كان بطليطلة بيوت تهتم به كبيت آل الحديدي وبيت القروي[3].

وتميز علماء طليطلة لم يكن لمجرد الحفظ والاهتمام بالعلوم الشرعية بل لما كانوا عليه من طريقة وأسلوب. فعيسى بن دينار الغافقي وعبد الملك بن حبيب السلمي عُدا من كبار العلماء الذين لهم الفضل في نشر مذهب الإمام مالك بالأندلس.

كما أن عيسى بن دينار كان يرى أن تكون الفتيا بما ورد في الحديث النبوي – على نبينا أفضل الصلاة والتسليم – دون الرأي[4].

هذا بالإضافة إلى إنه كان لديهم اهتمام بمتابعة الأحوال الإجتماعية ويبرز هذا الجانب من بعض تصانيفهم فهنالك كتاب النساء وكتاب الأمراض وكتاب النصائح وكتاب بر الوالدين وكتاب في الأمر بالمعروف كما لهم كتابات موجهة ، كالتي وجهها محمد بن قاسم القيسي إلى قضاة طليطلة[5] .

وحين الحديث عن تصانيف علماء طليطلة فلهم العديد من التصانيف المختصة بالجانب الشرعي ، ومن هذه التصانيف كتاب في تفسير الموطأ وكتاب في تسمية رجال الموطأ ليحيى بن مزين ، ومسند في الحديث لمحمد بن عبد الله بن عيشون ، وكتاب المقنع

---

(١) الإمام شمس الدين ابي عبد الله الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج١، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط١، دار الكتب الحديثة، مصر، ص٣٥٨.

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص١٣٦. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٥٩. مصطفى المشني : مدرسة التفسير في الأندلس، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص٥٩.

(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج٤، ص٦٧٤-٨١٩.

(٤) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤. محمد عبد الحميد : تاريخ التعليم ، ص ٨٣ . مصطفى المشني : مدرسة التفسير ، ص ٥٩ .

(٥) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١ ، ص ٣٠١ ، ج٢ ، ص ٥١٨ – ٦٥٢ . عمر رضا كحاله : معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى –دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ج ٢ ، ص ٢٢٩ ، ج١٠ ، ص ٢٢٣ .

لأحمد بن مغيث الصدفي ، وكتاب في شرح كتاب البخاري لمحمد علي الأموي ، وتصنيف في الرد على محمد بن عبد الله بن مسرة لعبد الله بن محمد الطليطلي وكتاب في المناسك لعبد الرحمن بن عثمان الصدفي[1] .

هذا بالإضافة لما كان يكتب عن علماء طليطلة من قبل تلاميذهم[2].

وقد بلغ اهتمام عدد من علماء طليطلة بكتاباتهم إلى أن وصفت تصانيفهم بقلة وجود الأخطاء والأوهام بها بشكل كبير[3].

مما جعل كتبها تنتشر خارجها، ومن هذه الكتب التي لاقت رواجاً وقبولاً لدى الناس في خارج طليطلة تفسير يحيى بن مزين ومختصر ابن عبيد[4].

ولم تكن هذه الكتب والمصنفات هي نتاج بحث مقتصر على كتب طليطلة ودراسة على يد علمائها بل هي نتاج رحلات للعديد من البلدان داخل وخارج الأندلس. فقد تجول علماء طليطلة في الأندلس على العديد من المدن كقرطبة وطلبيرة، ووصلوا في خارج الأندلس إلى مدينة مكة المكرمة وصنعاء[5] والإسكندرية والقيروان[6] وإلى مناطق اليمن ومصر والشام والعراق والمشرق بصفة عامة[7].

ولقد كان سماع علماء طليطلة وتلقيهم في هذه الرحلات عن طريقين : إما عن العلماء أنفسهم ، أو عن طلبتهم الذين نقلوا عنهم.

---

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ، ج ٤ ، ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ . ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١ ، ص ٣٠١ ، ج٢ ، ص ٥٢٥. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص ٤٦٦ . عمر كحاله : معجم المؤلفين ، ج٦ ، ص ١٤٢ .

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٣٧٢.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ١٥٠-١٥١.

(٤) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٥) صنعاء : هي قصبة اليمن وأحسن بلادها. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٨٤.

(٦) القيروان : مدينة بإفريقية، وهي اليوم بدولة تونس . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٧.

(٧) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص١٢٣-١٢٤-١٢٧-١٢٨-١٨٢-١٩٧-٢٦٠-٢٦٩-٢٧٠-٢٨٣-٤٢٠. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج٢، ص٤٣٧-٤٦١-٤٦٢. ابن فرحون المالكي : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج١، ص١٩٩-٢٠٠، ج٢، ص١٤٧.

ولم يقتصر بعض علماء طليطلة على رحلة واحدة بل قاموا برحلتين إلى تلك المناطق، كانت في بعض الأحيان على شكل جماعات، وكان بقائهم هنالك لفترات متفاوتة بلغ أحدها مدة أحد عشر سنة[1].

والتعليم بطليطلة هو من عوامل دعم العلوم الشرعية بها، ومما أكمل مسيرة نبوغ وبروز علمائها. فإقراء القران وتعليم الفقه والحديث وغيرها من علوم الشريعة تواجدت ضمن جانب التعليم بطليطلة بالإضافة للكتب الدينية لعلمائها أنفسهم[2].

ولقد كان جامع طليطلة ودور المعلمين ومجالسهم هي ساحات انبعاث التعليم بالمدينة ، ويتصدرها في هذا الجانب جامع طليطلة، الذي كانت حلقات التعلم به تشكل صفة هذا التعليم[3].

ولأجل كل ما قام به علماء طليطلة المختصون بالعلوم الشرعية من اهتمام ودراية لهذه العلوم ولما كانوا يتميزون به من أمانة وزهد وإحقاق للحق[4]، فقد اغتنت مدينتهم بهم في كل الوظائف الدينية وغيرها من الوظائف والمهام كالإفتاء والقضاء والإشارة للأمراء والصلاة والخطبة بجامعها وتولى لبعض المهام كبناء الحصون[5].

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص١٨٢-٢٦٠-٢٦٩-٢٧٠-٢٨٣-٤٢٠.

(٢) ابن الفرضي : المصدر السابق ، ص٢٥١. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢١٠-٢١١، ج٢، ص٧٥٧-٧٥٨. ابن فرحون : الديباج المذهب، ج٢، ص٢٠٥. الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص٦٠٤.

(٣) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٥٦-١٩٦، ج٢، ص٤٣٦-٤٦١-٤٦٢. المراكشي : الذيل والتكملة، ج٢، ص٦٨٠. الذهبي : تاريخ الإسلام، ص١٩٦.

(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص١٧٤. ابن فرحون : الديباج المذهب، ج٢، ص١٤٨. أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي: تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقَبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث في الآفاق الجديدة، ط٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ص٥٩.

(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص١٠٢-١٦٦-٢٣٠-٢٦٣. القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج١، ص٣٤٧. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٢٥٥، ج٢، ص٤٨١.

ولم يقتصر تواجد هؤلاء العلماء على مدينتهم فقط، بل استفادت منهم كثير من المدن الأندلسية وخاصة في مجال القضاء[1].

ومن علماء الفقه بطليطلة :

أحمـــد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبي : كنيته أبو جعفر، ويعرف بابن ارفع رأسه. من كبار علماء الفقه بمدينة طليطلة ، عالم بالحديث وعلله وبعقد الشروط. ولأحمد حلقة بجامع طليطلة يعلم بها. توفي ليلة عاشوراء سنة ٤٠٣هـــ-١٠١٣م[2].

أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة بن ميمون الأموي الطليطلي : كنيته أبو جعفر. كان حافظاً للفقه وراوياً للحديث، له عناية كبيرة بالعلم والبحث على الرواية وضبطها.

لـــه الكثير من الكتب، ورغم كثرها إلا أنها تعد أصح الكتب بطليطلة. وكان له رحلات لطلب العلم حيث وصل لقرطبة بالأندلس ومصر والحجاز. وقد توفى يوم النحر سنة ٤٠٢هـــ-١٠١٢م وعمره خمسون عاماً[3].

أحمد بن الوليد بن عبد الخالق بن عبد الجبار بن قيس بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قتيبة بن مسلم الباهلي: فقيه من أصحاب يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار. تولى قضاء مدينة طليطلة ومدينة جيان، وهو قاضي ابن قاضي ابن قاضي ابن قاضي، فقد تولى أبوه وأجداده قضاء طليطلة[4].

ســعيد بن أبي هند : رحل ولقي مالك بن أنس وسمع منه. وهو الذي لقبه الإمام مـــالك بالحكـــيم. وقـــد كانـــت وفاته في صدر حكم الأمير عبد الرحمن بن معاوية[5].

ســعيد بـــن أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري: كنيته أبو عثمان. كان فتيا طليطلة بينه

---

(١) ابـــن الفرضـــي : تـــاريخ عـــلماء الأندلـــس، ص٢١١. القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٣، ص١٦٢. ابن بشكوال: كتاب الصلة ، ج٢، ص٣٨٥. النباهي المالقي : تاريخ قضاة، ص٥٩.

(٢) القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج٤، ص٨١٩. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٥٦.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٧، ص١٥٠-١٥١. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٤١٦.

(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢٩. الحميدي : جذوة المقتبس ، ص١٤٨.

(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص١٣٦.

وبـــين محمـــد بن يعيش. وهو من أهل الفطنة والدهاء والثروة. وقد كان معيناً لمحمد بن يعيش على الحكم، وقد توفي في أوائل المائة الرابعة من الهجرة[1].

عبد الرحمن بن أحمد بن خلف : كنيته أبو أحمد، ويعرف بابن الحوات. عالم بالفقه والحديث والاعتقادات. وعرف بقوة الحجة وذكاء الذهن وسرعة الجواب. وبجوار علمه بالفقه والحديث والاعتقادات فلديه علم بالأدب والشعر.

وقد كانت وفاته في عام ٤٥٠هـــ-١٠٥٨م[2].

عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن ذنين الصدفي : كنيته أبو المطرف.

لـــه رحلة علم مر بها على المشرق ومكة ومصر والقيروان. وله عناية بالحديث، والعديـــد مـــن المؤلفات التي هي من خط يده. ومن هذه المؤلفات كتاب عشرة النساء وكتاب المناسك وكتاب الأمراض.

وعـــندما بلـــغ عمـــره تسعاً وسبعين سنة كانت وفاته وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٣هـــ-١٠١٢م[3].

عبد الرحمن بن أبي هند الأصبحي : كنيته أبو هند . وهو ممن سمع من الإمام مالك بن أنس، وقد استوزره بعض الخلفاء.

ويختلف بينه وبين سعيد بن أبي هند فيمن أطلق عليه الإمام مالك بن أنس بحكيم الأندلس، ويذكر أنهما رجل واحد اختلف في اسمه.

وعـــن وفـــاة عبد الرحمن بن أبي هند فقد حدثت في عام ٢٠٠هـــ-٨١٥م[4].

عـــبد الملـــك بن حبيب السلمي : له رحلة للمشرق التقى فيها بالإمام مالك بن

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٢١٠.

(٢) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٢٧٠-٢٧١. الضبي : بغية الملتمس ، ص٣١٣-٣١٤.

(٣) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٣٠١.

(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢١١. الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٢٧٩.

أنــس ودرس لديه. وقد أصبح من كبار أنصار مذهبه بالأندلس، حتى أنه ألف كتاباً في الفقه على مذهب الإمام مالك سماه الواضحة.

وــله مـــن المؤلفـــات تفســير الموطأ وطبقات الفقهاء والتابعين وكتاب الناسخ والمنسوخ وإعراب القرآن .

وقــد عُــد في طــبقات الأدباء وطبقات النحاة أيضاً. توفى في عام ٢٣٨هـــ-٨٥٢م[1].

عيســى بن دينار ابن وافد الغافقي: فقيه الأندلس، ومن تلامذة الإمام مالك بن أنس أيضاً.

له كتاب في الفقه سماه الهدية . وقد توفي عيسى في عام ٢١٢هـــ-٨٢٧م[2].

قاســم بن أحمد بن جحدر : كان له رحلتين علميتين : الأولى سمع فيها من علماء مكــة المكرمة ومصر وصنعاء. والثانية استقر فيها بمكة وكان يرحل إليه الناس بها. وقد بقي بمكة المكرمة منذ عام ٢٩١هـــ-٩٠٤م إلى عام ٣١١هـــ-٩٢٣م وهو عام موته رحمه الله.

ويرى بأن الكتب المسماة بالجحدرية هي له[3].

يمــن بـــن أحمد بن يمن التجيبي : كنيته أبو موسى . مبصر في الوثائق والفرائض والإعراب.

لــه كتاب التوبة، وكتاب بر الوالدين وهو في خمسة أجزاء . مات في يوم الجمعة أول شهر ذي الحجة من عام ٣٩٠هـــ-١٠٠٠م[4].

---

(١) مصطفى المشني : مدرسة التفسير، ص٥٩.

(٢) الحمــيدي : جــذوة المقتبس، ص٢٩٨. الضبي : بغية الملتمس ، ص٣٥١ - ٣٥٢. مصطفى المشني: مدرسة التفسير، ص٥٧-٥٨.

(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢٨٣. ابن فرحون : الديباج المذهب، ج٢، ص١٤٧.

(٤) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج٢، ص٦٥٢.

أما علماء الحديث بطليطلة فأبرزهم :

إبراهيم بن محمد بن شنظير الأموي : كنيته أبو إسحاق، كان من المهتمين بالعلم. عالم بالحديث وعلله وله اهتمام بكتب الزهد والكرامات[1].

أحمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث الصدفي : كنيته أبو جعفر. يعد من كبار العلماء فهو بارع في علم الحديث وعلله وبالفرائض والحساب واللغة والتفسير وعقد الشروط.

من أشهر كتبه كتاب المقنع في عقد الشروط، وكانت وفاته في عام ٤٥٩هـ-١٠٦٦م، وله من العمر ٥٣ عاماً[2].

محمد بن علي بن إبراهيم الأموي : كنيته أبو عبد الله، ويعرف بابن قرديال. كان يناظر عليه في الفقه، ولابن قرديال مؤلف في شرح كتاب البخاري. كانت وفاته سنة ٤٧٩هـ-١٠٨٦م[3].

وفي علم الحديث فإنه يشترك فيه بعض فقهاء طليطلة كما ظهر سابقاً.

وعن علماء علوم القرآن فمنهم :

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري : مقرى مجود، كان يدرس بمسجد حمزة بغرناطة، وله تاريخ صغير في اختلاف القراء السبعة[4].

محمد بن عيسى بن فرج بن أبي العباس المغامي : كنيته أبو عبد الله . عالم بالقراءات ووجوهها ، موصوف بالتجويد والمعرفة.

حبس كتبه لطلبة العلم. وكانت وفاته في منتصف ذي القعدة من عام ٤٨٥هـ-١٠٩٢م بمدينة أشبيلية ، وعمره ٨٣ سنة[5].

---

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج١، ص٩٣.

(٢) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٤، ص٨١٩. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٦٣-٦٤. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ص٤٦٦. ابن فرحون : الديباج المذهب، ج١، ص١٨٢.

(٣) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج٢، ص٥٢٥.

(٤) المراكشي : الذيل والتكملة ، ج٢، ص٦٨٠. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٤١٤.

(٥) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج٢، ص٥٢٨. الضبي : بغية الملتمس ، ٩٤.

يحـــيى بن مزين : مولى لرملة ابنة عثمان بن عفان رضي الله عنهما . له مصنفات عـــدة منها : كتاب في تفسير الموطأ وكتاب تسمية رجال الموطأ وهو كتاب المستقصية وكتاب فضائل العلم، وكتاب فضائل القرآن[1].

وتحتضـــن طليطلة الكثير من العلماء من غير المذكورين كان لهم مكانة ودور في العلوم الشرعية.

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٣، ص١٣٢-١٣٣.

المبحث الثاني

علوم اللغة والأدب :

اللغـــة العربية وآدابها هي الوسيلة الوحيدة لقراءة المصدرين الأساسيين للتشريع الإســـلامي والاستنباط منهما، ولذلك على كل مسلم إتقانها. وبهذا فإن ارتقائها في أي مجتمع إسلامي يكون بديهياً.

ولكـــن يظهـــر من خلال المعلومات الواردة عن علوم اللغة وآدابها أن مستوى الجانـــب اللغوي في طليطلة منذ بداية تاريخها الإسلامي كان ضعيفاً ولفترة زمنية. وذلك عـــائد لأن غالب السكان بها هم من البربر والمستعربين[1] ، بالإضافة لعدم وجود عوامل مساعدة لدعم الحركة العلمية اللغوية كدعم الحكام. كما أن انشغال السكان واهتمامهم بالعلوم الشرعية أثر على اللغة العربية.

وقـــد استمر هذا الحال إلى قيام مملكة بني ذي النون وخاصة في أولها، حين حكم إسماعيل بن ذي النون، فإلى جوار ما عرف عن هذا الحاكم من بخل وعدم بذل[2] ، فإنه لم يذكر عنه اهتمام بعلماء اللغة والشعر. كما أنه لم يرد شئ عن وجود أحد هؤلاء العلماء ببلاطه.

ولكن هذا الحال لم يدم فرغم أن هؤلاء الحكام هم من البربر أصلاً ، إلا أن بعض رجالهم كان له اهتمام باللغة والشعر وفنونها. ومن هؤلاء الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعـــيل بن ذي النون. فقد كان ممن ينظم الشعر ارتجالاً[3]. وأبرز من اهتم من بني ذي الـــنون حـــاكم مملكتهم المأمون يحيى بن ذي النون، الذي غير حال علوم اللغة والآداب بطلـــيطلة بطـــرق مختلفة. ومن هذه الطرق احتضانه للعلماء في بلاطه وبساتينه، ودعمه

---

(١) عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٤٠.

(٢) إحسان عباس : تاريخ الأدب، ص٧٤.

(٣) عـــبد الرحـــيم يوسف أحمد: الشعر والشعراء في مملكة طليطلة الإسلامية، مكتبة الآداب، القاهرة، ص١٥٤-١٥٥.

لـــبعض فـــنون اللغة كدعمه لمعارضة الشعراء لبعضهم شعراً ، وإغداقه الأموال عليهم، وتخصيص بعضهم بالرواتب[1].

ونـــتج عـــن هـــذا الاهـــتمام من قبل المأمون أنْ تواجد عنده عدد من الكتاب والشـــعراء في بلاطه وبساتينه ومخيماته ، ولم يقتصر الحاضرون منهم على كتاب وشعراء طليطلة بل قدموا إليه من مختلف الأقطار حتى أن أحد هؤلاء يرجع أصله لمدينة بغداد[2].

كمـــا أن هـــذا الاهتمام دفع عجلة التصنيف والتأليف في علوم اللغة والأدب، حيـــث صـــنف لـــلمأمون العديد من الكتب منها كتاب "الأغراب في رقائق الآداب"، وكـــتاب" مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار"، ورســـالة "في صـــفة الســـجن والمسجون والحزن والمحزون"، ورسالة أخرى سُميت بـــ "العشر كلمات"[3].

ولم تقتصـــر مؤلفـــات علماء طليطلة في هذه العلوم على ما صنف للمأمون، بل هنالك العديد من الكتب التي صنفها هؤلاء العلماء ومن تلك المصنفات: "نكت الكامل للمبرد" و "الرسالة المرشدة" ، و "عكس الرتبة في تهذيب الكنى" لابن الوقشي، وأعلام الكلام و "أبكار الأفكار" لمحمد بن شرف، و"شرح للجمل" لسعيد الرعيني[4].

ويـــبرز من خلال هذه الموضوعات أن مضمونها متميز، كتميز علماء طليطلة في إبـــراز بعض فنون اللغة كالموشحات وأدب النكبات وكتابة عقود الأمان. فالموشحات

---

(١) عـــلي بـــن ظافـــر الأزدي : بدائـــع البدائة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٣٠٩. المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص١٠٨-١٠٩-١١٠. إحسان عباس : تاريخ الأدب، ص٨٤-١١٠.

(٢) ابـــن بســـام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٧٠. ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج١، ص٣٢٤. ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٢. المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص١٠٨-١٠٩-١١٠.

(٣) ابـــن بســـام : الذخـــيرة ، ج٢-١، ص٧٧٠. أبي عـــبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار: إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر ، ط١، ١٣٨٠هـــ- ١٩٦١م، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشـــق، ص٢١٨-٢١٩-٢٢٠. عـــبد الرحيم يوسف: الشعر والشعراء، ص١٤٤-١٥٨. إحسان عباس: تاريخ الأدب، ص٧٤-٧٥.

(٤) يـــاقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج١٩، الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٢٨٦. الذهـــبي : تـــاريخ الإسلام ، ص٦٥. السيوطي : بغية الوعاة، ج٢، ص٣٢٧. خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بـــن خـــياط، تحقـــيق أكرم ضياء العمري، ط٢، ١٣٩٧هـــ-١٩٧٧م، دار القلم، دمشق ، بيروت، مؤسسة الرســـالة، بـــيروت ، ص٣٦. عبد الرحيم يوسف: الشعر والشعراء، ص١٥٩. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص٢٤٤.

ازدهرت في عهد ملوك الطوائف بالأندلس وكان لطليطلة نصيب في هذا الازدهار. وقد برز من طليطلة الشاعر أبو عبد الله محمد بن أرفع رأسه والذي بلغ في هذا الفن غايته.

ولأحـــوال طلـــيطلة السياســـية فقـــد ظهر ما يعرف بأدب النكبات ويقصد به مـــا يكتـــب مـــن شعر ونثر عن ما حل بالمدينة من أحوال رديئة وسيئة نتيجة الحروب والثورات.

وتلـــك الحالة السياسية كان لها دور آخر في بروز ما عرف بكتابة عقود الأمان. حيـــث ورد عن طليطلة وأهلها ثلاثة عقود أمان. عقدان للأمان لأهل طليطلة، وطلب للأمان من أهل طليطلة إلى بدر مولى الأمير عبد الرحمن الداخل. وعقود الأمان هذه تعد من موضوعات النثر في تلك الفترة[1].

ولمـــا كانـــت عليه علوم اللغة العربية من ضعف سابق ، كان لزاماً إيجاد وسيلة لعلاج هذا الأمر.

وقـــد تمثل علاجه بوجود مؤدبين ومعلمين للغة العربية، ولما لهذا الجانب من أهمية لتحسين مستوى اللغة العربية وآدابها فقد جلس بعض علماء طليطلة لإفادة السكان.

وبهـــذا الاهتمام فقد خصص للتعليم أماكن خاصة به، كان جامع طليطلة أولها. وقد شكل التعليم عن طريق حلقات العلم الشكل الأكثر تواجداً بطليطلة.

---

(١) لسان الدين ابن الخطيب : جيش التوشيح ، تحقيق هلال ناجي، أعد أصلاً من أصلية محمد ماضور، مطبعة المنار، تونـــس ، ص٧٣. فايـــز القيســـي : أدب الرســـائل، ص٧٣-١١٨. السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة، ص١٥٤. حكمة علي الأوسي : فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ط٢، ١٩٧٤م، مكتبة النهضة ، بغداد، ص٥٧.

ويظهـــر في جانـــب تعليم اللغة وآدابها أن هنالك اهتمام بالناشئة من حيث اتخاذ المؤدبـــين لهم[1]. وهذا يعد من عوامل النهوض العلمي بالناشئة. وكل هذا الاهتمام دفع عدد من علماء اللغة ممن لهم سمعة ومكانة للقدوم إلى طليطلة والاستقرار بها.

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحتى نصارى طليطلة اهتموا باللغة العربية ودراستها إلى أن أصبحوا يتحدثون اللغة العربية ، وهم من عرفوا بالمستعربين .

ولقـــد بـــرهن تحدثهم اللغة العربية واستخدامها الطويل والذي استمر حتى بعد ســـقوط طلـــيطلة مـــدى مـــا كانت عليه أجواء اللغة العربية وآدابها من تطور ومكانة بطليطلة[2].

ومـــن هـــذه المكانة عناية أهل طليطلة بعلوم اللغة العربية وفنونها، وتشمل هذه العلوم الأدب والنحو والبلاغة والشعر والموشح والخطابة والكتابة[3]. وقد برز من هذه العلـــوم والفـــنون الشـــعر بشكل لافت. فكما تنوعت العلوم اللغوية تنوعت مواضيع الشعر.

ومـــن هـــذه المواضيع : الوصف، والغزل ، والمدح، والاستعطاف ، والاعتذار، والزهد والوعظ، وحتى الرثاء الذي نالت منه طليطلة النصيب الأكبر.

---

(١) أبي بكـــر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي : طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر ، ص٢٦٥. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٣٦-٢٤٩، ج٢، ص٧٥٧-٧٥٨. البيرحبيب : الحركة اللغوية ، ص٤٩.

(٢) شـــكيب إرسلان : الحلل السندسية ، ج١، ص٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٤١. يوســـف عـــيد ويوســـف فرحات : معجم الحضارة الأندلسية، ط١، ٢٠٠٠م، دار الفكر العربي ، بيروت، ص٥٩-٦٠.

(٣) الزبـــيدي : طـــبقات الـــنحويين واللغويـــين ، ص٢٦٥. ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٦. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٣٦. لسان الدين ابن الخطيب : جيش التوشيح ، ص٧٣. خليفة خياط: تاريخ خليفة ، ص٣٦.

ولشــعر الوصف مجالات متعددة من وصف للمدينة وبساتينها ومعالمها، ووصف للمجالس، والمعارك وركوب البحر وغيرها.

ومن وصف طليطلة :

زادت طليطلة على ما حدثوا ‏ ‏ ‏ ‏ بلد عليه نضــارة ونعيــم

الله زينــه فوشــح خصــره ‏ ‏ ‏ ‏ نهر المجّــرة والغصون نجوم[1]

ولطليطلة وصف حين هدمت قنطرتها يقال فيه :

اضحت طليطلة معطلـــــة ‏ ‏ ‏ ‏ من أهلها في قبضة الصقــر

تركت بلا أهل تؤهلهــــا ‏ ‏ ‏ ‏ مهجورة الأكناف كالقبــر

ما كان يبقــى الله قنطــرة ‏ ‏ ‏ ‏ نصبت لحمل كتائب الكفر[2]

وكمــا وصــفت طليطلة فقد وصف أحد بساتينها وذلك في عهد الملك المأمون بن ذي النون :

يا منظراً إن نظــرت بهجتــه ‏ ‏ ‏ ‏ ذكرني حسن جنة الخلد

تراب مســك وجــدّ عنبرة ‏ ‏ ‏ ‏ وغيم ندٍّ وطلٌّ مــا ورد

والماء كالأزورد قد نظمــت ‏ ‏ ‏ ‏ فيه اللآلي فواغر الأســد

كأنما جائل الحبــاب بــــه ‏ ‏ ‏ ‏ يلعب في جانبيه بالنــرد

تــراه يــزهو إذ يحل بــــه ‏ ‏ ‏ ‏ القادر زهو الفتاة بالعقــد

تخاله إن بدا بــــه قمــراً ‏ ‏ ‏ ‏ تماً بدا في مطالع السعــد

كأنما ألبســت حدائقــــه ‏ ‏ ‏ ‏ ما حاز من شيمة ومن مجد

---

(١) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص١٦٨.

(٢) يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية ، ص٤١.

كأنما جادها وأمطرهـــــا بنائل من يمينه رغـــــد[1]

ومن الوصف ما قاله أحد الشعراء رافضاً لركوب البحر :

لا أركب البحر ولو أنني ضربت فيه بالعصا فانفلــق

ما إن رأت عيني أمواجه في فرق إلا ثناها الفـــرق[2]

وقال أحد الشعراء يصف بيته حين احترق :

تركت محلي جنة فوجدتـــه على حكم أيدي الحادثات جهنمـــا

لتصنع بي الأيام ما شئن آخر فما صنعت به أولاً كان أعظمـــاً[3]

أمـــا الغزل ذلك الموضع الذي لا يغيب عن أغلب الشعراء فلشعراء طليطلة باع فيه، ومن ذلك :

يا من حرمت وصاله أو ما ترى هذى النوى قد صعرت لي خدها

زود جفوني من خيالك نظـــرة فالله يعلـــم إن رأيتـــك بعدهـــا[4]

ومنه :

يا من أبى غير مراى حسنه النظر من بعد وجهك لاشمس ولا قمر

لا تحسبني إذا ماغبت مصطبـــرا فما على بعد ذاك الوجه اصطبر

طال انتظاري ، ولا وعد يعللـــي ولا كتاب، ولا رسل، ولا خبر[5]

ولقـــد شـــكل التصريح بالعشق والوله جانباً من مواضيع الغزل ومن ذلك قول الشاعر :

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج٢-٣، ص٨٩٤.

(٢) السيوطي : بغية الوعاة، ج٢، ص٣٢٧.

(٣) ابن بسام : الذخيرة، ج٢-٢، ص٨٠٤. ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص١٦٦.

(٤) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص٤٠٦. الضبي : بغية الملتمس ، ص٤٦٩-٤٧٠.

(٥) عبد الرحيم يوسف : الشعر والشعراء، ص١٥٦.

قفـــوا إنها سنـــة العاشقينــــا لنشكو للربع ما قـــد لقينـــا

ولا تنكروا بعهدهــــم وقفـــــة تفجر في العين عيناً معينـــــا[1]

كما قال آخر :

أعندكم علـــــم بأني متيــــــم وإلا فما بالُ المدامـــع تسجــم

وما بال عيني لا تغمض ساعـــة كأني في رعي الدراري منجـــم[2]

ومن شعر الغزل أيضاً:

هل منك حظ لنا يا أيها القمــــر فإنمـــا حظنا من وجهك النظـــر

رآك ناس فقالـــوا إن ذا قمــــــر فقلت: كفوا، فعندي منهما خبر

البدر ليس بغير النصـــف بهجتـــه حتى الصباح، وهذا كله قمـــر[3]

أمـــا مـــا قيل في مدح الحكام فللمأمون بن ذي النون وجهت الأبيات، لما وجده هـــؤلاء الشـــعراء مـــن مقدرة لديه واهتمام منه إليه : ومن هذه الأبيات العديدة قول الشاعر :

دعـــــوا الملوك وأبناء الملوك فمن أضحى على البحر لم يشتق إلى نهر

ما في البسيطة كالمأمون ذو كـــرم فانظر لتصديق ما أسمعت من خبر

يا واحداً ما عَلَى عُلْيـــاه مُخْتلـــف مذ جاد كفك لم نحتج إلى المطـــــر

ومذ طلعت لنا شمسا فما نظـــرت عين إلى كوكب يهـــدي ولا قمـــر[4]

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٧.

(٢) عبد الرحيم يوسف : الشعر والشعراء، ص١٢٧.

(٣) عبد الرحيم يوسف : المرجع السابق، ص١٥٣.

(٤) يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية ، ص٤١.

وقيل في المأمون أيضاً :

لا يشرب المـــاء مالم يحـــق حافتــه	حتى إذا قطرت أرماحـــه شربـــا
ولا يرد الحيـــا الطلـــق بغرتـــه	كالقرن عن يبرق حُلــبٍ خُلبـــاَ
ما بـــالُ بالي إذا سكنتـــه نفرت	عشارة وإذا كفكفتـــه انسربـــا
ألِلتبـــرم بالدنيـــا وزينتهـــا	أم البعيد من الآمال قـــد قربـــا
بهمة الملك المأمـــون حين غـــدا	إفضالها لتناهـــي همتـــي سببـــا
الواهب الألف لا عيناً ولا ورقـــاً	ولا عشاراً ولكـــن أنعمـــاً قُشبـــا
في جحفل كسواد الليل مرتكـــم	لكن أسنته صـــارت لـــه شهبـــا
كأنما نهج أنبوب الرمـــاح بـــه	ماقد ورثت من العليا أباً فأبـــا
قوم إذا ركبوا سدوا الفضاء وإن	حلوا توهمتهم في البيد رجل دبـــا
قد صيروا الحرب كأساً والدماء بها	خمراً وما جوفت من بيضها حببا[1]

ومن مدح المأمون تلك الموشحة التي تبدأ :

العود قد ترنـــم   بأبـــدع تلحـــين
وشفت المـــذانب   رياض البســـاتين

وتنتهي :

تخطر وليس تسلَّم   عساك المأمـــون
مروع الكتائـــب   يحيى بن ذي النون[2]

ولم يقتصر المدح على المأمون فقد نال حفيده القادر شيئاً منه :

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤ ، ص١١٢.

(٢) ابـــن سعيد الأندلسي : المقتطف من أزاهر الطرف ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، ١٩٨٣م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٥٦ . المقري : أزهار الرياض ، ج٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

يا منظراً إن رمقت بهجته	أذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجـو عنبـرة	وغيم ند وطش مـا ورد
والماء كالأزورد قد نظمـت	فيه اللآلي فواغر الأسـد
كأنما جائل الحبـاب بـه	يلعب في جانبيـه بالـنرد
تراه يزهى إذا يحـل بـه	القادر زهو الفتاة بالعقـد
تخاله إن بـدا لناظـره	تماً بدا في مطالع السّعـد
كأنما ألبسـت حدائقـه	ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها وأمطرهـا	بنائل من يمنه رغـد[1]

وكمـا أنـه لم يقتصر المدح على المأمون فهو لم يقتصر على حكام طليطلة. ومن ذلك مخاطبة أحد الشعراء للمظفر بن الأفطس :

أقمـت للعلم مناراً ومـا	أظن في الدنيا لعلم منـار
فما نداماك سـوى أهلـه	وكلهم بين ندامى العقـار
ميزك ميزان عقول الورى	وفهمك العدل لكل عيـار
تبدو لك الهجُنـة في لحظة	وتعرف الأسنان قبل الفـرار
من لفظهم تعرف ما هم وفي	جحفلة العاثر يبـدو العثـار
فما رأتك العين تصغى إلى	محال عجل سامري الخـوار[2]

ومـن شـعر الاستعطاف والإعتذار : قول أحد الشعراء يستعطف المأمون بعد سجنه له :

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج٢-٣، ص٨٩٤.

(٢) ابن بسام :المصدر السابق ، ج٢-٢، ص٦٤٣.

أزاح الدهر حلو الماء عني   على ظمأٍ وأسقاني زعاقه

وبالمرجو إن أظفر به من   رضا المأمون يحلى لي مذاقه

وناس لفني بهم شقـاء   ألم فزم في ساقـي سباقـه

ولم يك لي بـذاك العيرِ عَيْرُ   ولا بقطيع ذاك الذود ناقه

وربتما استحال السعد نحساً   فذاق المعتدي مما أذاقـه

وأعمى عين أهدى من قطاة   وشد بمثل مفحصهـا وثاقه

إذا صار الهلال إلى كمـال   وتم بهـاؤه فارقـب محاقـه

وإن عبوس هذا الدهر يأتي   على اثـر البشاشة والطلاقة

أضاع الدهر من علق فهمٍ   إذا نظر المميز منـه راقـه

وأي فتى لتقـديم الأيـادي   لديه وأي عبـد للعتاقـة [1]

وقـد نالت هذه القصيدة رضى المأمون واستعطافه وهي قصيدة طويلة. ولما لهذه القصـائد من خلاص لقائلها، فقد قال أحد الشعراء المسجونين من قبل المأمون يستنجد بابن هود لتخليصه من سجنه :

أيا راكب الوجناء بلغ تحيـة   أمير جُذام من أسير مقيد

غريب عن الأهلين والدار والعلى   فريد وكم أبصرته غير مفرد

تلوذ به الأعلام تحـت ركابـه   وتلثم منه الركاب وفي اليد[2].

وإلى جوار الاستعطاف كان هنالك الاعتذار، ومنه ما قاله أحد الشعراء يعتذر لمن أساء لهم بصورة عامة :

---

(١) ابن الآبار :اعتاب الكتاب ، ص٢١٨-٢١٩.

(٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٠.

عظم الخطاء فهل تُقيلُ   يا سيدي ، أو ما تقولُ ؟

أنت العزيز بهفــــوتي   وأنا بها العبد الذليـــل

والله لو أنـــي استطعـــــ   ـت لما بدت مني فضول

ولما رأى مني الصديـــــ   ـق سوى قوام لا يميـــل

ولسان صـــدق لا يـــزو   ل من الصواب ولا يحول

فأبت علـــى الكـــأس إلْ   لا أن يداخلني الذهـــول[1]

ومـــن موضـــوعات الشعر: شعر الزهد والوعظ. ولم يكن هذا الموضوع قليل التـــناول خاصة ونحن نعلم أن من خصائص أهل طليطلة اهتمامهم بشأن تقويم المجتمع . ومن قصائد هذا الموضوع :

يهددني بمخلوق ضعيــف   يهاب من المنية مـــا أهـــاب

وليس إليه محيـــا ذى حياة   وليس إليه مهلك من يصاب

له أجل ولي أجـــل وكـــل   سيبلغ حيث يبلغه الكتـــــاب

وما يدري لعل الموت منـــه   قريب أينا قبـــل المصـــــاب

لعمرك ما يرد الموت حصن   إذا جاء الملوك ولا حجـــاب

لعمرك إنَّ محياي وموتي   إلى ملك تذل له الصعـــــاب

إلى مالك يدوخ كل ملـــك   وتخضع من مهابته الرقـــاب[2].

ومن أبيات الزهد :

أنظر الدنيا فإن أبصرتها شيئـــاً يـــدوم

(١) عبد الرحيم يوسف : الشعر والشعراء، ص١٥٢.

(٢) الضبي : بغية الملتمس ، ص٣٨٧.

فإغدُ منها في أمان   إن يساعدك النعيم

وإذا أبصرهًا منك على كـــره همـيـــــم

فأرسل عنها واطرحها   وارتحل حيث تقيم[1]

ومن شعر الوعظ قول الشاعر :

أيا مَنْ غدا جاهلاً ناسكا   إن أحببت ألا ترى هالكا

فأُمَّ إمام الهدى مالكــــا   ولاتكُ مذهبـــه تاركـــــا

فمذهبه ناشر من كفـــن   لمن كان في جهله قد دفـــن

إلا هي يا من إليه القضـــا   عبيدك يأمل منك الرضـــا

ويستغفر الآن عما إنقضى   فهبه له واغتفر ما ماضى

وخلصه من موبقات الفتن   لدى حشره مع أهل السنن[2]

والموضـــوع الـــذي لا يمكن إغفاله في الشعر الطليطلي هو الرثاء وخاصة رثاء طليطلة، فقد قيل في طليطلة بعد سقوطها :

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس   فما المقام بهـــا إلا من الغلـــط

السلك ينثر من أطرافه وارى   سلك الجزيرة منثوراً من الوسط

من جاور الشر لم يأمن عواقبه   كيف الحياة مع الحياة في سفط[3]

وقـــد قـــيل في رثـــاء طليطلة قصيدة طويلة مكونة من عدة أبيات وهي لشاعر مجهول منها:

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج٤، ص١٩٥.

(٢) أحمـــد بـــن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه (السلفي) : أخبار وتراجم أندلسية، أعدها وحققها إحسان عـــباس ، ط٢، ١٣٩٩هــ-١٩٧٩م، دار الثقافة، بيروت ، لبنان، ص٧٠-٧١ [مستخرجه من معجم السفر للسفلى (-٥٧٦)].

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥، ص٢٧-٢٨.

لثكلك كيف تبتسم الثغور سروراً، بعدما سبيت ثغور ؟

أما وأبي مصاب هد منه ثبير الدين ، فاتصل الثبور

لقد قصمت ظهور حين قالوا أمير الكافرين له ظهـــور

ترى في الدهر مسروراً بعيش مضى عنا لطيته الســـرور

أليس بها أبّي النفس شهـــم يدير على الدوائر إذ تدور

لقد خضعت رقاب كن غلبا وزال عتوها، ومضى النفور

وهان على عزيز القوم ذل وسامح في الغريم فتى غيور

طليطلة أبـــاح الكفر منها حماها ، إن ذا نبأ كبيـــــر

فليس مثالها إيوان كسرى ولا منها الخورنق والسدير

ومن آخر القصيدة :

يوسع للذي يلقاه صـــدراً فقد ضاقت بما تلقى الصدور

تنغصت الحياة فلا حيـــاة وودع جيرة إذ لا مجيـــــر

فليل فهي هـــم مستكـــن ويوم فيه شر مستطيـــــر

ونرجوا أن يتيح الله نصراً عليهم إنه نعم النصيــــــر(١)

ومن أبرز علماء علوم اللغة والنحو بطليطلة :

جودي بن عثمان النحوي العبسي : أصله من طليطلة. كانت له رحلة علـــم إلى المشرق.

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج٤، ص٤٨٣. عبد الله بن محمد الزيات: رثـــاء المـــدن في الـــشعر الأندلـــسي، ط١، ١٩٩٠م، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ص٦٧٠-٦٧١-٦٧٢-٦٧٣.

وهـــو أول مـــن أدخل كتاب الكسائي للأندلس، وله تصنيف في النحو يسمى "منبه الحجارة" . ولجودي حلقة تعليم، كما أنه لفضله كان يؤدب أولاد الخلفاء. وكانت وفاته في عام ١٩٨هـــ-٨١٣م[١].

سـعيد بـن عيسـى بن أحمد بن لب الرعيني : كنيته أبو عثمان ويعرف بالقّريّ وبالأصغر. برع في النحو والأشعار واللغة، وله تأليف في شرح للجُمَل، وقد استفاد من رحلاتــه داخــل الأندلــس، وجلس لإفادة الناس كما استفاد. وكانت وفاته في سنة ٤٦٢هـــ-١٠٦٩م[٢].

محمــد بــن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري : كنيته أبو عبد الله ، ويعرف بابن شق الليل.

من علماء النحو واللغة ، تميز بحسن الخط وكثر التصانيف، وله شعر يذكر. توفى في عام ٤٥٥هـــ-١٠٦٣م[٣].

نجـدة بـن سـليم بن نجدة الفهرى : كنيته أبو سهل . من معلمي اللغة العربية بطليطلة واشتغل في جمع الشعر. وقد توفى بعد سنة ٤٧٥هـــ-١٠٨٢م[٤].

هشـام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد الكناني : كنيته أبو الوليد، ويعرف بابن الوقشي. كان له إلمام بالعديد من العلوم ومن ضمنها علوم اللغة العربية. ومن علوم اللغة التي برع فيها النحو والشعر والخطابة والعروض والكتابة والبلاغة. ومن مصنفات ابـن الوقشـي كتاب "نكت الكامل للمبرد" و "الرسالة المرشدة" و "عكس الرتبة في تهذيب الكنى" .

---

(١) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج١، ص٢٤٩.

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٢١٨. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٦٥.

(٣) السيوطي : بغية الوعاة، ج١، ص١٥.

(٤) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج٢، ص٧٥٧-٧٥٨.

وقد تولى ابن الوقشي قضاء طلبيرة ، وتوفى بمدينة دانية يوم الاثنين ودفن يـــوم الثلاثاء لجمادى الآخرة من سنة ٤٨٩-١٠٩٦م[١].

وبابن الوقشي يختتم نظم عقد علماء اللغة والنحو . أما علماء الأدب فمنهم:

إبراهيم بن لب بن إدريس التجيبي : كنيته أبو إسحاق ويعرف بالقويدس وهـــو من أهل قلعة ايوب، وقد استوطن طليطلة.

من كبار علماء اللغة العربية، وقد كان يعلم الأدب والنحو في ســـقيفة جـــامع طليطلة.

وكانت وفاته رحمه الله ليلة الأربعاء السابع والعـــشرون مـــن رمـــضان ســـنة ٤٥٤هـــ-١٠٦٢م، وله من العمر خمسة وأربعين عاماً[٢].

إبراهيم بن وزمر الصنهاجي : كنيته أبو إسحاق. أولع بعلوم التـــاريخ والآداب. كان يعمل لدى المأمون بن ذي النون. وقد ألف له كتاب "مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار"[٣].

أحمد بن نعيم : عرف بالعلم بعلم العربية، والبروز في صناعة الشعر. كما له حظ في البلاغة.

وقد علم أحمد بن نعيم بمدينتي طليطلة وجيان[٤].

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج٢، ص٦١٧-٦١٨. ياقوت الحموي : معجـــم الأدبـــاء، ج١٩، ص٢٨٦-٢٨٧. السيوطي : بغية الوعاة، ج٢، ص٣٢٧. خليفة خياط : تاريخ خليفة، ص٣٦.

(٢) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٣٦.

(٣) عبد الرحيم يوسف : الشعر والشعراء، ص١٥٨.

(٤) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، ص٢٦٥.

عـــبد الرحمن بن فتوح : كنيته أبو المطرف ويعرف بابن صاحب الاسفيريا. وهو مـــن مشاهير الأدباء، وله شعر كثير كما له تصنيف في الأدب سماه "الإغراب في رقائق الآداب" وقد أهداه إلى المأمون بن ذي النون[1].

عـــبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي : كنيته أبو محمد، ويعرف بابن العسال. شـــاعر أديـــب لغوي زاهد واعظ. استقضى بمدينة طلبيرة، وكان يقيم بطليطلة إلى أن سقطت في يد النصارى حيث تركها لمدينة غرناطة.

وهو صاحب الأبيات الشهيرة التي قال في أولها :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فمـــا المقام بها إلا من الغلـــط

وكانت وفاته في عام ٤٨٧هـــ، وله من العمر ثمانين عاماً[2].

محمـــد بـــن أرفع رأسه : كنيته أبو بكر. من شعراء طليطلة وبرز في فن التوشيح حتى أن له موشحات يغنى بها في بلاد المغرب.

وهـــو مـــن الشـــعراء الذين كان لهم حضور لدى المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة[3].

محمـــد بـــن شرف : كنيته أبو عبد الله . استقر لدى المأمون بن ذي النون. وبرز ككاتب وأديب بجوار الشعر والنثر.

لـــه العديـــد من المصنفات منها "اعلام الكلام" و "أبكار الأفكار" . ويذكر أنه حاول تجديد النثر بالأندلس عن طريق إدخال فن المقامات ، مقتدياً بالعالم الهمداني[4].

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج٢-١، ص٧٧٠.

(٢) أحمد السلفي : أخبار وتراجم اندلسية، ص٧٠-٧١. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص٥٩-٦٠.

(٣) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٨. ابن سعيد الأندلسي : المقتطف من ازاهر، ص٢٥٦.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ج١-٤، ص١٧٠. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص٢٤٤.

محمد بن القاسم بن محمد بن إسماعيل بن هشام الأموي المرواني : هو صاحب ديوان الإنشاء بطليطلة، وكان له تواجد في الرسائل والآداب تواجد بالغ الشهرة[1].

وبابن القاسم يختتم ذكر ابرز علماء اللغة والنحو والأدب بطليطلة.

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام، ص١٦٤-١٦٥.

المبحث الثالث

العلوم الإنسانية :

كما كان عليه الإنسان الطليطلي من اختلاف في الأجناس وتميز ونبوغ، فقد كانت العلوم الإنسانية كذلك.

تنوعت مجالاتها من تاريخ وجغرافيا وتراجم وأنساب وآثار ومنطق. وتميزت في إبراز بعض جوانب العلوم كالتاريخ الخاص بالعلوم، بجوار نبوغ علمائها . ولكل من العلوم الإنسانية بطليطلة سيرة خاصة. فعلم التاريخ تمثل في عدد من الإخباريين الذين يقومون بنقل الأخبار من حوادث وسير. وفي عدد آخر من المولعين بعلم التاريخ[1]. وكلا هذان الصنفان يضافان لعلماء التاريخ بالمدينة.

هؤلاء العلماء الذين كان لهم تميز يفوق ما قام به أمثالهم في المدن الأخرى، وقد حاز بعضهم ميزة الأولية فيما أظهروه من جوانب جديدة في علم التاريخ. ومما برز فيه بعض مؤرخي طليطلة، قيام أحدهم بالرد على كبار التصانيف التاريخية، وكأنه يقيمها. وهذا العمل يظهر مدى ما وصل إليه هذا المؤرخ من علم وتمكن منه. كما سُجل لأحد مؤرخي طليطلة الفضل في ظهور فن تاريخ العلوم[2].

---

(١) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٣. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٣١. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية ، ص٣٣٣.

(٢) خليفة خياط : تاريخ خليفة ، ص٣٦. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٤٧.

ولمؤرخي طليطلة إنتاج كبير في جانب التصانيف والمؤلفات ومن هذه المصنفات: "طبقات الأمم" ، و "مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار" ، و "بلغة المستعجل في التاريخ" ، و"تاريخ تلمسان"[1].

وعلم التاريخ هذا ارتبط به علم آخر هو أرض أحداثه ووقائعه، ألا وهو علم الجغرافيا. ولم تكن الجغرافيا في تلك الفترة مستقلة بذاتها بل منظمة لعلم التاريخ، وقد شكلت مقدمة كتب التاريخ وورود بعض الإشارات الجغرافية صور تواجد هذا العلم. ورغم هذا فقد كان لأحد جغرافي مملكة طليطلة فضل الأسبقية كفضل مؤرخها. وتمثل ذلك في ظهور فن الجغرافيا الفكرية[2].

وعلم الجغرافيا على عكس علم التراجم الذي فاقه بالتفرد كعلم مستقل بذاته. فتفرد بمصنفاته، واعتمد على انتاجه من أتى فيما بعد من علماء التراجم والسير[3]. وقد تدرجت تناولات علم التراجم بطليطلة من خاص كمن كتب عمن لقيهم أو عن رجاله، إلى عام كمن ترجم عن حكام طليطلة ورؤسائها وفقهائها وقضاها، ثم إلى أعم كمن ترجم عن علماء العرب والعجم.

---

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ط١. مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مج١، مكتبة المثنى ، بغداد، ص٢٥٢-٢٨٩. محمد عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص١٠٦. حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين ، ص١٥١. إحسان عباس : تاريخ الأدب ، ص٧٥.

(٢) ابن الآبار : الحلة السيراء، ج٢، ص١٠. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٢٧. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيين ، ص٢٣-٢٤.

(٣) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٧٢-٧٣. حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١، ص٤٢٠.

وهــذه التــناولات ظهرت في مصنفات طليطلة ومنها : "التعريف بأخبار علماء الأمــم من العرب والعجم" و "جامع أخبار الأمم" و "تاريخ الحكماء" و "كتاب تسمية رجاله الذين لقيهم" و "المكنون في ترجمة ذي النون"[(١)].

وهــذا التــنوع في كل من الفروع السابقة للعلوم الإنسانية تواجد أيضاً في علم الأنساب والآثار. فعلم الأنساب شمل الأنساب عامة كأنساب العرب ، وأسماء الرجال، وأسمــاء نقلة الأخبار . وعلم الآثار شمل أيضاً العلم عامة وآثار الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة[(٢)].

وإلى جــوار هذه العلوم فقد أبدع الطليطليون في علم المنطق والفلسفة بين معتني به وطالب له ومشارك فيه ومشرف عليه[(٣)].

كمــا أن هــذا المجال العلمي وجد دعماً من بعض الحكام بالأندلس ، وخاصة المــأمون بــن ذي النون[(٤)]. وكما كان للتعليم داخل طليطلة أثره على العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، فقد أثر على العلوم الإنسانية.

---

(١) ابــن بشكوال : كتاب الصلة ، ج٢، ص٤٨٧. جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي : تأريخ الحكماء وهــو مختصــر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، يطلب من مكتبة المــثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر، ص١٩٠. المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص١٧٣. حاجي خليفة : كشف الظنون، ج١، ص٣١١-٣٢٩-٤٢٠.

(٢) ابــن بشــكوال : كتاب الصلة، ج٢، ص٦١٧-٦١٨. ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج١٩، ص٢٨٦. ابــن الآبــار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٣٦٥. الذهبي : تاريخ الإسلام، ص٥٠٣. شكيب ارسلان: الحلل السندسية ، ج٢، ص٦.

(٣) صــاعد الأندلسي : طبقات الأمم، ص١٧٩-١٨٠-٢٠٤-٢٠٥. أبو محمد الرشاطي : الأندلس في اقتباس، ص٩١. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٢١٨. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٦.

(٤) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف ، ص٤٤٠.

وقــد حازت العلوم الإنسانية في جانب التعليم حلقة داخل جامع طليطلة كبقية العلوم[1].

كما حازت العلوم الإنسانية مكانة من اهتمام المأمون بن ذي النون ، بل وشغفه ببعض علومها كالفلسفة.

ولمــا للمأمون من دور كبير في الحركة العلمية بطليطلة، فقد تجمع حوله وخدمه عدد من علماء هذا المجال.

ولاهتمامه بهم وبعلومهم فقد صُنف له عدد من الكتب وأهدي عدد آخر . ومما صنف للمأمون كتاب "مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار" وصُنف عنه وأهله كتاب "المكنون في ترجمة ذي النون" . ومما أهدي للمأمون كتاب من المؤرخ المشهور ابن حيان من أحد كتبه التاريخية يسمى "المتين"[2].

هــذه الأجــواء العلمية الصحية جعلت هؤلاء العلماء يبدعون ويتميزون. ومما أبدعــوا فــيه وتميزوا إظهارهم لفني تاريخ العلوم والجغرافيا الأدبية أو الفكرية. كما أن أحداث هذه المدينة – في عهد صاعد الطليطلي– كان لهم اهتمام كبير بالفلسفة وطلبها، مما جعلهم ينالون منها حظاً وافراً[3].

---

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص١١-١٢. محمد عنان : دولة الإسلام ، ج٢، ص١٠٦.

(٢) ابــن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٣. حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١، ص٣١١-٣٢٩. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص١٤٥-٤٤٠. إحسان عباس : تاريخ الأدب ، ص٧٥.

(٣) صــاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص١٧٩-١٨٠. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٢٧. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٤٧.

وهـــذا التمـــيز والإبداع دعمه اعتماد كثير من العلماء بالأخذ من مصنفاقم[1].
ولكـــل هذه العلوم والمصنفات علماؤها الذين يشكلون علماء العلوم الإنسانية بطليطلة ومن أبرزهم من المؤرخين :

إبراهـــيم بن محمد بن الحسين الأموي : كنيته أبو إسحاق، ويعرف بابن شنظير . مـــن مؤرخـــي طليطلة، وفقهاء المالكية بها. له العديد من المصنفات التاريخية والفقهية، ومصـــنفه الـــتاريخي هـــو "تاريخ رجال الأندلس" .توفى ابن شنظير في عام ٤٠٢هـــ-١٠١١م[2].

إبراهـــيم بن وزمّر الصنهاجي الحجاري : كنيته أبو إسحاق ، وينادى بالأديب. أولع بعلم التاريخ والآداب. وله مصنف تاريخي أهداه للمأمون بن ذي النون الذي يخدم عـــنده، وسمـــى المصنف بـــ "مغناطيس الأفكار فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار"[3].

أحمـــد بـــن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصاري : كنيته أبو جعفر . مؤرخ ثقة فيما يرويه. سمع من العديد من العلماء وروى عن مثلهم.

وله كتاب في تاريخ فقهاء طليطلة وقضاها. وهذا الكتاب نقل منه ابن بشكوال الكثير مما نسبه إليه. وفي مقدمة الكتاب معلومات جغرافية قيمة. توفي في عام ٤٨٩هـــ-١٠٩٥م[4].

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٧٢-٧٣.

(٢) خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج١، ط٨، تموز (يوليو) ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، ص٦١.

(٣) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، ج٢،ص ٣٣. عبد الرحيم يوسف : الشعر والشعراء ، ص ١٥٨ .

(٤) ابـــن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٧٢-٧٣. لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقـــيق محمد عبد الله عنان ، ط٢، ١٣٩٣هـــ-١٩٧٣م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص٨٣. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيين ، ص٢٣-٢٤.

سعيد بن عيسى الأصفر: كنيته أبو عثمان. له مشاركة في المنطق، كما أنه كتب الأخبار. ومن مصنفاته "تاريخ تلمسان" مشاركة مع أحد العلماء. وقد توفي قرابة عام ٤٦٠هـ-١٠٦٧م[١].

سليمان بن حسان : المعروف بابن جلجل ، من كبار أطباء الأندلس. أطلّع على علوم الأوائل وأخبارهم، وهذا الأمر دفعه إلى تصنيف كتاب تاريخي ، أطلق عليه عنوان "تأريخ الحكماء" . ورغم أنَّ هذا المصنف صغير وقليل المعلومات إلا أنه حسن الأيراد[٢]. وهو كتاب مطبوع ومتداول.

صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي : كنيته أبو القاسم، ويعرف بصاعد الأندلسي أو القاضي صاعد. وهو من أشهر مؤرخي العلوم في الأندلس. ولد صاعد في عام ٤٢٠هـ-١٠٢٩م بمدينة المرية وأكمل تعليمه بطليطلة وولي قضائها. وقد توفي صاعد في عام ٤٦٢هـ-١٠٧٠م بعد إبرازه لمجالات كثيرة في العلوم الإنسانية، وخاصة إبرازه لتاريخ العلوم والبحث العلمي – وهذا كله خلال ٤٢ سنة من حياته في هذه الدنيا.

ولصاعد العديد من المصنفات المتنوعة المجالات وهذه المصنفات هي : كتاب "طبقات الأمم" وهو كتاب صغير الحجم كثير النفع ألفه صاعد في عام ٤٦٠هـ-١٠٦٧م ، وكتاب "التعريف بأخبار علماء الأمم من العرب والعجم" ، وكتاب "جامع أخبار الأمم" ، و "صوان الحكم في طبقات الحكماء" ، و "مقالات أهل الملل والنحل" وكتاب "إصلاح حركات النجوم" وهو في علم الرصد، وكتاب "تاريخ الإسلام" .

---

(١) ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٢١٨. حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١، ص٢٨٩.

(٢) جمال الدين القفطي : تأريخ الحكماء ، ص١٩٠.

ولا يوجـد مـن هـذه الكتـب الآن سوى كتاب طبقات الأمم وهو كتاب مطبوع[1].وربما تبقى البعض مخطوطاً في بعض دور المخطوطات في المغرب وأسبانيا.

عبد الله بن إبراهيم الحجاري : مؤرخ وجغرافي كبير. كان له الفضل في تحديد ما يسمى بالجغرافيا الأدبية أو الفكرية.

ومـن مصـنفات الحجـاري كـتاب "المسهب" الذي اعتمد فيه على معايناته ومشاهداته ، وكتاب "وشي الطرس في جلي جزيرة الأندلس" .

وقد كان للحجاري في الجانب الجغرافي دور ومكانة رفيعة[2].

محمد بن حزم بن بكر التنوخي: يعرف بابن المديني. اهتم بآثار الرسول صلى الله علـيه وسـلم. وحـين رحل للمدينة المنورة تتبع هذه الآثار، ونقل معلومات عنها إلى الأندلس وبخاصة عند بنائه داراً بالأندلس على طريقة دار مارية أم إبراهيم سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

محمـد بن فرج بن عبد الله بن أبي نصر الحميدي الأندلسي : كنيته أبو عبد الله ، مؤرخ . له مصنف سماه "بلغة المستعجل في التاريخ" . ولا يرد عن هذا العالم سوى هذه المعلومة بالإضافة لوفاته سنة ٤٤٨هـ-١٠٩٥م[4].

أمـا بالنسـبة للجغرافـيين بطليطلة فهم ضمن علماء علم التاريخ كابن مطاهر والحجاري.

وعن العلوم الإنسانية الأخرى كعلم المنطق والفلسفة يبرز عدد من العلماء منهم: إسحاق بن قسطار : خادم الموفق مجاهد العامري وابنه إقبال الدولة علي. له مشاركة في

---

(١) صـاعد الأندلسـي : طبقات الأمم، ص١١-١٢-١٤-١٥. المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص١٧٣. حاجي خلـيفة : كشف الظنون ، ج١، ص٤٢٠، ج٢، ص٦١٠. خير الدين : الاعلام ، ج٣، ص١٨٦. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٤٧-٢٤٩.

(٢) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف ، ص٤٢٧.

(٣) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٣٦٥.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون ، ج١، ص٢٥٢.

عـــلم المـــنطق ومشرف على آراء الفلاسفة ، وهو من أحبار اليهود. توفي بطليطلة سنة ٤٤٨هــ-١٠٥٦م وله من العمر ٧٥سنة(١).

هشـــام بـــن خالد الكناني : كنيته أبو الوليد، ويعرف بالوقشي. عالم متبحر في مخـــتلف العلـــوم، المختصة منها بالعلوم الإنسانية علم المنطق وعلم السير وأخبار العرب وعلم الأنساب.

وقـــد وصـــل لدرجة عالية في الجانب العلمي يُنبي عنه قيامه بالردود على كبار التصانيف التاريخية والأدبية.

اعتـــلى كرسي قضاء طلبيرة، وتوفي بدانية في يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة من عام ٤٨٩هــ-١٠٩٦م، وعن عمر بلغ ٨١ عاماً(٢).

ورغم قلة المعلومات في العلوم الإنسانية هذه إلا أن علماء طليطلة في هذا الجانب سطروا لهم سطوراً في كل كتب العلوم القديمة والحديثة.

---

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) أبو محمد الرشاطي : الأندلس في اقتباس، ص٩١. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج٢، ص٦١٧-٦١٨. ياقوت الحمـــوي : معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٦. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٦. خليفة خياط: تاريخ خليفة ، ص٣٦.

المبحث الرابع

العلوم العقلية :

إن ازدهـــار العلـــوم التطبيقية سبب رئيسي في التقدم الصناعي والتقني ، وتقوم دراستها على المشاهدة والتجربة والتحقق العلمي الملموس.

فـــالفلك والطـــب والكيمـــياء والهندسة والفلاحة كلها علوم تطبيقية لا يمكن الاعتماد فيها على الجانب النظري فقط.

وهـــذه العلوم التطبيقية هي العلوم الأبرز بطليطلة، كما أن تواجدها بطليطلة هو الأبـــرز بـــين مدن الأندلس. ويعود ذلك للبحث والاختراع والاكتشاف وشدة الصبر وطرق التأليف والتصنيف وطرق المعالجة المتطورة التي اتصف بها علماء طليطلة بالإضافة للأجواء المناسبة للعلوم التطبيقية والتعليم التطبيقي والتجارب والاعتماد الذاتي بالمدينة.

فعـــلم الفلك – الذي يحتاج له المسلمون كثيراً في معرفة أوقات الصلاة والصيام والحج – ذلك الميدان الذي توسع به علماء المسلمين يتضح من خلاله الصفات السابقة وأولهـــا شدة صبر علماء الفلك بطليطلة. فعند النظر إلى ابن الزرقيال نجده قام بـــ٤٠٢ رصد للشمس استغرق منه ٢٥ سنة ، حين كان يبحث في البعد الأقصى للشمس وأوج أشعتها[1].

---

(١) خـــوان فـــيرني وخوليو سامسو : تطورات العلم العربي في الأندلس، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج١، ط١، ١٩٩٧م، مركـــز دراســـات الوحـــدة العربـــية، بيروت، ص٣٧٩-٣٨٠. خوليو سامسو: العلوم الدقيقة في الأندلـــس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج٢، ص١٣٣٥. زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغـــرب، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط٢، ١٩٦٩م، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، ص١٥٢. غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٤٦٢.

ولهذا الصبر دور كبير في ظهور العديد من المصنفات المختصة بعلم الفلك ومنها: كتاب "طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلاكها" ، وكتاب "الأفق" و "رسالة في طريقة استخدام الصفيحة المشتركة لجميع العروض" وكتاب "الصفيحة"، وكتاب " العمل بالصفيحة الزيجية" ، وكتاب "التدبير" ، وكتاب "المدخل إلى علم النجوم"وغيرها[1].

وكما هو المدخل في هذا الكتاب الأخير، فالمدخل الذي أدى إلى نهوض علم الفلك بالأندلس كان مع دخول المسلمون إليها.

ثم أخذ علم الفلك في التطور من ساكني الأندلس أنفسهم، وبالنسبة للفلكيين الطليطليين فقد كان نهوضهم وتطورهم – كما يظهر – نابع من مدينتهم حيث تأديبهم وتعليمهم وحتى رصدهم معتمد على ما بطليطلة من مؤدبين ومعلمين وعلى مرصدها أيضاً[2].

ونتيجة لكل ذلك فلم يكن نتاج طليطلة الفلكي مقتصر على تلك المصنفات بل تجاوزها إلى العديد من الإنجازات من اكتشافات وأجهزة فلكية.

فالأجهزة الفلكية تمثلت في عدد من أجهزة الصفيحة والإسطرلاب . وأبرز من أبدع في هذه الأجهزة هو العالم ابن الزرقيال. فله الحلقة وصفيحته المشهورة والصفيحة العبادية والصفيحة الشكازية. ولكل جهاز من هذه الأجهزة الفلكية سيرة خاصة به.

---

(١) خير الدين : الاعلام ، ج١، ص٧٩. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف ، ص٤٤٨. سعد عبد الله البشري : ترجمة الكتب العربية، مجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى، العدد الثاني ، ١٤٠٩هـ، ص٩٨. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٦٤.

(٢) أحمد تيمور باشا : أعلام المهندسين في الإسلام ، ط١، ربيع الثاني ١٣٧٧هـ– نوفمبر ١٩٥٧م، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، القاهرة ، ص٣٦. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص٢٦٠. الفلك في العصور الوسطى : دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب ٤٣، مج١، ١٩٥٩م، مطابع الشعب، ص١٥٣. غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٤٥٦.

فالحلقة طورت عن الاسطرلاب الموصوف من قبل العالم بطليموس في الجزء الأول مـــن الكتاب الخامس من مجلد المجسطي ، حيث زاد عليها ابن الزرقيال ستة حلقات إلى حلقاتها.

وقـــد كتـــب ابن الزرقيال رسالة عن صناعتها، وأفاد بأنها تفيد في تعيين خطوط الطول والعرض للشمس والقمر والكواكب والنجوم[1].

أما صفيحة ابن الزرقيال المشهورة فرغم إيجازها إلا أنها شملت كل بديع من علم الحركات الفلكية.

ولذلك فإنها نالت انتشاراً واسعاً حيث وصلت إلى علماء المشرق والمغرب، وقد حظيت هذه الصفيحة بأهمية كبيرة وعرفت بالاسطرلاب الزرقيالي[2].

وكصـــنع ابن الزرقيال لصفيحته فهو الذي صنع الصفيحة العبادية. وقد سميت بذلـــك لأنها أهديت للمعتمد بن عباد ملك أشبيلية وهو ابن ثمان أو تسع سنوات وهذه الصـــفيحة مكونـــة مـــن وجهين : وجه عليه شبكة مزدوجة من الإحداثيات الاستوائية والـــبروجية ومسطرة دالة على الأفق ، أما الوجه الآخر فعليه مقياس بروجي، واسقاط للكرة السماوية، وربعية جيبية ورسم تخطيطي . والصفيحة الشكازية هي نسخة مبسطة للصفيحة العبادية[3].

---

(١) خوليو سامسو : العلوم الدقيقة، الحضارة العربية، ج٢، ص١٣٢٦.

(٢) جمـــال الديـــن ابي الحسن علي بن الاشرف يوسف القفطي : كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ١٣٢٦هـــ، مطبعة السعادة، مصر، ص٤٢. زيغريد هونكة: شمس العرب ، ص١٥٢.

(٣) خوليو سامسو : العلوم الدقيقة ، الحضارة العربية، ج٢، ص١٣٢٧-١٣٢٨.

ولم يكن ابن الزرقيال هو الوحيد في صنع هذه الآلات فهنالك إبراهيم بن سعيد الموازيـــني السهلي. وقد صنع إبراهيم أسطرلابين : الأول منها في عام ٤٥٩هـــ، والثاني في عام ٤٦٠هـــ. وهذين الاسطرلابين موجودين في متحف طليطلة[١].

وبالإضافة لإبراهيم السهلي فهنالك علي بن خلف صاحب الاسطرلاب المأموني، وسمى الاسطرلاب بهذا الاسم لأنه أهدي إلى المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة . وقد صـــنع هـــذا الاسطرلاب في عام ٤٦٤هـــ. ومقدمة هذا الاسطرلاب مكونة من شبكة وحـــيدة من الاحداثيات التي ركب عليها عنكبوت دوّار، وهذا الاسطرلاب مكون من نصفين : الأول منها شبكة من الإحداثيات، والثاني إسقاط عدد من النجوم.

وكما نالت صفيحة ابن الزرقيال من شهرة وانتشار في المشرق والمغرب، فقد نال اسطرلاب علي بن خلف نفس الشهرة[٢].

ولم يقتصـــر إبداع علماء طليطلة الفلكيون على الأجهزة بل توصلوا إلى حقائق واكتشافات فلكية. ومن هذا ما يلي :

١- أن الكواكب تدور في مدارات بيضاوية إهليلجية.

٢- إثبات أن حركة ميل أوج الشمس هي ١٢,٠٤ ثانية بالنسبة للنجوم الثابتة. وهذا الإثبات هو الإثبات الأول بين جميع الإثباتات ، واللافت للنظر هنا أن هذا الحساب مقارب للرقم الصحيح والمسجل بـــ ١١,٠٨ ثانية[٣].

---

(١) محمـــد عـــبد العزيـــز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت ، لبنان ، ص١٧١-١٧٤.

(٢) خوليو سامسو : العلوم الدقيقة ، ص١٣٢٨-١٣٢٩.

(٣) سعد البشرى : الحياة العلمية ملوك الطوائف ، ص٤٨٧.

٣- رسم نموذج شمسي ذو مراكز منحرفة متحركة وهذا الأنموذج يحدث إقبالاً وإدباراً في وضعية الأوج كما يحدث تغييراً في الانحراف المركزي للشمس.

٤- قياس وضعية الأوج الشمسي وتحديدها بـ (٨٥؛٤٩°) ، بالإضافة لإظهار أن قدر حركة الشمس الخاصة درجة واحدة كل ٢٧٩ سنة شمسية. وهذا القدر يقترب بشكل كبير لما حسب في العصر الحديث[١].

٥- إقامة العديد من الأزياج – الازياج هي توقيت للأيام والتواريخ حسب منازل القمر والنجوم – ومن أشهرها الزيج الطليطلي[٢].

وكما ظهر مدى ما وصل إليه الفلكيون بطليطلة من تمكن وإبداع في هذا العلم، سيظهر مدى آخر لعلماء طليطلة وصلوا به إلى مستويات رفيعة وعالية، وقد تمثل ذلك في علم الطب والصيدلة.

وكان هذا الرقي في مجال الطب لما قاموا به – كما سيظهر لاحقاً – من مصنفات ومؤلفات في علم الطب والأدوية ، ولطرق العلاج المتقنة والتي تستخدم في وقتنا الحاضر كطرق علاجية حديثة، ولصور التعليم التجريبية بالإضافة لإقامة ما يشبه المختبرات الخاصة بالتراكيب الصيدلانية.

ففي مجال مصنفات الطب والأطباء شملت هذه المصنفات جوانب متنوعة من الموضوعات والاطروحات كمعاجم الأطباء وكتب الأدوية وكتب متخصصة في بعض الأمراض وأخرى عامة، بالإضافة لكتب عن تجارب الطب وكتب استدراك بعض

---

(١) خوان فيرني : تطورات العلم، ج١، ص٣٧٩-٣٨٠. غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص٤٦٢.

(٢) محمد أحمد أبو الفضل : أضواء على النشاط العلمي في الأندلس ، ندوة الدرس والتاريخ ، ص٤٣٦. كمال السيد: شخصيات سكندرية، ندوة الدرس والتاريخ، ص٤٠٨. زيغريد هونكة : شمس العرب، ص١٤٤-١٤٥

.

الأخطاء الطبية وكتب يظهر من خلالها أساليب التعليم الطبي كما أن هنالك بعض التعاليق الطبية.

ومن هذه الكتب الطليطلية : كتاب "طبقات الأطباء والحكماء"[١] ، وكتاب "تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس" ومقالة "استدراك على كتاب الحشائش لديسقوريدس"[٢] ومقالة في أدوية الترياق[٣] وكتاب "الأدوية المفردة"-استغرق ٢٠ سنة لانجازه – وكتاب "الوساد"[٤] .كما هنالك كتاب "تدقيق النظر في علل حاسة البصر"[٥]، وكتاب الأمراض[٦]، وكتاب "المغيث"[٧]. بالإضافة لكتاب "مجريات الطب"[٨]، ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين[٩].

وهنالك بعض التعاليق المختصة بالطب بجوار هذه الكتب[١٠].

---

(١) جمال الدين القفطي : تأريخ الحكماء، ص١٩٠. عباس سليمان وحسان حلاق : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ١٩٩٨م، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ص١٤٢.

(٢) موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ١٩٦٥م، دار مكتبة الحياة، بيروت ، ص٤٩٥. على بن عبد الله الدفاع : إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات، ط١، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص١٧٦.

(٣) على الدفاع : المرجع السابق ، ص١٧٦.

(٤) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي: كتاب صلة الصلة ، ج٣، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، ص١٧١. حكمة الأوسي : كتاب الوساد، ص١٧٥–١٧٦–١٧٧–١٧٨. على الدفاع : إسهام علماء العرب علم النبات، ص١٨٠.

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٣٦–٢٣٧.

(٦) شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج٢ ، ص ١٦ . عمر كحاله : معجم المؤلفين ، ج٥ ، ص ١٥٣

(٧) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف ، ص٤٦٣–٤٦٤.

(٨) المراكشي : الذيل والتكملة ، ج١، ص٢٥١–٢٥٢. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٢٣٦–٢٣٧. سعد البشري: الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٦٣–٤٦٤.

(٩) علي الدفاع : إسهام علماء العرب علم النبات ، ص ١٧٦ .

(١٠) ابن الزبير : صلة الصلة ، ج٤ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، ص ٨٦ .

وقـــد برز أطباء طليطلة بشكل كبير في جانب الأدوية وطرق العلاج، وقد كان هـــذا الـــبروز من خلال ما يظهر من سيرهم من إخلاص واهتمام وميول لهذه الجوانب، بالإضافة للدافع الشخصي والصبر على المشاق.

وقـــد كانت الأدوية بطليطلة بين أدوية مفردة وأخرى مركبة. وللأدوية المفردة نصـــيب الأسد من الاهتمام والاستخدام. ولأبرز صورة للاهتمام بالأدوية المفردة كثرة التصـــانيف فـــيها والاهـــتمام بالعـــلماء المختصين في هذا الفرع من العلماء السابقين كديوسقوريدس وجالينوس.

ولم تكـــن الأدويـــة هي الطريقة العلاجية الوحيدة لدى أطباء طليطلة. فقد اهتم بالنظام الغذائي الملائم والتداوي به.

وعـــن طرق العلاج فقد أقام لها أطباء طليطلة تسلسلاً معيناً، حيث يبدأ العلاج بالأغذية ومن ثم الأدوية المفردة ومن بعدها الأدوية المركبة(1).

وطـــرق العـــلاج بالأغذيـــة تعـــد في الوقت الحاضر من الطرق العلاجية المهمة والحديـــثة. ولمـــا للتجارب والاكتشاف من دور في إبراز ما هو جديد في جانب الطب والصـــيدلة فقد اشتهر أطباء طليطلة والصيادلة بهذا التوجه، فالتميمي كان له تجارب في الطـــب أخـــذت عنه وكانت نافعة. وقد يقصد بالتجارب إما طرق العلاج أو ما يعرف بالعمليات الجراحية. كما اهتم ابن وافد بإقامة حديقة جامعة لأنواع النبات – بدعم من حاكم المدينة– لإعانته على الوصول لكل ما يحتاجه من أنواع النباتات، خاصة وأن كثيراً مـــن نـــباتات طليطلة ذات فوائد صحية علاجية – لقد ظهر هذا الأمر في قسم الزراعة الســـابق الذكـــر – ووجود حديقة كهذه هي بمثابة مختبر مجهز بغالب عناصر الأدوية مما يسهل ويدعم تجارب تكوين الأدوية وإعدادها.

---

(1) جمـــال الديـــن القفطـــي : تأريخ الحكماء ، ص٢٢٥-٢٢٦. ابن أبي اصيبعة : عيون الانباء، ص٤٩٣. سعد البشري: الحياة العلمية عصر الخلافة ، ص٣٨١. حكمة الأوسي : كتاب الوساد ، ص١٧٨.

كمـــا أن مـــثل هذه التجهيزات ساعدت العلماء في التخصص والبحث بشكل دقيق، فنجد عدداً من العلماء معتني بالأدوية المفردة القوية وبعضهم اعتنى بإيضاح بعض مكونات وعناصر الأدوية[1].

وأخـــيراً يتضح مدى ما كان عليه أطباء طليطلة من مستوى طبي رفيع في عالمين بالطب – من باب المثال لا الحصر– أحد هذين العالمين هو ابن جلجل الذي رغم كل ما وصل إليه من مكانة وقدر إلا أنه لم يخرج في طلبه للعلم من بلاد الأندلس كبقية العلماء.

وهـــذا الأمـــر ينبئنا لعدة أمور : أن بلاد الأندلس وصلت إلى مستوى عالي في جانب الطب. وأن ابن جلجل تمكن بقدراته الخاصة من احتواء جوانب علم الطب، كما أنـــه كـــان مهـــتماً بجميع كتب الطب على مختلف اللغات من عربية وفارسية وسريانية وهندية ويونانية. وهذا مما ظهر من سيرته[2].

أمـــا العـــالم الآخر فهو التميمي الذي يكفيه تميزه في قدرته الفائقة على تشخيص الأمراض وأساليبه المبتكرة في علاجها. وقد ألف في ذلك كتاباً لا يزال موجوداً في مكتبة الاسكوريال على صورة مخطوط عن علم الأمراض وتشخيصها.

هـــذا بالإضافة لطرقه العلمية والتجريبية في تعليم الطب أي التعليم الإكلينيكي للتلاميذ الذين يدرسون الطب[3].

---

(١) أبي الخـــير الأشـــبيلي : عمدة الطبيب ، ج٢، ص٦٠٨. المراكشي: الذيل والتكملة، ج١، ص٢٥٠-٢٥١-٢٥٢. ســـعد البشري : الحياة العلمية عصر الخلافة ، ص٣٨٠. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٦٢. عمر كحالة : العلوم البحتة ، ص٣٠١.

(٢) علي الدفاع : إسهام علماء العرب علم النبات ، ص١٧٠.

(٣) عـــبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٥٧. آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص١٦.

وقد برز الجانب العملي التجريبي في علم الفلاحة كالطب. وتمثل ذلك على أجل صـــورة في تلـــك الحديقـــة التي أنشئت في عهد المأمون بن ذي النون على يد العالمين ابن وافد وابن بصال[1].

وهنا يجب الإشارة للعوامل الداعمة لعلم الفلاحة والتي أدت لارتقائه في مصاف العلوم العقلية البارزة بطليطلة.

وقـــد تمثلـــت هـــذه العوامل في دعم بعض حكام طليطلة كالمأمون ، وفي طبيعة طليطلة التي كانت وافرة الخضرة من بساتين وحدائق بالإضافة لتواجد نهر تاجة الداعم الرئيسي للماء.

ومـــن العوامل أيضاً المردود الاقتصادي للجانب الزراعي بطليطلة مما أدى لوفرة البســـاتين والمزارع. كما يرى بأن الداعم الأساسي هو وجود عدد من العلماء المهتمين بالجانب الزراعي.

ويعـــود جُـــل بروز علم الفلاحة بطليطلة إلى العامل الأخير والمتمثل في علمائها، عـــلى الرغم من أن هؤلاء العلماء يعدون قلة بالنسبة لعلماء العلوم الأخرى. ومن أبرز علماء الفلاحة بطليطلة ابن وافد وابن بصال الذين جعلا لهما مكانة كبيرة ليس بطليطلة بـــل في الأندلس كافة. وقد أظهر عمل هذين العالمين في حديقة المأمون مدى إخلاصهم لعـــلم الفلاحـــة ، مـــن ترحال لبلدان بعيدة من بلاد المشرق والبلاد المطلة على البحر المتوســـط لجلـــب بعض النباتات[2]. ومن إقامة لحديقة المأمون من العدم – كما يظهر– بالإضافة لتلك المصنفات المختصة في الفلاحة والتي حفظ بعضها إلى وقتنا هذا. ومن هذه

---

(١) أحمـــد بـــن محمد بن حجاج الإشبيلي :المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، ١٤٠٢هـــ–١٩٨٢م ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، ص ث .

(٢) أبي الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج٢، ص٨٣٦. عادل محمد علي : علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحـــة لابن بصال، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد السادس، ١٣٩٨هـــ–١٩٧٧م، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية ، ص٢٠٥.

الكتـــب كـــتاب "القصد والبيان" لابن وافد وكتاب "عمدة الطبيب في معرفة النبات" لابن اللونقة وكتاب "الفلاحة" لابن بصال[(١)].

كتاب الفلاحة هذا هو الأبرز بين كتب الفلاحة بالأندلس ويعود ذلك إلى طريقة تصـــنيف الكتاب الذي يتميز بترتيب خاص وفق المراحل الطبيعية لنظام الزراعة، ابتداءً باختيار الأراضي والأسمدة الملائمة ثم الخدمة فالغرس ثم السقيا ثم التنقية ثم جني الثمار.

كمـــا أنه يعود لاعتماد مؤلفه على تجربته الشخصية في حقل الزراعة مبتعداً عن آراء وأفكار غيره من العلماء.

ولتمـــيز هـــذا الكـــتاب وأهميـــته فقـــد ترجم منذ العصور الوسطى إلى اللغة الأسبانية[(٢)]. ولم ينس علماء الفلاحة أن يحجزوا لهم كرسياً في ميدان الأسبقية والأولوية كنظرائهم من علماء طليطلة السابقين. فقد سُجل لأحد علماء الفلاحة الأسبقية في طرح نظرية جنس النبات ، وهذا العلم يعد من علوم القرن الواحد والعشرين الميلادي[(٣)].

وبالإضافة لهذه العلوم فقد شملت طليطلة علم الهندسة الميكانيكية وعلم الحساب وعلم الكيمياء.

ولكن هذه العلوم كانت أقل نصيباً من سابقيها، رغم أن لها إنتاجاً علمياً جليلاً. فمـــن إنـــتاج علم الهندسة الميكانيكية البيلتين التي أقيمت في بيت مجوف داخل نهر تاجه - انظـــر صفحة ١٤٨وما يليها - بالإضافة لعدد من الساعات : أولها : ساعات دقاقة أدى اخـــتراعها لإعجـــاب الناس، مما يوحي بأنها صنعت لأول مرة . وثانيها: ساعات تتحرك بواسطة الماء أو الرمل أو الكرات الحديدية.

---

(١) أحمـــد الاشـــبيلي : المقـــنع في الفلاحة ، ص ث. المقرى : نفح الطيب ، ج٤، ص١٤٧. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية ، ص٢٤٥.

(٢) محمـــد ابـــن بصال : كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه : خوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد عزيمان، ١٩٥٥م، معهـــد مـــولاي الحسن، تطوان ، ص٢٩. المقرى : نفح الطيب ، ج٤، ص١٤٧. عادل محمد علي: علم الزراعة والنبات، ص٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧.

(٣) شوقي أبو خليل : الحضارة العربية ، ص٥٢٧.

كما أن لعلم الحساب إنتاج آخر، فعرف حساب المثلثات وخاصة الكروي منها، وعرفت قاعدة جيب الزاوية واستعمالاته ، بالإضافة لجداول حساب المثلثات والذي ترجم إلى اللغة اللاتينية[1].

وهنا يجب الإشارة إلى أن أغلب العلوم التطبيقية وتطورها كانت تحت مظلة حكم بني ذي النون ، مما يؤكد فكرة دعم هذه الأسرة للعلوم التطبيقية كالعلوم الأخرى.وعن أبرز علماء الطب بطليطلة فهم :

أحمد بن خميس بن عامر بن دمج الطليطلي : كنيته أبو جعفر، تأدب بطليطلة، واستوطنها ، وهو من تلاميذ القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الوقشي. عالم بالهندسة والنجوم والطب. كان مهتماً بقراءة كتب جالينوس على مراتبها.

توفي أبو جعفر في عام ٤٥٤هـ-١٠٦٢م[2].

سليمان بن جلجل : كنيته أبو داوود ، ويعرف بابن جلجل. ولد بطليطلة وتعلم بقرطبة واقتصر تعلمه على بلاد الأندلس، وكان له اعتناء كبير بالكتب وقراءتها على مختلف اللغات. وابن جلجل طبيب وعالم نبات .

في الطب يشار له بالبنان لإنجازاته المتعلقة بها، فقد برع في وصف الأدوية وتحضيرها لخبرته بالمعالجات وحسن تصرفه في صناعة الطب. وبالأدوية المفردة القوية المفعول تركز اهتمامه.

ولابن جلجل العديد من المصنفات منها :

- تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب الحشائش لديسقوريدس . توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة بنكبور بالهند برقم ٢١٨٩.
- مقالة استدراك على كتاب الحشائش لديسقوريدس. ولهذا الكتاب نسخة متوفرة بمكتبة البودليا بأكسفورد برقم ٥٧٣.

---

(١) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٥١٤-٥١٥-٥٥٥.

(٢) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم ، ص١٧٨-١٧٩-١٩٨. ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٤ – ٢٥. ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٤٨٥. أحمد تيمور : أعلام المهندسين ، ص٣٦.

- مقالـــة في أدويـــة الـــترياق. ونسختها مجاورة للنسخة السابقة في مكتبة البودليا بأكسفورد برقم ٥٧٣.
- رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين ، وقد فقدت هذه الرسالة.
- كتاب طبقات الأطباء والحكماء[1].

عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد الصدفي : كنيته أبو المطرف، طبيب، ولد في عام ٣٢٧هـ - ٩٣٩م . لا يرد عن طبه شيء سوى تأليفه لكتاب الأمراض . ويعود ذلك لأنه محدث وفقيه قد أنشغل بهما عن الطب فكان مقلاً فيه . له رحلة إلى المشرق . وكان وفاة في عام ٤٠٣هـ-١٠١٣م[2]. وله من العمر ٧٦ سنة.

عـــبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي : كنيته أبو المطرف ، ويعرف بابن وافد.

ولـــد في ذي الحجة سنة ٣٨٩هـــ-٩٩٩م. وهو طبيب وصيدلي من أبرز وأمهر عـــلماء الأندلس. فقد تمهر في علم الأدوية المفردة، وكانت له طريقة في علاج الأمراض حيث يبدأ العلاج بالغذاء فإن لم يجدي عالج بالأدوية المفردة فإن لم يجدي فيعالج بالأدوية المركبة.

وابـــن وافـــد هو أحد أركان إقامة حديقة المأمون والتي اهتم بها وزرعها بغالب أنواع النبات.

وبالإضـــافة لهـــذا فقد سجل لابن وافد أولية من أصل الحبوب والنبات بتحديد جنس النبات من ذكر وأنثى .

---

(١) جمـــال الديـــن القفطـــي : تـــأريخ الحكمـــاء ، ص١٩٠. ابـــن أبي أصيبعة : عيون الأنباء، ص٤٩٣-٤٩٥. سعد البشري : الحياة العلمية عصر الخلافة ، ص٣٨٠-٣٨١. على الدفاع : أسهام علماء العرب علم النبات، ص١٧٠-١٧٦. عمـــر رضـــا كحالة : العلوم البحتة في العصور الإسلامية ، ١٣٩٢هـــ-١٩٧٢م، مطبعة الترقي ، دمشق ، ص٣٠١.

(٢) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، ج٢، ص١٦. عمر كحاله : معجم المؤلفين ، ج٥، ص١٥٣.

وعـــن مصنفات ابن وافد فهي متعددة كسابقيه من علماء طليطلة الكبار. فمن مصـــنفاته : تألـــيف في الأدوية المفردة، وتعاليق جمع فيها بين قول ديسقوريدوس وقول جاليـــنوس، وكتاب " الرشاد " في الطب ، وكتاب "تدقيق النظر في علل حاسة البصر"، وكـــتاب "مجـــربات الطـــب" ، وكتاب "الفلاحة" ، وكتاب "القصد والبيان"، وكتاب "الوساد"، ومقالة عن "الحمامات" ، وكتاب "المغيث"، وكتاب أخير لا يعرف عنه سوى اسمه باللاتيني **De balneis Sermo** . وعند النظر بداخل أحد هذه الكتب المتعددة ككـــتاب الوساد يظهر من خلاله مدى ما وصل إليه ابن وافد من تمكن بهذا الخصوص. فيرى بأنه يصف للمرض الواحد أكثر من وصفة، كما أن لديه أدوية موسمية لا تستخدم إلا في فصل من فصول السنة حيث لا تناسب الفصول الأخرى.

وفي يوم الجمعة ٢٠ من رمضان سنة ٤٧٧هـــ-١٠٨٤م توفي ابن وافد بطليطلة وله ٨٨ عاماً[(١)].

على بن عبد الرحمن يوسف بن مروان بن يحيى بن الحسين الأنصاري الخزرجي : كنيته أبو الحسن ، ويعرف بابن اللونقة – يقصد بابن اللونقة الطويل.

لـــه مشـــاركات في الطب، تعلم على يد ابن وافد. وله مجريات في الطب نفعت الناس ، كما أنه كان مسدد العلاج.

ولابـــن اللونقة مصنف بعنوان "عمدة الطبيب في معرفة النبات" كما له تعاليق في الطـــب. وقد اختلف في تاريخ وفاته ما بين عام ٤٩٨هـــ-١١٠٤م وعام ٤٩٩هـــ-١١٠٥م، وتوثق في مكان موته حيث كان بمدينة قرطبة[(٢)].

---

(١) ابن الزبير : صلة الصلة ، ج٣، ص١٧١. القفطي : تأريخ الحكماء، ص٢٢٥-٢٢٦. أحمد الأشبيلي : المقنع في الفلاحة ، ص ث . الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص٢٣٦-٢٣٧. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية ، ص٥٢٧. حكمـــة الأوســـي : كتاب الوساد، ص١٧٥-١٧٦. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٦٣- ٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٥٤٨ .

(٢) ابـــن الـــزبير : صـــلة الصـــلة ، ج٤، ص٨٦. المراكشي : الذيل والتكملة ، ج١، ص٢٥٠-٢٥١-٢٥٢. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية ، ص٢٤٥.

محمد التميمي : طبيب لا يعلم عنه شيء من حياته ونشاطاته سوى أنه كان يعيش بطليطلة في عهد المأمون بن ذي النون.

لكـــن مـــن خـــلال كـــتاب له في علم الأمراض وتشخيصها موجود في مكتبة الاسكوريال على صورة مخطوط تُمكن من إبراز بعض جوانب التميمي وأنشطة.

فـــيظهر من خلال الكتاب أنه من كبار الأطباء وذلك من خلال تمكنه في الطب وطرقه وأساليبه.

ويظهـــر بعـــض نشـــاطاته الطبية، فهو بارع في تشخيص الأمراض وله أساليب مبتكرة لمداواها. كما أنه كان يعلّم تلاميذه بطرق عملية تجريبية لا بطرق نظرية فقط[1].

أمـــا علماء الفلك والرياضيات والهندسة فبطليطلة عدد منهم يعد البعض هم الأبرز في الأندلس وهم :

إبراهـــيم بـــن سعيد الموازيني السهلي : فلكي ، صنع اسطرلابين أحدهما في عام ٤٥٩هـــ-١٠٦٦م. والثاني في عام ٤٦٠هـــ-١٠٦٧م[2].

إبراهـــيم بـــن لب بن إدريس التجيبي : كنيته أبو إسحاق ، ويعرف بالقويدس. استوطن طليطلة وتأدب فيها، وعلم بها.

كـــان عـــالم في الفلك والعدد والهندسة، بالإضافة لتمكنه من علم اللغة العربية. ولأبي إسحاق أسبقية في علم الفلك على صورتين : الأولى : مقولته بدوران الكواكب في مـــدارات بيضاوية إهليجية . والثانية : إثبات أن حركة ميل أوج الشمس هي ١٢,٠٤ ثانية بالنسبة للنجوم الثوابت . وقد قدر الرقم الحقيقي لهذا الميل بـــ ١١,٠٨ ثانية.

---

(١) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٦١. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٥٧.

(٢) محمد عبد العزيز : الفنون الزخرفية ، ص١٧١-١٧٤.

توفي أبو إسحاق في ليلة الأربعاء السابع والعشرين من رجب في عام ٤٥٤هـ-١٠٦٢م، وله من العمر ٤٥سنة[١].

إبراهيم بن محمد بن أشج الفهمي : كنيته أبو إسحاق. هو عالم متفنن في العديد من العلوم ، علم الحساب هو العلم التطبيقي من تلك العلوم.

توفى في شعبان من عام ٤٤٨هـ-١٠٥٦م، وقد حضر جنازته المأمون بن ذي النون، وذلك للمكانة التي كانت له وخاصة أنه كان من أهل الشورى بالمدينة[٢].

إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش : كنيته أبو إسحاق، ويعرف بابن الزرقيال. هو من أشهر علماء الفلك في الأندلس على الإطلاق ، ومن كبار علماء طليطلة والأندلس في علم الهندسة والرياضيات وعلل الأزياج.

وقد أثرى ابن الزرقيال الساحة العلمية باكتشافاته ومصنوعاته ومصنفاته العلمية.

وعن اكتشافاته فقد توصل للعديد من النظريات والقوانين والحقائق، ومنها رسم نموذج شمسي ذو مراكز منحرفة متحركة، وهذا النموذج يحدث إقبالاً وإدباراً في وضعية الأوج كما يحدث تغييراً في الانحراف المركزي للشمس. كما أنَّه عين مقدار حركة المبادرة السنوية لنقطتي الاعتدالين بـ ٥٠ ثانية.

ولابن الزرقيال معرفة بحساب المثلثات وخاصة الكروي منها، وله معرفة بجيب الزاوية واستعمالاته[٣].

أما المصنوعات العلمية فهي على قسمين : مصنوعات فلكية كصفيحته المشهورة والصفيحة العبادية والصفيحة الشكازية والصفيحة المحلقة.

---

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص١٧٩. ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٣٦. سعد البشري: الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٨٧.

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٩٥.

(٣) سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٥٥٥. غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٤٦٢. خوان فيرني : تطورات العلم ، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج١، ص٣٧٩-٣٨٠.

ومصـــنوعات هندسية ميكانيكية : كصناعته للبيلتين المشهورة، وصناعة ساعات دقاقـــه نالـــت إعجاب الناس، قد يعود إعجاب الناس لأنها الأولى من نوعها. وساعات تعمل بالماء أو الرمل أو الكرات الحديدية[1].

وعـــن مصنفات ابن الزرقيال فيلاحظ أن مصنفاته متعددة ومختلفة التخصصات وهذه المصنفات هي :

- كتاب الأفق.
- كتاب الصفيحة الكونية.
- كتاب طريقة عمل إسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلاكها.
- رسالة في العمل بالصفيحة الزيجية.
- كتاب التدبير.
- كتاب المدخل إلى علم النجوم.
- كـــتاب سنة الشمس أو الرسالة الجامعة في الشمس. وقد كتب هذا الكتاب بين عامي ٤٦٨هـــ-١٠٧٥م وعام ٤٧٣هـــ-١٠٨٠م.
- الزيج الطليطلي وقد اعتمد عليه في إقامة الزيجة الألفونسية.
- تصنيف رياضي عن جداول حساب المثلثات[2].

وبجـــوار هذه الإنجازات لابن الزرقيال تبرز أهمية دراساته في الأخذ منها وخاصة أرصاده وترجمة كل آثاره إلى اللغة القشتالية وترجمة بعضها إلى اللغة اللاتينية.

---

(١) القفطي : اخبار العلماء، ص٤٢. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٥١٤. دونالد هيل :الهندسة المدنـــية ، موســوعة التاريخ العلوم العربية ، ج٣ ، ص ١٠١٥ . خوليو سامسو : العلوم الدقيقة ، الحضارة العربية، ج٢، ص١٣٢٦-١٣٢٧-١٣٢٨. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص٤٦٢.

(٢) خـــير الدين : الإعلام ، ج١، ص٧٩. سعد البشري : الحياة العلمية ملوك الطوائف، ص٤٨٨. سعد البشري: تـــرجمة الكتـــب العربـــية ، ص٩٨. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة، ص٢٦٤. خوليو سامسو: العلوم الدقيقة، الحضارة العربية ، ج٢، ص١٣٣٥. زيغريد هونكة : شمس العرب، ص١٤٤-١٤٥.

كمـــا أن ابن الزرقيال خُص بالعديد من الدراسات وخاصة من قبل العالم ميلابيا كروســـا[1]. وقد كانت وفاة هذا العلامة الجليل في الساعة الثامنة من يوم الجمعة الثامن من شهر ذي الحجة لعام ٤٩٣هـــ-١١٠٠م[2].

سعيد بن محمد البغونش : كنيته أبو عثمان . تعلم بطليطلة وخارجها حتى أصبح عالماً بالهندسة وصناعتها وسائر العلوم الرياضية، وعالماً بالطب. له العديد من المصنفات ، ويبدو أن أغلبها فقد.

ولأبي عثمان حظوة لدى الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون حيث عمل لديـــه. ولكن تغير الحال بالنسبة لأبي عثمان في آخر عمره حيث لزم البيت وانكب على تـــلاوة القـــرآن ، حـــتى توفي في يوم الثلاثاء أول يوم من شهر رجب سنة ٤٤٤هـــ-١٠٥٢م وله من العمر ٧٥ سنة[3].

عـــلي بـــن خلف : من علماء الفلك . وهو صاحب الاسطرلاب المأموني الذي صنعه في عام ٤٦٤هـــ-١٠٧١م وأهداه لملك طليطلة المأمون بن ذي النون. وكان لهذا الاسطرلاب شهرة كبيرة في المشرق والمغرب[4].

هشام بن أحمد بن هشام الكناني : كنيته أبو الوليد ، ويعرف بالوقشي . ولد سنة ٤٠٨هــــ-١٠١٧م عالم بالحساب والهندسة والفلك وكثير من العلوم الغير تطبيقية. وهـــو أول مـــن قام بمراقبة حركات النجوم ودراسة خصائصها في طليطلة كما أنه دعم مسيرتها.

---

(١) القفطـــي : أخبار العلماء ، ص٤٢. شوقي أبو خليل : الحضارة العربية الإسلامية ، ص٥٤٤. محمد أبو الفضل: أضواء على النشاط، ندوة الدرس والتاريخ، ص٤٣٦. زيغريد هونكة : شمس العرب ، ص١٣٧.

(٢) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، ج١، ص١٣٨-١٣٩.

(٣) صـــاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ١٦٧. الذهبي : تاريخ الإسلام، ص٩٢. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية ، ص٢٢٤-٢٢٥. آنخل جنثالث : تاريخ الفكر ، ص١٦.

(٤) خوليو سامسو : العلوم الدقيقة، الحضارة العربية ، ج٢ ، ص١٣٢٨-١٣٢٩.

توفي الوقشي عن عمر يناهز ٨١ سنة وذلك في عام ٤٨٩هـ-١٠٩٦م بمدينة دانية [١]، التي يرى بأنه انتقل إليها بعد سقوط طليطلة في يد النصارى .

يحيى بن أحمد : كنيته أبو بكر ، ويعرف بابن الخياط. عالم بالنجوم واعتنى بالطب. خدم لدى العديد من الحكام آخرهم المأمون بن ذي النون.

وقـد تـوفي ابن الخياط بطليطلة في عام ٤٤٧هـ-١٠٥٥م وعمره قد قارب الثمانين سنة[٢].

أما علم الفلاحة فيبرز فيه عالم واحد هو الأبرز على نطاق الأندلس، وهو : محمد بـن بصال الطليطلي : كنيته أبو عبد الله ، وهو الشهير بابن بصال. صاحب ابن وافد وهو الذي أقام معه حديقة المأمون.

لابـن بصال مصنفين هما : كتاب الفلاحة ، وكتاب القصد والبيان. ويعود نجاح ابـن بصـال كعالم إلى اعتماده على تجاربه الشخصية ورحلاته لمختلف البلدان كمصر وسـوريا وصـقلية والجزيرة العربية والعراق وخراسان والمناطق المطلة على بحر الخزر-قزوين[٣].

ورغم كل ما يظهر أن ابن بصال قام به إلا أنّ المعلومات عنه قليلة ونادرة خاصة في بعض الجوانب الأساسية عنه كعالم له مكانته.

وممـا سـبق يظهـر أن طليطلة قد كان لها نصيب كبير ودور ريادي في العلوم التطبيقية ، وخاصة بما أنتجته في هذه العلوم.

(١) ابـن بشـكوال : كتاب الصلة ، ج٢، ص٦١٧-٦١٨. ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٦. السيوطي : بغية الوعاة ، ج٢، ص٣٢٧. عبد المجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ص٢٦٠.

(٢) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص١٩٩. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص١٦٧.

(٣) ابـن بصـال : كتاب الفلاحة ، ص٢٩. ابن الخير الأشبيلي : عمدة الطبيب ، ج٢، ص٨٦٠. المقرى : نفح الطيـب، ج٤، ص١٤٧. عادل محمد علي : علم الزراعة والنبات، ص٢٠٥. أحمد مختار العبادي : الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي ، ندوة الدرس والتاريخ، ص١٢٧.

المبحث الخامس

العلاقات العلمية :

كـــل لبـــنة في البـــناء تعتمد على اللبنة السابقة لترتقي عليها. فالعلوم الشرعية واللغوية والإنسانية والتطبيقية بطليطلة من أكبر أسباب ارتقائها هو اعتمادها على العلوم الســـابقة لـــدى غيرها من المدن والمناطق. وأيضاً هذا الارتقاء كان سبباً في رقي غيرها واعتماده عليها.

وقد شكلت العلاقات العلمية بين المدن والمناطق والمتمثلة في الرحلات والزيارات والسكنى لفترات متفاوتة صوراً لهذه العلاقة.

والعلاقـــة العلمـــية هنا قائمة على قسمين : الأول منها : العلاقة من طليطلة إلى غيرها من المدن. والقسم الثاني : من المدن إلى طليطلة.

لطلـــيطلة وعلمائها علاقات متعددة مع العديد من المدن الأندلسية – يجب أن لا يغفل النظر عن أهمية موقع طليطلة المتوسط للأندلس– والمدن والمناطق الواقعة في مناطق المشـــرق والمغـــرب الإسلامي. مدينة قرطبة شكلت أبرز وأوفر علاقة لمدينة مع طليطلة دون غيرها من المدن والمناطق. فقد تعدد ارتحال علماء طليطلة إليها كطلاب علم ورواة ومقرئي للقران وغير ذلك من صور العلم[1].

ثم يتبعها بعد ذلك بلاد المشرق بصورة عامة دون تحديد. ومناطق المشرق ومدنها الـــتي ورد ذكرها بالعلاقة هي مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومصر ومنها الإسكندرية، والعراق ، ومدين[2] .

---

(١) ابـــن الفرضـــي : تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٧-٦٣-٦٤. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤، ج٢، ص٤٨١. محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المشهور بابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفي رضي الله عنه ، ط١، ١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م ، من مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص٦٣-٦٤. الذهبي : معرفة القراء الكبار، ج١، ص٣٥٤. ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج١، ص٤٧٤.

(٢) ابـــن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٤٣-١٢٣-١٢٤-٢٦٩-٢٧٠-٣٤٢. الضبي : بغية الملتمس، ص٢٥٢. الذهـــبي : تـــاريخ الإســـلام ، ص٨٨-٨٩. المقريزي : كتاب المقفي، ج٥، ص٩٦. المقرى :نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٠-٢٥٩، ج٣، ص٢٧٤-٢٧٥-٤٠٣. شكيب أرسلان:الحلل السندسية، ج٢، ص٢.

أما مدن الأندلس والمغرب الإسلامي فهي : دانية ، ومالقة، وأشبيلية، وقلعة أيوب، وطلبيرة، وإلبيرة، وسرقسطة، وغرناطة، وبطليوس، وبلنسية ، وبجانه، والمرية، وبلاد المغرب ، والقيروان، وسوسة، وفاس[1].

ويلاحظ هنا أن علاقة طليطلة ارتبطت مع عدد من المدن الكبرى في مناطقها والتي كان لها دور إيجابي في الجانب العلمي، كما أن هذه المدن والمناطق متوزعة على أغلب أراضي العالم الإسلامي في تلك الفترة بشكل عام وبلاد الأندلس بشكل خاص. وعن صور هذه العلاقات المتعددة والممتدة فقد تمثلت في مجموعة من الصور ومنها ما يلي:

١- طلب العلم : وتبين هذا من قيام عدد من علماء طليطلة بالسماع والرواية عن عدد كبير من علماء المدن الأخرى[2].

٢- توجه عدد من علماء طليطلة إلى المدن الأخرى كقضاة ومؤدبين وقراء للقرآن[3].

٣- أداء فريضة الحج، ومنذ التوجه لأداء الفريضة استفاد علماء طليطلة من علماء المدن التي يمرون بها إلى أن يصلوا إلى مكة المكرمة ويأخذوا من علمائها كما أخذوا عن غيرهم[4].

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢١٦-٢٦٦-٢٦٩-٢٧٠-٣٠٢-٣٤٤. ابن بشكوال: كتاب الصلة ، ج٢، ص٤٠٤-٤٦٦. ابن الزبير: صلة الصلة، ج٤، ص٨٦. المراكشي : الذيل والتكملة ، ج٢، ص٦٨٠. الذهبي: تاريخ الأندلس ، ص٦٥-٨٨-٨٩. مريم قاسم : مملكة غرناطة، ص٢٧٥. عبد الرحيم يوسف : الشعر والشعراء، ص١٢٨. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص٢٤٥.

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢٥١-٣٠٥-٣٤٦-٣٥٩-٤٢٢-٤٣٢-٤٣٣. الضبي : بغية الملتمس ، ص١٧٨.

(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢٩٠-٢٩١. الذهبي : معرفة القراء الكبار، ج١، ص٣٥٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٨٨-٨٩.

(٤) شكيب ارسلان : الحلل السندسية، ج٢، ص٢.

٤- نتج عن تكرار الفتن بطليطلة خروج عدد من علمائها للمدن الأخرى إلى حين عودة الأمور لما كانت عليه قبل الفتنة[١].

٥- التوجه لأمراء وحكام الأقاليم الأخرى وإهدائهم بعض ما لديهم من كتب ومخترعات بالإضافة لما كان يعرف عن حركة الشعراء الجوالين[٢].

٦- التبادل العلمي : ويتمثل في العلاقة بين علماء المدن أنفسهم كعلماء الفلاحة وعلاقتهم العلمية[٣].

٧- ارتحال بعض العلماء لبعض المدن دون أسباب معينة[٤].

٨- ما حدث بعد سقوط طليطلة في يد النصارى من خروج لأغلب علمائها إلى المدن الإسلامية الاخرى[٥]. ورغم فداحة ما حدث لطليطلة إلا أن هذا الحدث أثرى الجانب العلمي في عدد من المدن ونقل إليها العديد من الخبرات المنتقلة مع أصحابها العلماء.

ويلاحظ هنا أن الفائدة لم تقتصر على طليطلة بل إن العديد من المدن استفادت من قدوم علماء طليطلة إليها. فعلماء طليطلة ، كان لهم أثر في تطور العلم ونهضته في البلدان المختلفة وأوضح مثال ما تركه ابن الزرقيال من تأثير علمي وكذلك ابن وافد

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٣٠٢.

(٢) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات في الأندلس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ص١٤٢. خوليو سامسو: العلوم الدقيقة، الحضارة العربية، ج٢، ص١٣٢٧-١٣٢٨.

(٣) أحمد الأشبيلي : المقنع في الفلاحة ، ص ج.

(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤. المراكشي: الذيل والتكملة ، ج٢، ص٦٨٠.

(٥) ابن الزبير : صلة الصلة ، ج٤، ص٨٦. مريم قاسم : مملكة غرناطة ، ص٢٧٥.

وابن بصال. هذه العلاقة وهذه الرحلات والزيارات العلمية تجلى أغلبها بل جلها في نهاية القرن الثالث للهجرة وفي القرن الرابع والخامس من الهجرة.

وهذه الفترة هي تقريباً فترة العلاقة العلمية القادمة لطليطلة من المدن الأخرى مما يدل على أنها كانت فترة خصبة للتبادل العلمي المشترك بين المدن.

ورغم بروز المدن التابعة لطليطلة في هذه العلاقة العلمية إلا أنه لا يعني اقتصار العلاقة عليها دون مدن الأندلس ولا دون مدن من خارج الأندلس أيضاً.

فطليطلة بالإضافة لأنها عاصمة الإقليم إلا أنها من المدن التي احتضنت العلوم ودعمتها، كما أنها تميزت بإنتاجها العلمي المتميز .

وعن هذه المدن ذات العلاقة مجتمعة فهي : استجة، وقلعة أيوب، ومجريط، ومدينة الفرج، وقلعة رباح، واقليش[1]، ومدن الثغور، وقرطبة، واشبيلية، والمرية، والبونت، وشريون، وأشبونة، وبطليوس، ولاردة، ومرسية، وغرناطة، وسرقسطة، والبيرة[2].

ويلاحظ هنا اختلاف المدن عن تلك المدن السابقة التي كان لطليطلة علاقة بها مع اشتراك في بعضها كقرطبة وغرناطة وأشبيلية .

وكعدم تطابق المدن فإن صور العلاقة العلمية أيضاً لم تتطابق حيث أن صور العلاقة كانت كما يلي :

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص٢٠٢-٣٣٨. أبو محمد الرشاطي : الأندلس في اقتباس، ص٥٧. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٢٢٨-٢٨١، ج٢، ص٣٩١-٤٦١. الضبي : بغية الملتمس، ص٢٦٨.

(٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٤-١٠٥-١٥٠ -١٥١-٣٤٥. ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج١، ص١٢٨-١٧٦، ج٢، ص٣٩٨-٤٤١-٥٣٢-٦٤٤. الضبي : بغية الملتمس ، ص٤٢٩. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٨-٢٩. ابن الآبار : المعجم ، ص٢١٤-٢١٥-٢٧٧. القاسم بن يوسف التجيبي السبتي : مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ص٨١. ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١، ص١٦٩-١٧٠. المقريزي : كتاب المقفي ، ج٥، ص٦٠-٦١.

١- التأدب بطليطلة والتعلم منها بأخذ ما لدى علمائها عن طريق السمع والرواية وعن كتبهم وإنجازاهم كأخذ إرصاد ابن الزرقيال[١].

٢- العلاقة بين العلماء بالمجالس وعن طريق الرد بالكتابة[٢].

٣- العلاقة مع حكام طليطلة سواء بقدوم العلماء بأنفسهم أو استجلاب الحكام لهم للعمل لديهم في خدمتهم أو في وظائفهم أو قضائهم.

وأوسع من قام بهذا هو المأمون بن ذي النون حيث كان يجلب لبلاطه كبار العلماء ويقيمهم لديه[٣].

٤- سكن عدد من العلماء بطليطلة، وذلك للأحوال العلمية المتميزة بها[٤].

٥- قدوم عدد من العلماء الفارين من الثورات والفتن إلى طليطلة. وهذه الصورة تكررت لأكثر من مرة، ومن ذلك خروج علماء قرطبة إلى طليطلة عند حدوث ثورة الربض، وعند فتنة المستعين بالله والمهدي.

وهذا الاستقرار بطليطلة وإن لم يطل فقد أثرى الجانب العلمي بها[٥].

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٤-١٠٥-٣٤٥. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٨-٢٩. يوسف عيد : معجم الحضارة الأندلسية، ص٢٨٠.

(٢) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص١٢٨. ابن الآبار : المعجم ، ص٢٧٧. السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص٦٠.

(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص١٢٧-١٢٨. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٥٩-٢٣٢. ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٣٨. ابن الآبار: إعتاب الكتاب، ص٢١٥-٢١٧. يوسف عيد: معجم الحضارة الأندلسية، ص٢٣٢.

(٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ص١٥٠-١٥١. ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج٢، ص٥٣٢-٦٤٤. الضبي : بغية الملتمس ، ص٤٢٩.

(٥) ابن بشكوال : كتاب الصلة، ج١، ص٣٦. ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٧٧. المقرى : نفح الطيب، ج٢، ص٢١٩. سعد البشرى : الحياة العلمية عصر الخلافة، ص٨٩.

٦- عمل عدد من العلماء بطليطلة ككتاب للمصاحف وقضاة وغير ذلك من الأعمال(١).

٧- لم تقتصر العلاقة العلمية بطليطلة لفترة وقوعها تحت ظل الإسلام. فعند سقوطها في يد النصارى قدم إليها طلاب العلم النصاري للأخذ من مناهلها(٢).

وكما كانت الفائدة مشتركة بين المدن في القسم الأول من هذه العلاقة فهذه الفائدة مشتركة بين المدن في هذا القسم أيضاً.

ويبرز في العلاقة العلمية بين طليطلة والمدن الأندلسية الأخرى أن هذه العلاقة أخذت تتدرج تصاعدياً من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري، وقد كان لها انتعاش بعض الشيء في القرن الرابع من الهجرة.

كما أن هذه العلاقة شملت أغلب مدن الأندلس من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها لغربها.

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٥٢. ابن بشكوال : كتاب الصلة ، ج١، ص١٩٥. ابن الآبار: المعجم، ص٢١٤-٢١٥.

(٢) علي الدفاع : نوابغ علماء العرب، ص٢٣٦.

الخاتمـــــة

مـــن خـــلال دراسة تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي سياسياً وحضارياً توصل الباحث لعدد من النتائج، ومن أبرزها :

- أتضـــح من خلال الدراسة أنَّ تواجد مدينة طليطلة كان سابقاً للقرن الثاني قبل الميلاد.
- تبين من خلال الدراسة أنَّ ثورات طليطلة كانت من عوامل داخلية ولم تكن من عوامل خارجية. حيث أن عدداً من الثوار قدموا إليها على حال اللجوء ثم تحولوا إلى ثوار يتزعمون الثورات ضد الحكم المركزي.
- كمـــا يتـــبين أنَّ دعم النصارى بشكل مباشر وغير مباشر من العوامل الداعمة لثورات طليطلة.
- جمعت الدراسة عدداً من صفات أهل طليطلة التي كانوا يتصفون بها ومن أهمها: الذكاء والنباهة والشدة والصلابة والقدرة العالية على التحمل والصبر، بالإضافة لقدرتهم الفائقة على تصريف أمورهم وشؤونهم الخاصة.
- اســـتنتجت الدراســـة أنَّ الأحوال الاقتصادية كانت من أكبر العوامل الداعمة لـــثورات طليطلة . ويؤكد ذلك تركيز كل مهاجم لها على القيام بحركة تخريب وتدمير لمصادر الاقتصاد بالمدينة في حال عدم قدرته على ضمها لحكمه.
- اتضح من خلال الدراسة أنَّ طليطلة شكلت عنصراً نشطاً في جميع جوانب الحياة الأندلسية على مختلف وجهاتها.

- تبين من خلال الدراسة أنَّ مدينة طليطلة بعد سقوط الخلافة أيام الفتنة أقامت لها حكومة في المدينة تهتم بشؤونها وترعاها بعيداً عن الثورات والنزاعات، انتظاراً إلى ما ستؤول إليه الأمور.
- كشفت الدراسة أنَّ تتابع حكام طليطلة في الفترة من ٤٢٢هـ إلى ٤٢٧هـ وإقالتهم لا يدل على ضعفهم، ولكنهم لم يتمكنوا من استمالة قلوب أهل طليطلة إليهم وجعلهم يؤيدونهم. كما أنهم من أهل العلم ليس بهم على الظاهر حنكة الساسة.
- أوضحت الدراسة أنَّ طليطلة لم تتأثر من حيث النواحي الاجتماعية والاقتصادية وأحوالها العامة مع تتابع الحكام عليها، بل كانت الحياة تسير فيها بشكل طبيعي حتى في فترة الفتنة بعد سقوط الخلافة.
- أكدتْ الدراسة أن أسرة بني ذي النون كان لها أدوار بارزة في الأندلس منذ بداية التاريخ الإسلامي بها وحتى قيام دولتهم بطليطلة.
- أظهرت الدراسة أنه عندما استغلت طاقة أهل طليطلة في حركة الجهاد انخفضت نسبة ثوراتهم على الحكم المركزي وإعلانهم للعصيان بل انعدمت في بعض الفترات. وقد برز ذلك في عصر الخلافة وحكم بني ذي النون.
- كشفت الدراسة أن التنظيمات الداخلية لمدينة طليطلة في عهد المأمون شكلت داعماً كبيراً لحركته التوسعية حيث أن إعداد المدينة واقتصادها كانا على خير حال.
- من خلال الدراسة أتضح أنَّ الفونسو كان صاحب خطة طويلة المدى لإسقاط طليطلة، وذلك ظاهر من خلال تتبع أحوال طليطلة وسقوطها، والإطلاع على

خطة الفونسو لانتزاع أراضي الأندلس بإيقاع الخلاف بين أهلها والحصول على أموال ممالكها حتى تضعف.

- توصلت الدراسة إلى أن كون طليطلة عاصمة أو قاعدة لعدد من الدول المتتابعة هو العامل الأول في ثرائها العمراني وكثافة العمران بها، بالإضافة لقدرة هذه المدينة على المحافظة والحماية لكل ما بها من عمران سواء مدني أو عسكري.

وقد شكلت حركة الهجرة لمدينة طليطلة من القرى التابعة لها أو من المدن المجاورة داعماً لحركة العمران المستمر بطليطلة.

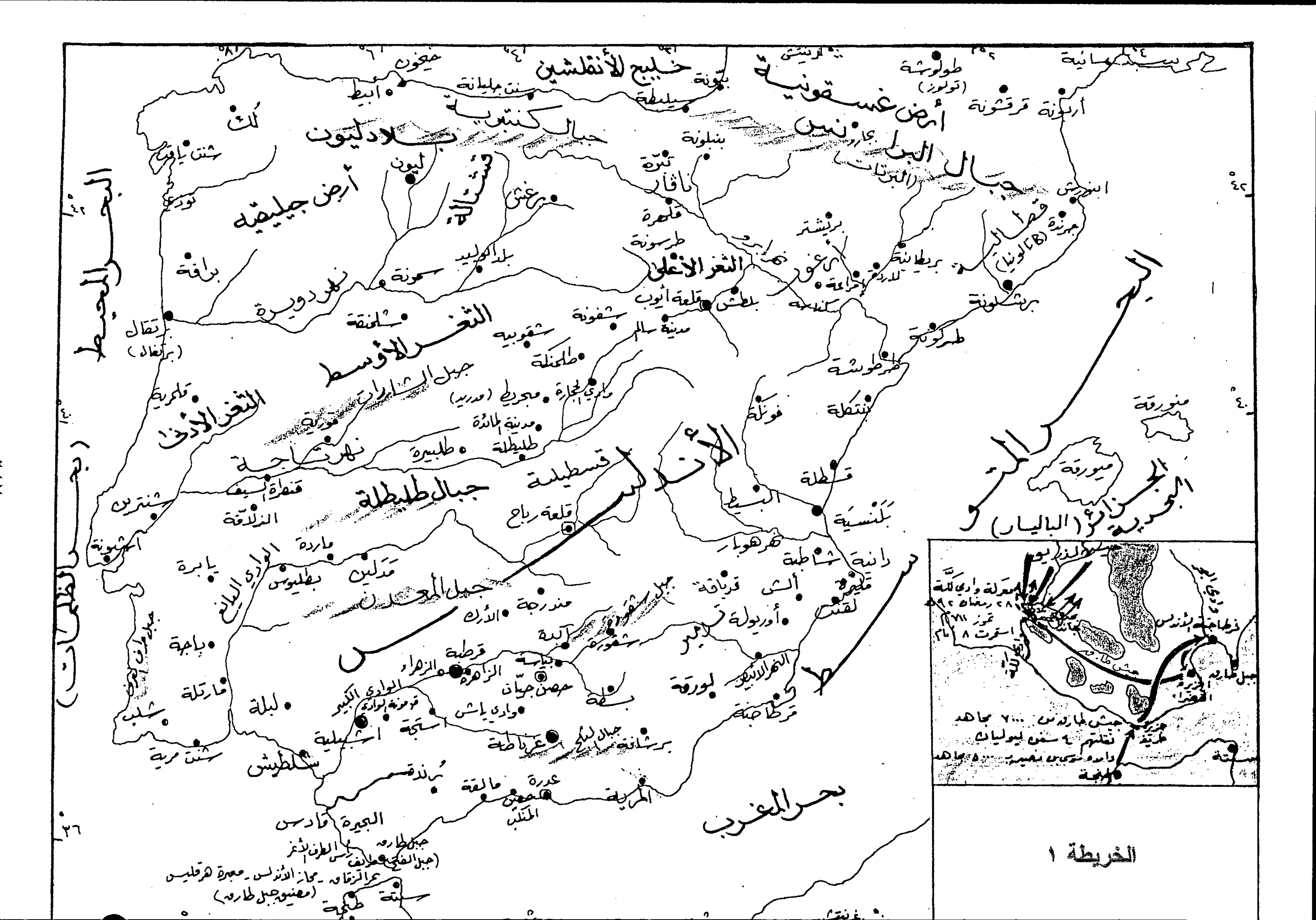
- لقد اتضح من خلال الدراسة أنه مع حلول المسلمين بطليطلة تغير حال هذه المدينة حيث ظهر عليها من مواضعها وأماكنها مدى الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي بها.
- تبين من خلال البحث أن ثراء طليطلة واقتصادها المرتفع عائد بشكل كبير إلى غني أرضها بالإضافة لقدرات أهلها ومهاراهم التي تميزت في إتقاهم للمصنوعات ومنافستها لمنتجات المدن الأخرى.
- من خلال الدراسة تبين أن اقتصاد طليطلة ينخفض في فترات الفتن والحرب. ويرتفع أيضاً بسبب هذه الحروب حيث أن منتجات طليطلة المتميزة المتقنة تحفظ عن المستهلكين من المدن الأخرى مما يجعل الحاجة إليها أكثر بعد فقداها مما يزيد في أثماها ويزيد في اقتصاد طليطلة.
- أتضح من خلال الدراسة أنّ التنظيمات الاقتصادية بطليطلة اهتمت بجزئيات تعد من تفاصيل الجوانب الاقتصادية والأمور الدقيقة بها وهذا مما أدى للقوة الاقتصادية بها.
- أوضحت الدراسة اهتمام أهل طليطلة بمدينتهم بشكل كبير، والإشراف عليها مباشرة وكأن بها مجلس يهتم بأمورها دون الحاكم.

ومن ذلك تدخلاتهم في الشؤون السياسية ، واستجلابهم لأكثر من قاضٍ لمدينتهم وأيضاً موظفين للحسبة وأحكام السوق وغير ذلك من مختلف الصور التي أبرزت في هذا البحث.

- كشفت الدراسة أن قيام حركة ترجمة الكتب العربية بعد سقوط طليطلة من أكبر الأدلـــة على توافر أعداد هائلة من الكتب بطليطلة غالباً ما كانت متواجدة على شـــكل مكتبات . وإن كانت الكتب ربما جُلبت من مدن الأندلس المجاورة فلابد أن الفكرة –للترجمة– نبعث من طليطلة ومن وكتبها المتواجدة أولاً.
- أظهـــر البحـــث دوراً كبيراً لحاكم طليطلة المأمون بن ذي النون في دعم الحركة العلمية من احتضانه للعلماء ومكافأتهم وغير ذلك من اهتمامه بشؤون العلم، مما يـــزيد من تأكيد دعم هذا الحاكم ودوره في الارتقاء في الجانب الحضاري بصفة عامة، مما جعل عصره العصر الأول لمدينة طليطلة في التاريخ الحضاري بوجه عام.
- تـــبين مـــن البحث أن الرحلات العلمية كانت ذات دور بارز في تطور وتحسن الأحوال العلمية بطليطلة، وذلك من خلال ما يكتسبه علماء طليطلة ويقتبسونه من العلماء الذين يرحلون إليهم ومن تلك الحواضر الإسلامية.
- تـــبين من خلال الدراسة أن علماء طليطلة كانت لهم علاقات كبيرة مع عدد من المـــدن والبلدان الإسلامية وذلك من خلال تواصلهم بتلك المدن وارتباطهم بها، وقد كان لعلماء طليطلة دور وتأثير على هذه المدن والبلدان وخاصة بعد سقوط هذه المدينة.
- وقـــد برز هذا الدور والتأثير من خلال بقاء وانتقال عدد من هؤلاء العلماء لهذه المـــدن كمعـــلمين للعلـــوم المختلفة أو قائمين على عدد من الوظائف كالقضاء والإدارة وأمور الشورى.

إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُّلمي

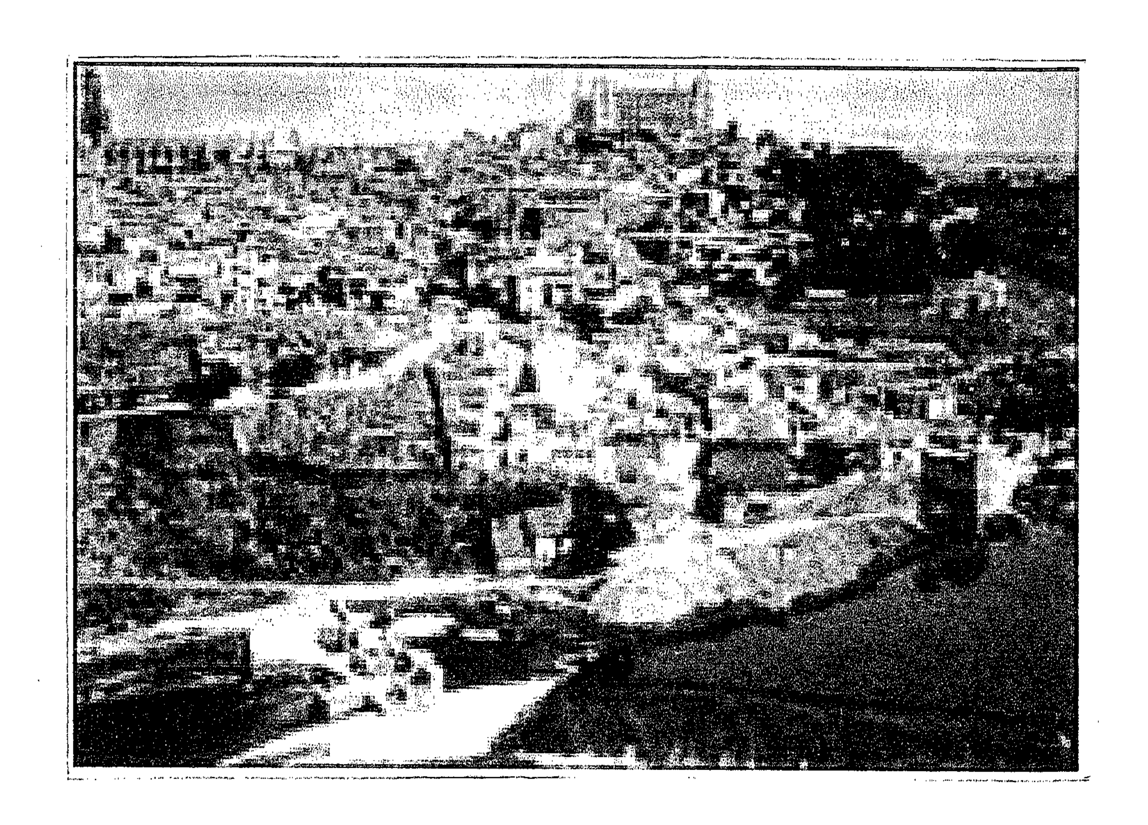
الملاحق



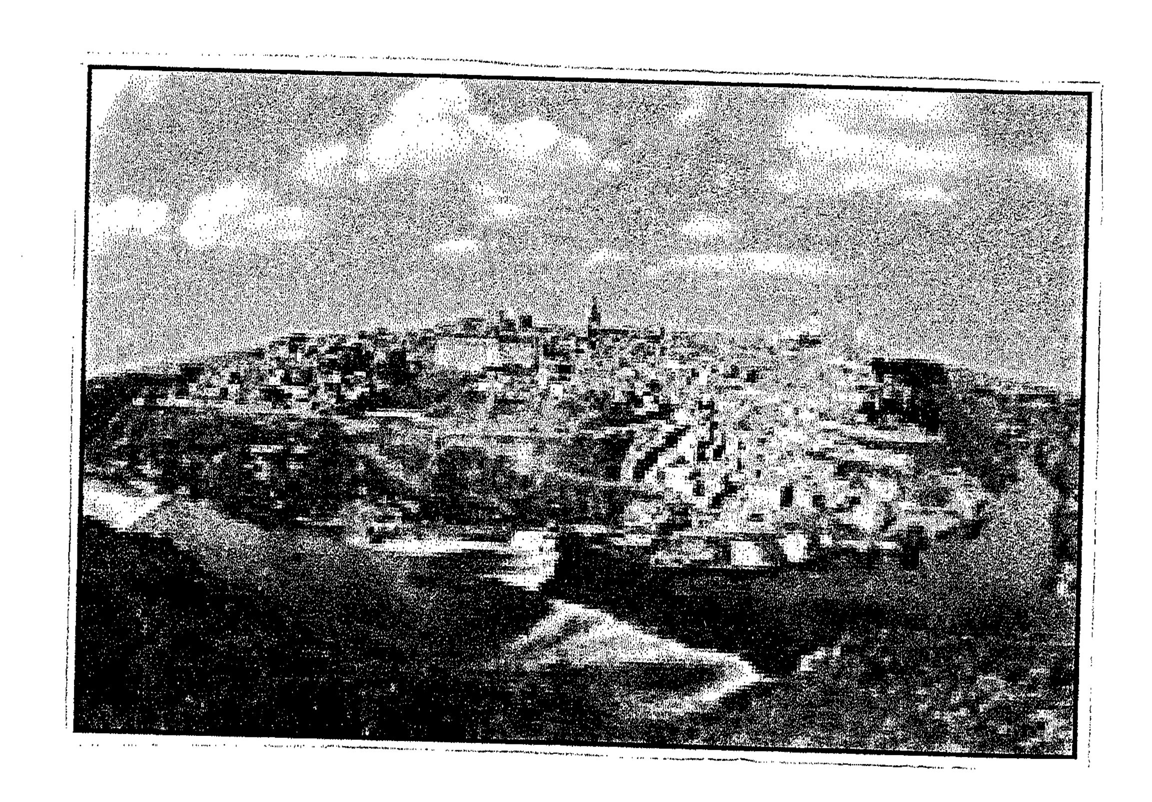
الخريطة ١
خليج الأنقلشين
أرض غسقونية
جبال البرت
بلاد ليون
جبال كنتبرية
أرض جليقية
البحر المحيط
قشتالة
الثغر الأعلى
الثغر الأوسط
الثغر الأدنى
جبال طليطلة
جبل الشارات
جبل المعدن
الأندلس
البحر الرومي
الجزائر البحرية (الباليار)
بحر الزقاق
بحر المغرب
ميورقة
منورقة
طليطلة
قرطبة
الزهراء
إشبيلية
غرناطة
بلنسية
سرقسطة
برشلونة
طركونة
طرطوشة
مالقة
المرية
قادس
الجزيرة الخضراء
جبل طارق
سبتة
طنجة
ماردة
بطليوس
قلعة رباح
قلعة أيوب
مدينة سالم
مجريط (مدريد)
طلبيرة
شنترين
الأشبونة
باجة
شلب
لبلة
شذونة
أستجة
لورقة
مرسية
شاطبة
دانية
إلبيرة
جيان
بياسة
حصن جيان
وادي آش
بلنسية
ليون
برغش
سمورة
براقة
لك
أبيط
بنبلونة
ناجرة
تطيلة
وشقة
لاردة
جرندة
أربونة
قرقشونة
طولوشة (تولوز)
نهر دويرة
نهر تاجة
الوادي الكبير
وادي آنة
جبال البشرات


مملكة نافار
مملكة أراغون
مملكة ليون وقشتالة
إمارات عربية شبه مستقلة
مملكة طليطلة
ملوك الطوائف

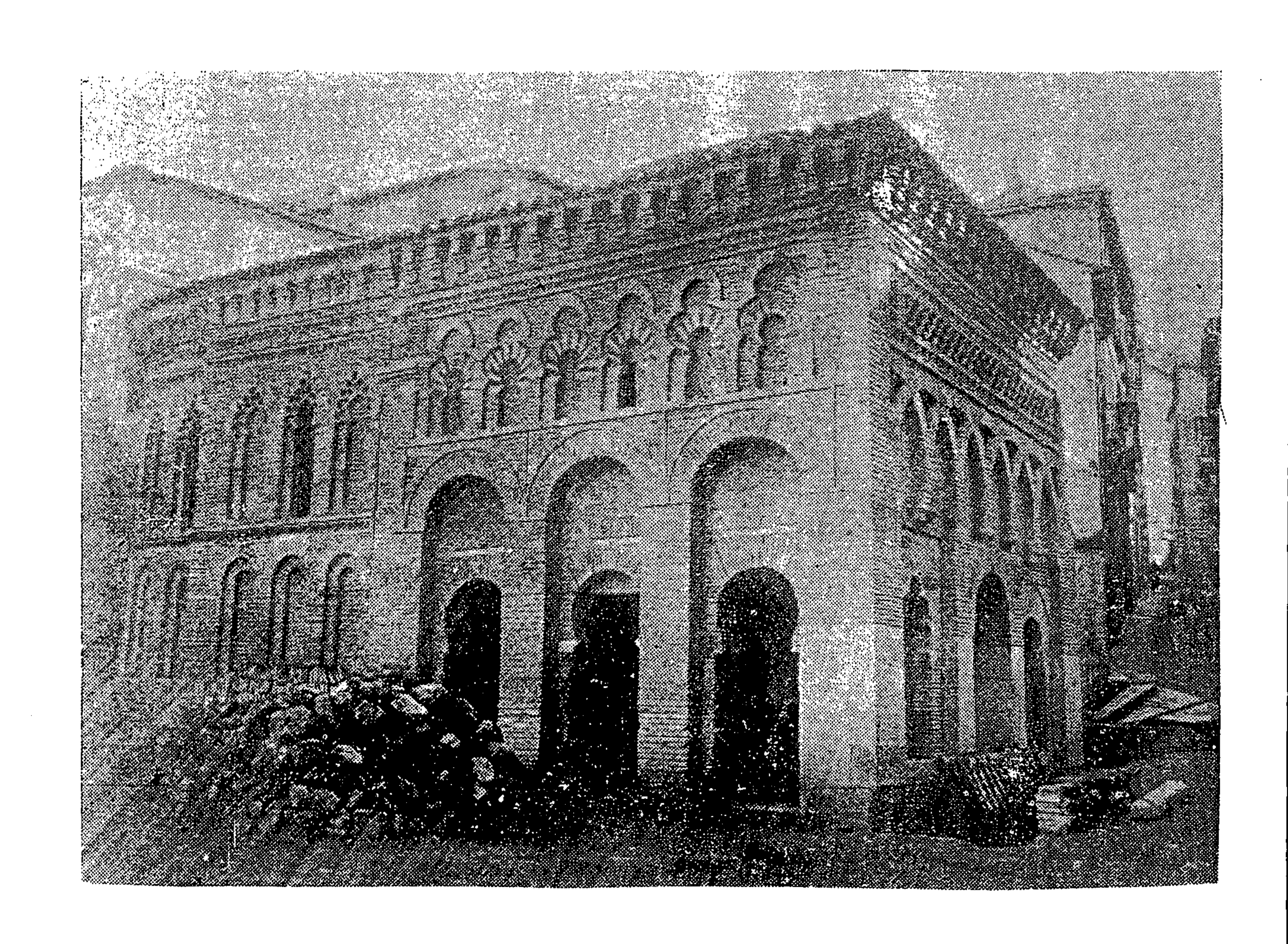
الخريطة ٢



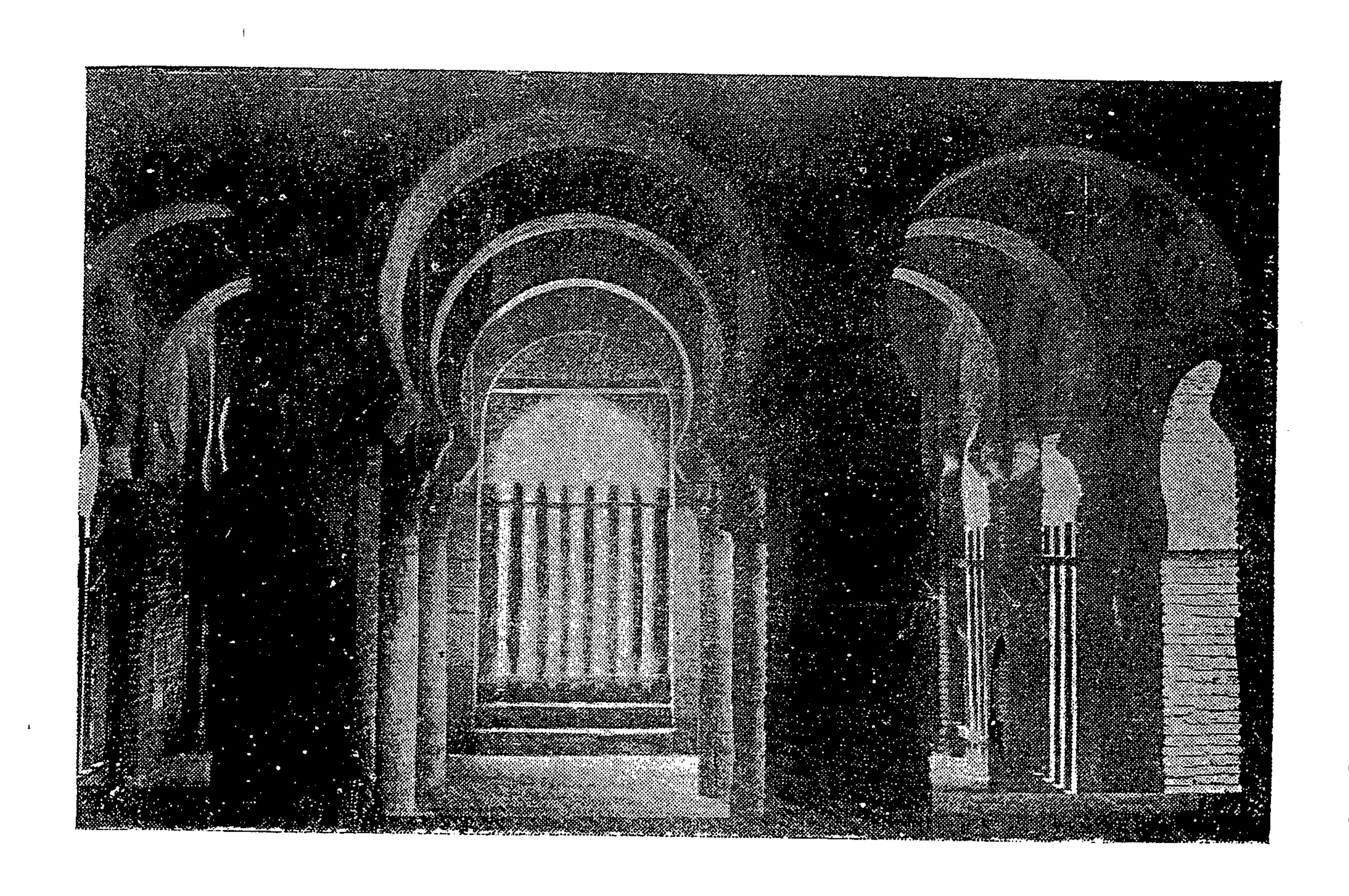
صورة ١



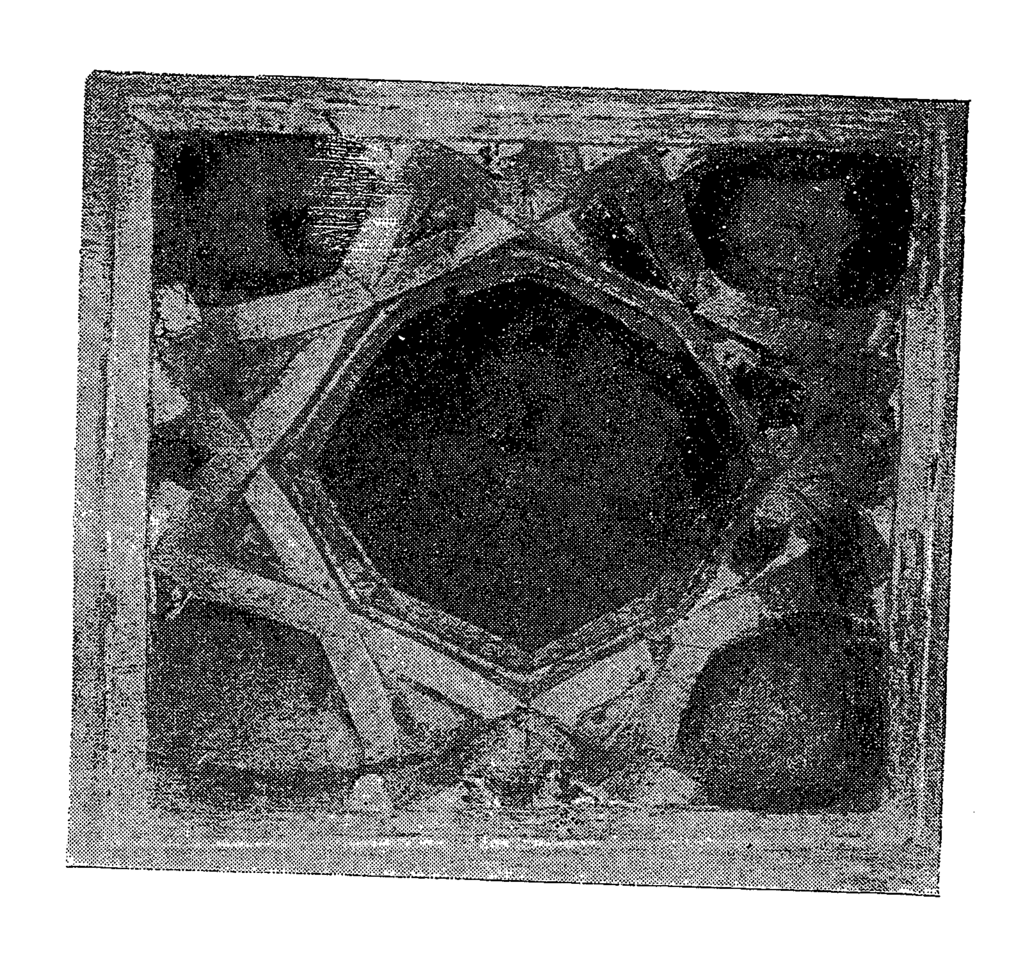
صورة ٢



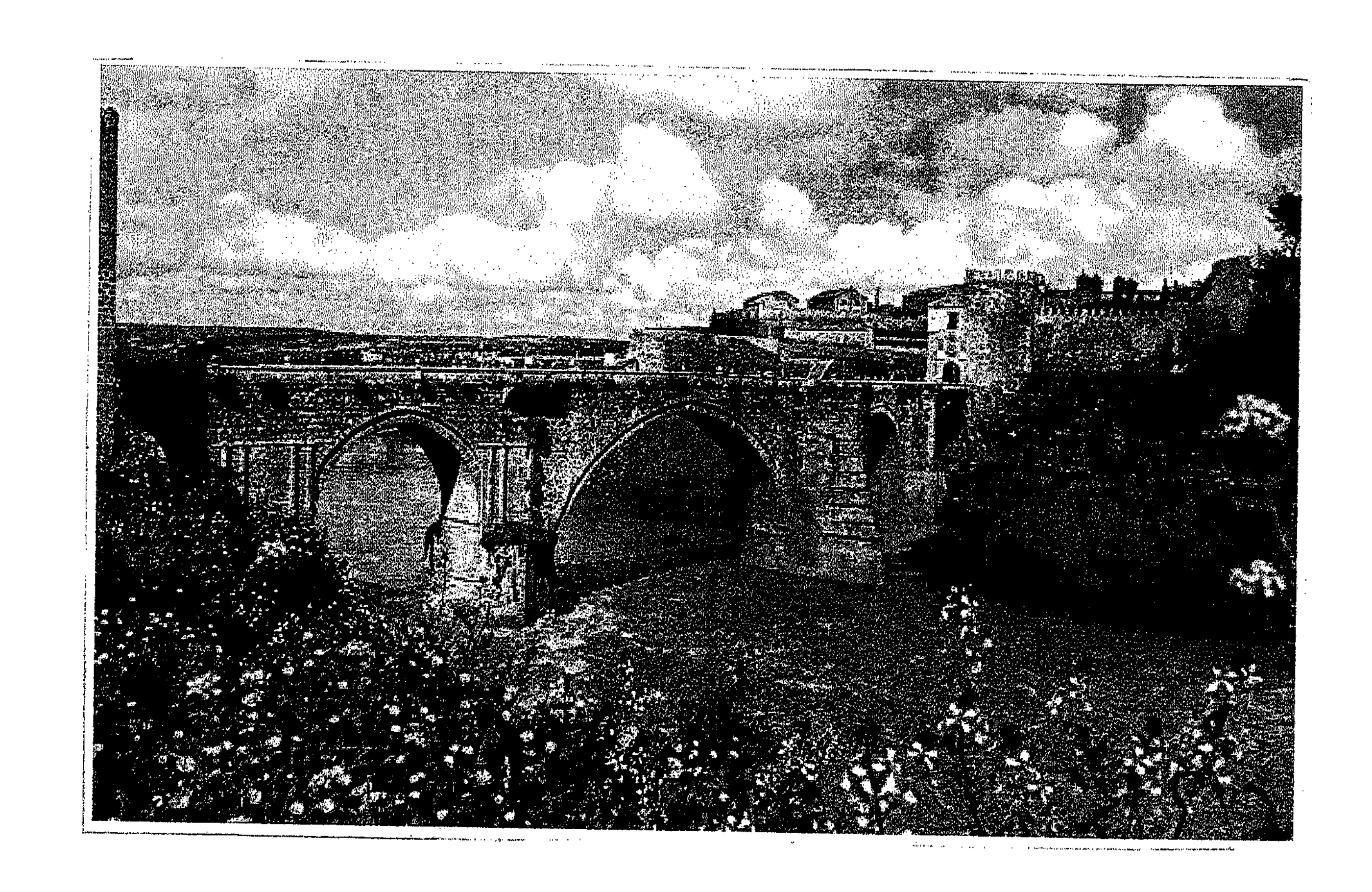
صورة ٣



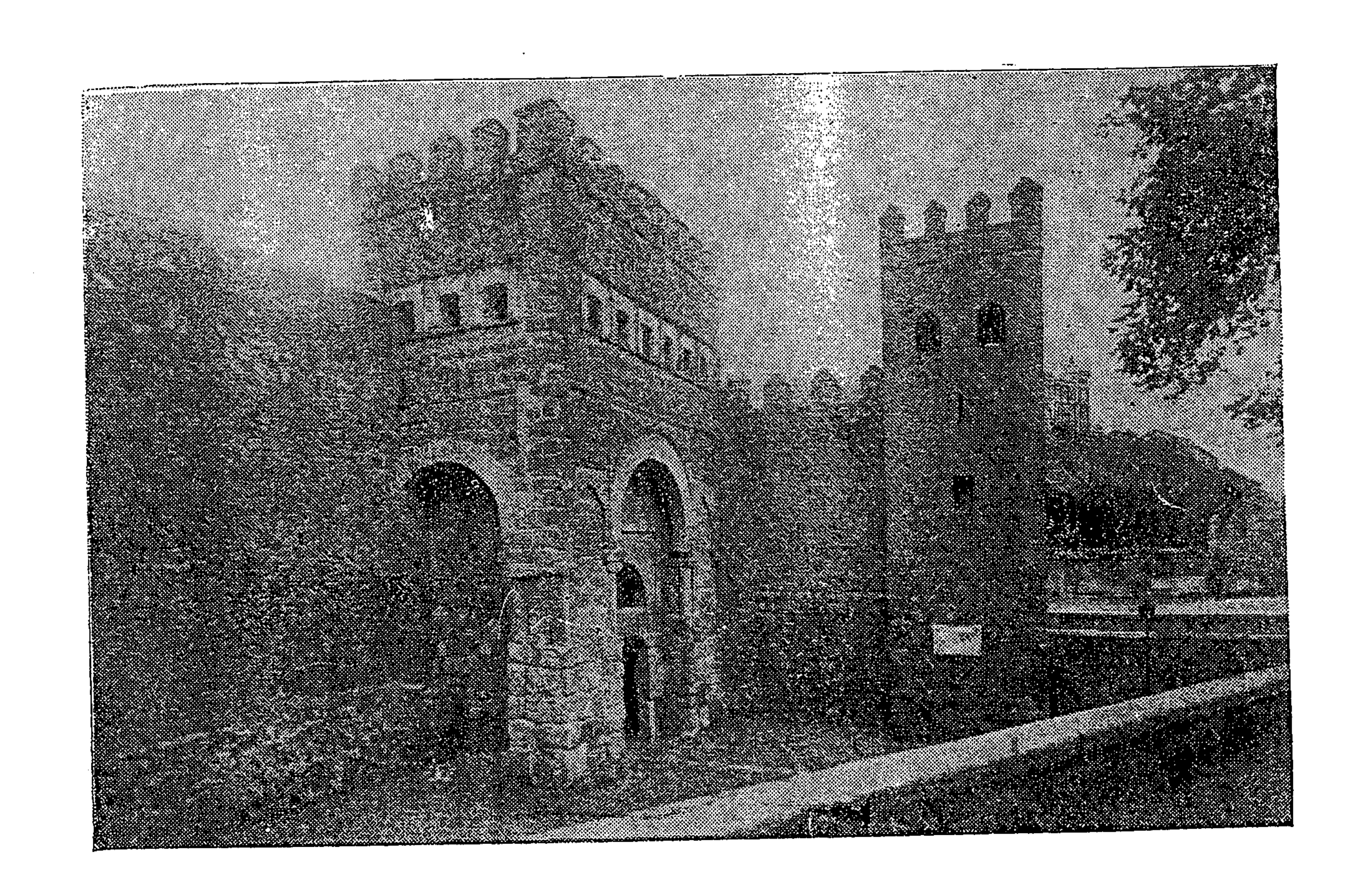
صورة ٤



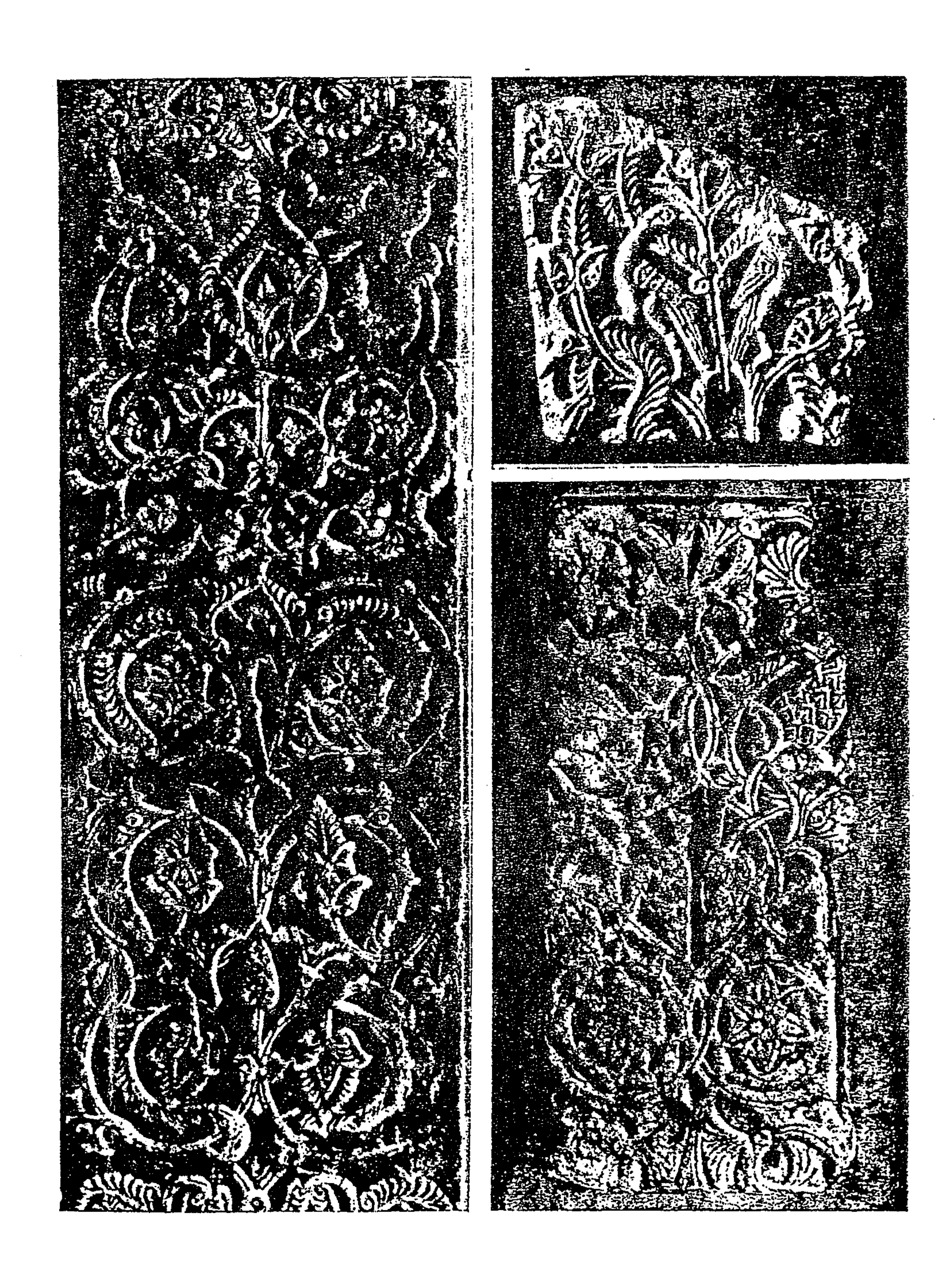
صورة ٥



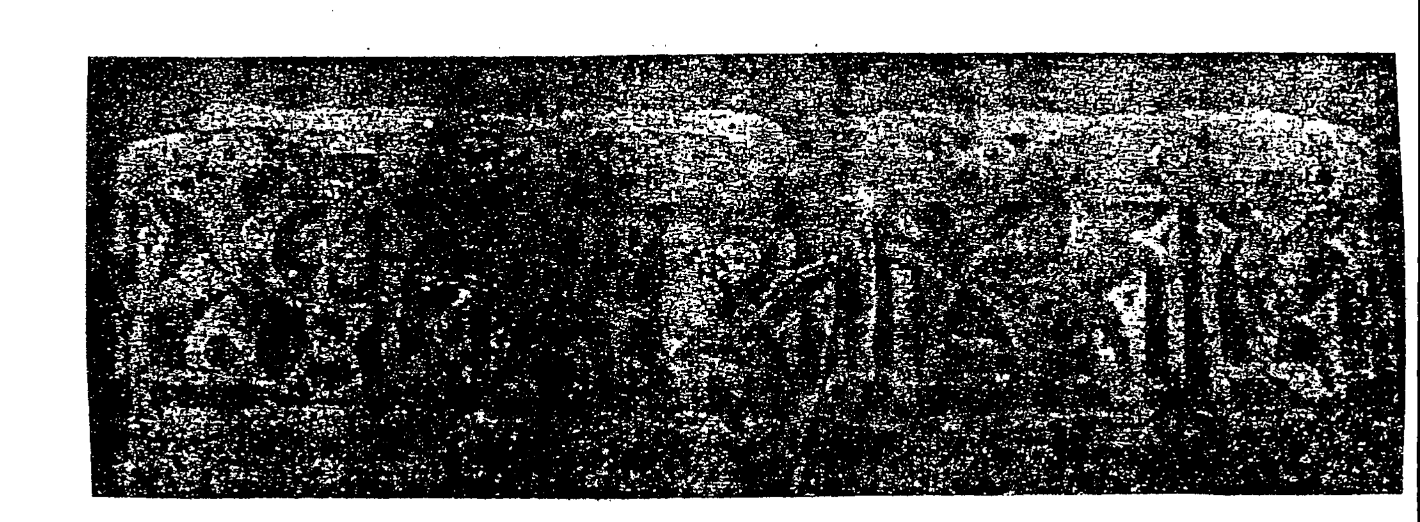
صورة ٦



صورة ٧



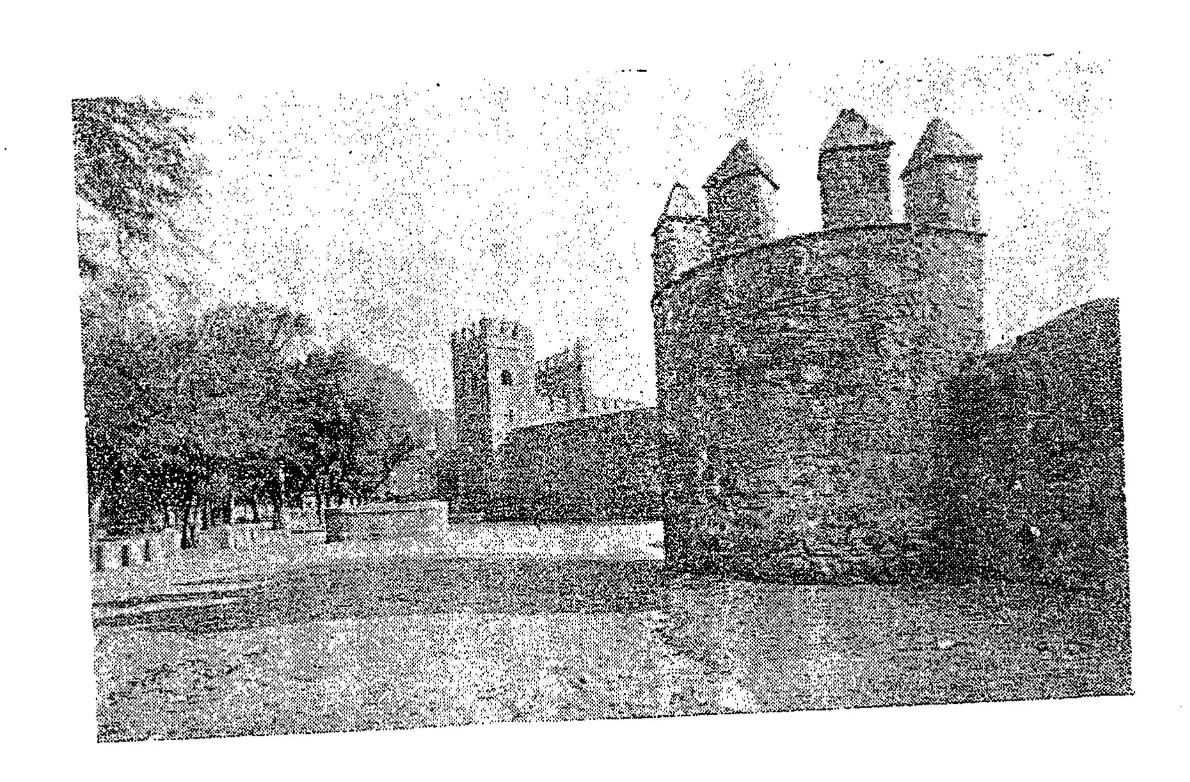
صورة ٨



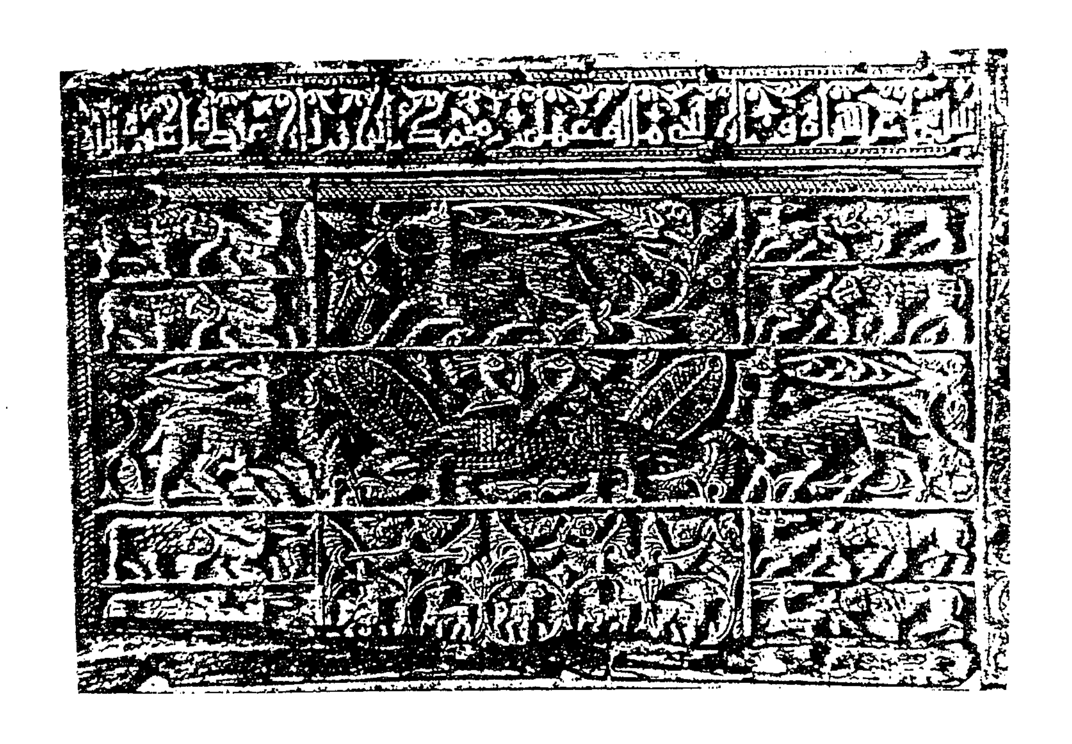
صورة ٩

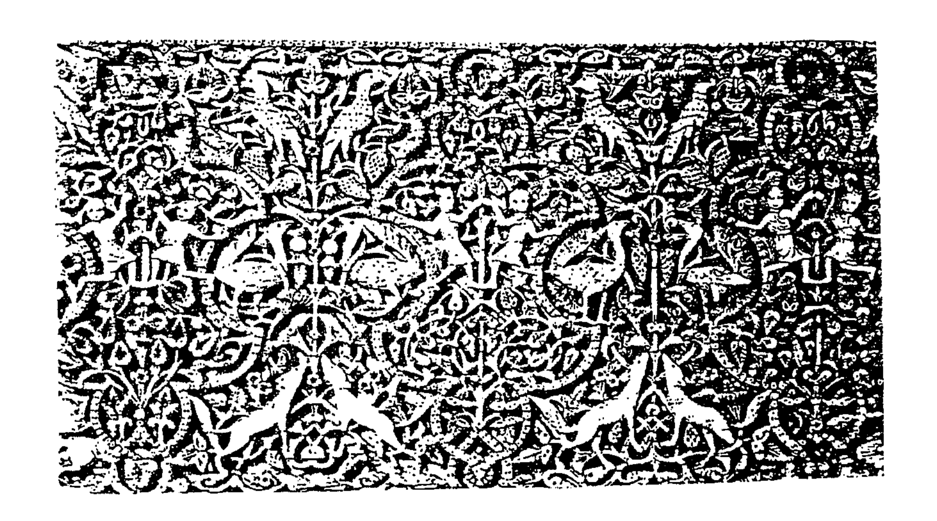


صورة ١٠



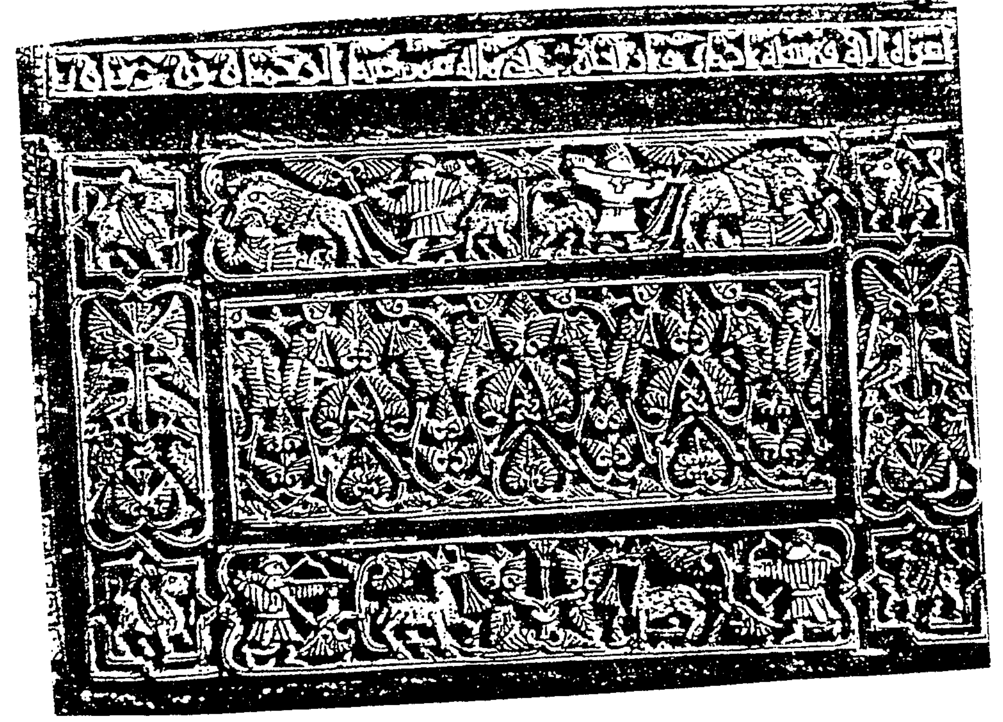
صورة ١١





صورة ١٢





صورة ١٣

قائمـــــــــة

المصــــــادر والمراجع

أ- المصادر :

= محمد بن يزيد الربعي :

١- سنن ابن ماجة ، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ) :

٢- الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥م.

٣- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

٤- إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، ط١، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

٥- التكملة لكتاب الصلة، نشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني ، ج١، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ج٢ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، مطبعة السعادة ، مصر .

- ابن الأثير : عز الدين ابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني :

٦- الكامل في التاريخ ، ج١- ٧ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، ج٨ - ١٢ ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م ، دار صادر للطباعة والنشر = دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .

- الأزدي : علي بن ظافر :

٧- بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- ابن الأزرق : أبو عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي (ت ٨٩٦هـ) :

٨- بدائع السلك في طبائع الملك ، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

- الأشبيلي : أحمد بن محمد بن حجاج الأشبيلي :

٩- المقـنع في الفلاحة ، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.

- أبو الأصبغ : القاضي عيسى بن سهل الأندلسي :

١٠- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكـبرى ، تحقـيق محمد عبد الوهاب خلاف ، ط١، ١٩٨١م ، توزيع المركز العربي الدولي للاعلام، القاهرة.

١١- وثـائق في أحكـام قضاء أهل الذمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة.

١٢- وثـائق في شـئون العمران في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، ط١، ١٩٨٣م، المركز العربي الدولي للاعلام، القاهرة.

١٣- وثائق في الطب الإسلامي ووظيفته في معاونة القضاء في الأندلس مستخرجة من مخطـوط الأحكـام الكبرى ، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، مراجعة وتقديم محمـود عـلي مكـي ومصطفى كامل إسماعيل، ط١، ١٩٨٢م، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة.

- الاصطخري : أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي :

١٤- كــتاب مسالك الممالك ، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، مطبعة بريل، ١٩٢٧م، ليدن.

- ابن أبي اصيبعة : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي :

١٥- عــيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ١٩٦٥م، دار مكتبة الحياة، بيروت .

- ابن بسام : أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني :

١٦- الذخــيرة في محاســن أهــل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، القسم الأول، ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م، القسم الثاني، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، القسم الثالث، القسم الرابع ، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، المجلد الثاني، القسم الأول والــثاني ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، القسم الثالث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

- ابن بشكوال : أبي القاسم خلف بن عبد الملك (٤٩٤هـ-٥٧٨هـ) :

١٧- كــتاب الصــلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، صححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، ج١-٢، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

- ابن بصال : محمد ابن بصال:

١٨- كتاب الفلاحة ، نشره وترجمه وعلق عليه : خوسي مارية مياس بييكروسا و محمد عزيمان ، ١٩٥٥م، معهد مولاي الحسن، تطوان.

- البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ) :

١٩- مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ج٢، ط١، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- البكري : أبي عبيد (ت ٤٨٧ هـ):

٢٠- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر :

٢١- كتاب فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد، ١٩٥٦م-١٩٥٧م، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة.

- حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله :

٢٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى، بغداد.

- ابن حزم : أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ):

٢٣- جمهرة أنساب العرب ، راجعها وضبطها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٤- رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عباس، ط١، ١٩٨١م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) :

٢٥- معجــم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، ط١، ١٤١٠هــ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

٢٦- معجم الأدباء ، الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.

- الحميدي : أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت٤٨٨هـ) :

٢٧- جــذوة المقتــبس في ذكر ولاة الأندلس، المكتبة الأندلسية ٣، ١٩٦٦م، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- الحميري : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم :

٢٨- صــفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط٢، ١٤٠٨هــ-١٩٨٨م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- ابن حوقل : أبي القاسم بن حوقل النصيبي :

٢٩- كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- ابن حيان القرطبي :

٣٠- المقتــبس في أخــبار بلــد الأندلــس، تحقــيق عبد الرحمن على الحجي، المكتبة الأندلسية٤، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان.

٣١- المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي ، ١٣٩٠هــ-١٩٧١م، المجلــس الأعــلى للشــئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة.

٣٢- المقتــبس ، ج٥، اعــتني بنشــره ب. شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورينطي و م . صبح وغيرهما ، ١٩٧٩م، المعهد الأسباني العربي للثقافة ، كلية الآداب بالرباط، مدريد.

- ابن الخطيب : لسان الدين (ت ٧٧٦هـ) :

٣٣- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، ١٣٤٧هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

٣٤- تـاريخ أسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط٢، ١٩٥٦م، دار المكشوف ، بيروت، لبنان .

٣٥- الإحاطـة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط٢، ١٣٩٣هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٦- جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، أعد أصلاً من أصلية : محمد ماضور، مطبعة المنار، تونس.

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ) :

٣٧- تاريخ بن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والـبربر ومـن عاصـرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- ابن خلكان : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر :

٣٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- ابن خياط : خليفة بن خياط :

٣٩- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، دار القلم، دمشق - بيروت، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

- أبو الخير الأشبيلي : (القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي) :

٤٠- عمدة الطبيب في معرفة النبات ، تحقيق محمد العربي الخطابي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث.

- ابن الدلائي : أحمد بن عمر بن أنس العذري :

٤١- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، ١٩٦٥م، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد.

- الدينوري : أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) :

٤٢- الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق طه محمد الزيني ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) :

٤٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١-٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٤- معرفة القراء على الطبقات والأعصار ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، ط١، دار الكتب الحديثة ، مصر.

- ابن رزين التجيبي :

٤٥- فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شقرون ، ط٢، ١٩٨٤م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- الرشاطي : أبو محمد الرشاطي (ت ٥٤٣هـ-١١٤٧م) وابن الخراط الأشبيلي (ت٥٨١هـ-١١٨٦م) :

٤٦- الأندلــس في اقتــباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينــا و خاثينتو بوسك بيلا، ١٩٩٠م، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد.

- الزبيدي : أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي :

٤٧- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

- ابن الزبير : أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (٦٢٨هـ-٧٠٨هـ) :

٤٨- كــتاب صــلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس و سعيد أعراب، القسم الثالث ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، القسم الرابع ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، القسم الخامس ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

- السبتي : القاسم بن يوسف التجيبي (ت ٧٣٠هـ) :

٤٩- مســتفاد الرحلة والإغتراب ، تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب.

- ابن سعيد المغربي :

٥٠- المغرب في حلى المغرب ، ج١-٢، حققه وعلق عليه شوقي ضيف ، ط٢ منقحة، ذخائر العرب ١٠، دار المعارف، مصر.

٥١- المقــتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، ١٩٨٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- السلفي : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه :

٥٢- أخبار وتراجم أندلسية ، مستخرجة من معجم السفر للسلفي (-٥٧٦) ، إعداد وتحقيق إحسان عباس، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار الثقافة ، بيروت، لبنان.

– ابن سماك : أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي :

٥٣- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تقديم وتحقيق محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مـج٢١، ١٩٨١م-١٩٨٢م، المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد.

– السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي :

٥٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

– ابن الشباط : محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري :

٥٥- قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، أحمد مختار العبادي : وصف الأندلس لابن الشباط، صحيفة معهد الدراسات الإسـلامية، مج١٤، ١٩٦٧م-١٩٦٨م، مدريد ، أسبانيا.

– الشريف الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني :

٥٦- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، عـالم الكتب ، بيروت.

– صاعد الأندلسي :

٥٧- طبقات الأمم ، تحقيق حياة علوان ، ط١، شباط ١٩٨٥م، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت.

– الضبي :أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ) :

٥٨- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

- الطرطوشي : محمد بن الوليد :

٥٩- سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياتي ، ط١، آب / اغسطس ١٩٩٠م، رياض الريس للكتب والنشر.

- الطليطلي : أحمد بن مغيث (ت ٤٥٩هـ) :

٦٠- المقنع في علم الشروط ، تقديم وتحقيق فرانشيسكو خابيير أغيري سادابا، ١٩٩٤م ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد.

- الأمير عبد الله (ت ٤٨٣هـ) :

٦١- مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيرى بغرناطة المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، مصر.

- بن عبدون : أبي محمد عبد المجيد (ت ٥٢٩هـ) :

٦٢- شرح قصيدة الوزير الكاتب في الأدب والمراتب، شرحها الفقيه أبو مروان عبد الملك بن عبد الله ابن بدرون الشلبي الحضرمي (ت ٦٠٨هـ) ، تحقيق محمود حسن الشيباني ، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، كلية آداب البنات، الرياض.

- ابن عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) :

٦٣- العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر.

- ابن عذارى المراكشي :

٦٤- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق ليفي بروفنسال و ج . س . كولان ، ج٣، تحقيق ليفي بروفنسال، ج٤، كتب التعليقات إحسان عباس ، ط١، ١٩٦٧م، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان.

- القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ) :

٦٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا.

- الغساني : أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم :

٦٦- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطابي، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الفاسي : علي بن أبي زرع :

٦٧- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ١٩٧٢م، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.

- أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن نور الدين (ت٧٣٢هـ) :

٦٨- كتاب تقويم البلدان ، صححه رينود مدرس العربية وماك كوكين ديسلان، ١٨٤٠م، دار الطباعة السلطانية، باريس.

- ابن فرحون المالكي :

٦٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

- ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت ٤٠٣هـ) :

٧٠- تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود :

٧١- آثار البلاد وأخبار العباد ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

- القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ) :

٧٢- كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ١٣٢٦هـ، مطبعة السعادة، مصر.

٧٣- تأريخ الحكماء وهو مختصر الزَوْزَني المسمي بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المثني، بغداد، مؤسسة الخانجي ، مصر.

- القلقشندي : أبي العباس أحمد علي (٧٥٦هـ-٨٢٠هـ) :

٧٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، عالم الكتب، القاهرة.

٧٥- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ١٩٨٠م، عالم الكتب، بيروت.

- ابن القوطية القرطبي :

٧٦- تاريخ افتتاح الأندلس متبوعاً بـ " قصة فتح الأندلس" لابن قتيبة و"أخبار الفتح" من الرسالة الشريفية ، حققه عبد الله أنيس الطباع، راجعه ووضع الفهارس عمر فاروق الطباع، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان.

- ابن الكردبوس :

٧٧- قطعـــة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، أحمد مختار العبادي : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج ١٣، ١٩٦٥م-١٩٦٦م، مدريد ، أسبانيا.

- المالقي : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي :

٧٨- تـــاريخ قضـــاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقـــيق لجـــنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، ط٥، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- مجهول :

٧٩- أخـــبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها -رحمهم الله- والحروب الواقعة بها بيـــنهم، تحقـــيق إبراهيم الأبياري ، ط١، ١٤٠١هـــ-١٩٨١م، دار الكتاب المصري ، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٨٠- كتاب مفاخر البربر ، ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، دراسة وتحقـــيق : محمـــد يعـــلى ، ١٩٩٦م، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد.

- مجهول : من القرن الثامن الهجري :

٨١- مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق محمد عيسى صالحية وإحسان صدقي العمد، ط١، ١٤٠٤هـــ-١٩٨٤م، السلسلة التراثية (٩) ، الكويت.

- المراكشي : عبد الواحد المراكشي :

٨٢- المعجــب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ١٤١٤هــ-١٩٩٤م ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع.

- المراكشي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي :

٨٣- السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- المقريزي : تقي الدين (ت ٨٤٥هــ - ١٤٤١م) :

٨٤- كــتاب المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي ، ط١، ١٤١١هــ-١٩٩١م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان.

- المصري : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي :

٨٥- فتوح مصر وأخبارها، ١٩٣٠م، مكتبة المثني ، بغداد .

- المقري : أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هــ) :

٨٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨٧- أزهار الرياض في أخبار عياض ، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

- المناوي : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت ١٠٣١هــ) :

٨٨- النقود والمكاييل والموازين ، تحقيق رجاء محمود السامرائي.

- الناصري : أبو العباس أحمد بن خالد :

٨٩- كــتاب الاستقصــا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ١٩٥٤م، دار الكتاب، الدار البيضاء.

- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧هـ - ٧٣٣هـ) :

٩٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، ١٩٨٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الونشريسي : أبي العباس أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ) :

٩١- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغوب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

ب- المراجع :

- إبراهيم بيضون :

٩٢- الدولة العربية في أسبانية ، ط٣، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار النهضة العربية ، بيروت .

- إحسان عباس :

٩٣- تاريخ الأدب الأندلسي ، ط٥، ١٩٧٨م، دار الثقافة ، بيروت، لبنان.

- أحمد إبراهيم الشعراوي :

٩٤- الأمويون أمراء الأندلس الأول ، ١٩٦٩م ، دار النهضة العربية ، مصر.

- أحمد تيمور باشا :

٩٥- أعلام المهندسين في الإسلام ، ط١، ربيع الثاني ١٣٧٧هـ- نوفمبر ١٩٥٧م، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، القاهرة.

- أحمد فكري :

٩٦- قرطبة في العصر الإسلامي، ١٩٨٣م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

أحمد قدامة :

٩٧- قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار النفائس، بيروت .

- أحمد مختار العبادي :

٩٨- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ط١، ٢٠٠٠م، منشأة المعارف، الإسكندرية.

- آدم متز :

٩٩- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد، ط٤، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي ، بيروت.

- آنخل جنثالث بالنثيا :

١٠٠- تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- بطرس البستاني :

١٠١- كتاب دائرة المعارف ، مج١١، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- البير حبيب مطلق :

١٠٢- الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ١٩٦٧م، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت.

- جاسم بن محمد القاسمي :

١٠٣- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ٢٠٠٠م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

- حسين مؤنس :

١٠٤- فجـــر الأندلـــس ، ط١، ١٩٥٩م، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

١٠٥- تـــاريخ الجغرافـــية والجغرافيين في الأندلس ، ط٢، ١٩٨٦م، مكتبة مدبولي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

١٠٦- موسوعة تاريخ الأندلس ، ط١، ١٤١٦هـــ-١٩٩٦م، مكتبة الثقافة الدينية.

- حكمة علي الأوسي :

١٠٧- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ط٢، ١٩٧٤م، مكتبة النهضة ، بغداد.

- حمدي عبد المنعم محمد حسين :

١٠٨- ثـــورات الـــبربر في الأندلـــس في عصـــر الإمـــارة الأموية، ١٩٩٥م، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية.

١٠٩- أضـــواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية ، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .

- خالد الصوفي :

١١٠- تـــاريخ العـــرب في الأندلس ، ط٢، ١٩٨٠م، منشورات جامعة قاريونس ، كلية الآداب.

- خالد بن عبد الكريم البكر :

١١١- النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة، ط١، ١٤١٤هـــ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض.

- خوليان ريبيرا :

١١٢- المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، القسم الأول ، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، شوال ١٣٧٧هـ - مايو ١٩٥٨م ، القسم الثاني : مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٥، ج١، ذي القعدة ١٣٧٨هـ- مايو ١٩٥٩م، جامعة الدول العربية .

- خير الدين الزركلي :

١١٣- الأعلام ، ط٨، تموز (يوليو) ١٩٨٩م، دار العلم للملايين.

- رجب محمد عبد الحليم :

١١٤- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بن أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

- رشدي راشد :

١١٥- موسوعة تاريخ العلوم العربية ، ط١، ١٩٩٧م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

خوان فيرني وخوليو سامسو : تطورات العلم العربي في الأندلس.

- زكي محمد حسن :

١١٦- فنون الإسلام ، دار الفكر العربي.

- زيغريد هونكة :

١١٧- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون ، وكمال دسوقي، ط٢، ١٩٦٩م، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

- سحر السيد عبد العزيز :

١١٨- بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، ١٩٩٧م، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية.

- سعد بن عبد الله البشري :

١١٩- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف أحمد السيد دراج، ١٤٠١هـ-١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م-١٩٨٢م، قسم التاريخ الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى.

١٢٠- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

- سعيد عبد الفتاح عاشور :

١٢١- أوربا العصور الوسطى ، ط٨، ١٩٨١م، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر.

- سلمى الخضراء الجيوسي :

١٢٢- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط١، كانون الأول - ديسمبر ١٩٩٨م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

أ- محمود مكي :تاريخ الأندلس السياسي (٩٢هـ-٨٩٧هـ - ٧١١م-١٤٩٢م).

ب- دايفد ويتز : فنون الطبخ في الأندلس.

- السيد عبد العزيز سالم :

١٢٣- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ١٩٦٢م، دار المعارف، لبنان.

١٢٤- في تـــاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، ١٩٩٨م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

١٢٥- بحـــوث إســـلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، ط١، ١٩٩٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٢٦- المساجد والقصور في الأندلس، ١٩٨٦م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- شكيب إرسلان :

١٢٧- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- شوقي أبو خليل :

١٢٨- الحضـــارة العربـــية الإســـلامية ، ط١، ١٤١٥هـــ-١٩٩٤م، دار الفكر، دمشق، سوريا.

- شوقي ضيف :

١٢٩- عصر الدول والإمارات الأندلس ، ط٢، دار المعارف، القاهرة.

- عبادة عبد الرحمن رضا كحيلة:

١٣٠- المولـــدون في الـــتاريخ الأندلســـي مـــنذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الإمارة (٩٢هـــ/٧١١م-٣١٦هـــ/٩٢٩م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي تحـــت إشراف أحمد السيد دراج، جامعة القاهرة ، كلية الآداب، قسم التاريخ، رقمها٢٧٣٥،١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

- عباس سليمان وحسان حلاق :

١٣١ - دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ١٩٩٨م، دار المعرفة الجامعية، مصر.

١٣٢- تاريخ النصارى في الأندلس ، ط١، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م.

- عبد الرحمن علي الحجي :

١٣٣- التاريخ الأندلسي ، ط٥، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار القلم، دمشق.

- عبد الرحيم يوسف أحمد :

١٣٤- الشعر والشعراء في مملكة طليطلة الإسلامية ، مكتبة الآداب ، القاهرة.

- عبد الله محمد الزيات :

١٣٥- رثاء المدن في الشعر الأندلسي ، ط١، ١٩٩٠م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.

- عبد المجيد نعنعي :

١٣٦- الإسلام في طليطلة ، دار النهضة العربية ، بيروت.

١٣٧- تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ،دار النهضة العربية ، بيروت.

- عبد الواحد ذنون طه :

١٣٨- دراسات في التاريخ الأندلسي - نص اندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض ، ط١، ١٩٨٧م.

- علي عبد الله الدفاع :

١٣٩- اسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- عمر رضا كحالة :

١٤٠- معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

١٤١- العلـــوم البحتة في العصور الإسلامية ، ١٣٩٢هـــ-١٩٧٢م، مطبعة الترقي ، دمشق.

- غوستاف لوبون :

١٤٢- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- فايز عبد النبي فلاح القيسي :

١٤٣- أدب الرســـائل في الأندلـــس في القرن الخامس الهجري، ط١، ١٤٠٩هـــ-١٩٨٩م، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن.

- كمال السيد أبو مصطفى :

١٤٤- تـــاريخ الأندلـــس الاقتصـــادي في عصــــر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية .

١٤٥- بحـــوث في تـــاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، ١٩٩٣م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- ليفي بروفنسال :

١٤٦- الإســـلام في المغـــرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم و محمد صلاح الديـــن حـــلمي، راجعـــه لطفي عبد البديع، ١٩٩٠م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- مانويل جوميث مورينو :

١٤٧- الفـــن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم، راجعة جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية.

- محمد إبراهيم أبا الخيل :

١٤٨- الأندلـــس في الـــربع الأخـــير من القرن الثالث الهجري، ط١، ١٤١٦هـــ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض.

- محمد عبد الحميد عيسى :

١٤٩- تاريخ التعليم في الأندلس ، ط١ ، ١٩٨٢م ، دار الفكر العربي .

- محمد عبد العزيز مرزوق :

١٥٠- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- محمد عبد الله عنان :

١٥١- دولـــة الإســـلام في الأندلـــس، ط٣، ١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٥٢- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ط٢، ١٣٩٠هـــ-١٩٧٠م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- محمد ماهر حمادة :

١٥٣- الوثـــائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقية ، ط١، ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- محمود علي مكي :

١٥٤- مدريد العربية ، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة.

- مريم قاسم طويل :

١٥٥- مملكـــة غـــرناطة في عهد بني زيري البربر، ط١، ١٤١٤هـــ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

- مصطفى إبراهيم المشني :

١٥٦- مدرسة التفسير في الأندلس، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٥٧- موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢٢، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مركز الشارقة للابداع الفكري .

- ناصر الدين سعيدوني :

١٥٨- من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي ، ط١، ١٩٩٩م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان.

١٥٩- بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ : تقديم عبد الله بن عبد المحسن التركي وفتحي محمد أبو عيانة ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، رابطة الجامعات الإسلامية ٢-٤ ذو القعدة ١٤١٤هـ، ١٣-١٥ إبريل ١٩٩٤، دار المعرفة الجامعية.

- يوسف عيد ويوسف فرحات :

١٦٠- معجم الحضارة الأندلسية ، ط١، ٢٠٠٠م، دار الفكر العربي ، بيروت.

ج- الدوريات :

- التهامي الراجي الهاشمي :

١٦١- الأبواب في الأندلس ، مجلة المناهل، العدد الثالث عشر، السنة الخامسة، محرم ١٣٩٩هـ- دجنبر ١٩٧٨م، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، المغرب.

- حسين مؤنس :

١٦٢- ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي (١٠٢هـ-١٣٦هـ/ ٧٢١م-٧٥٣م) ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول، المجلد العاشر، الجزء الأول، مايو ١٩٤٨م، مطبعة جامعة فؤاد الأول .

- حكمة علي الأوسي :

١٦٣- كتاب الوساد لابن وافد الطليطلي ، ملخص لرسالة دكتوراه، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث عشر، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق.

- دائرة معارف الشعب :

١٦٤- الفلك في العصور الوسطى ، كتاب الشعب ٤٣، مج١، ١٩٥٩م، مطابع الشعب.

١٦٥- طليطلة – مسجد الباب المردوم بطليطلة – حمامات طليطلة : كتاب الشعب ٦١، مج٢، ١٩٥٩م، مطابع الشعب.

- سعد عبد الله البشري :

١٦٦- ترجمة الكتب العربية ، مجلة جامعة أم القرى ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ١٤٠٩هـ.

- عادل محمد علي :

١٦٧- علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال، مجلة المورد، العدد الرابع ، المجلد السادس، ١٣٩٨هـ-١٩٧٧م، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية.

الفهرس